الفصل الحادي والخمسون بعد المئة

العصبية والشعر

رأيت أن أهل الكوفة كانوا يفضلون بعض الشعراء الجاهليين على غيرهم ، وأن أهل البصرة كانوا يرجحون غيرهم عليهم ، فلا يرون التقدمة لمن اختارهم أهل الكوفة ، ورأيت أن أهل الحجاز يقدمون شعراء آخرين على الشعراء الذين قدمهم أهل الكوفة أو أهل البصرة .

وموضوع من هو أشعر شعراء أهل الجاهلية ، موضوع تضاربت فيه الآراء كثيراً ، وكثرت فيه الأقوال ، لما له من تماس بروح العصبية ، والعصبية اذا دخلت قضية أفسدتها . ثم انه قائم على أحكام الأذواق ، وأذواق الناس في الشعر وفي الذوق والتذوق متفاوتة متباينة ، ثم هو لا يستند الى أسس مقررة تعود الى أيام الجاهلية ، كنقد علمي ودراسة عامة شاملة قام بها الجاهليون في أيامهم ، وانما مرجعه أقوال قيل انها صدرت من خبراء الشعر وعلماؤه ، لا أدري مقدار ما فيها من صدق أو كذب . وكل ما أستطيع ان أقوله : انها آراء دونت في الاسلام ، وهي مرسلة ، محمولة على المبالغة في الاستحسان لقصيدة أو لقطعة أو لبيت ، بل ولنصف بيت أحياناً ، وهي تمثل استذواقاً شخصياً ، لحالة من الحالات ، لا لغالب شعر الشاعر وعامة ما روى عنه ، ولما فيه من فن وإبداع ، ثم انك تجدها أحياناً متناقضة متضاربة ، تجد رواية تقول إن الشاعر الفلاني ، أو عالم الشعر فلان قال : أشعر الناس فلاناً ، ثم تجد رواية ثانية تذكر انه قدم شاعراً آخر محله فجعله أشعر الشعراء ، ثم لا تلبث أن تجد رواية ثالثة ، تذكر

أنه اختار شاعراً غيرهما ، فجعله أشعر شعراء الجاهلية ، وأشعر الناس ، فتحتار في أمر هذا التناقض ، كيف وقع ، وكيف حدث والحاكم رجل واحد ؟ هل وقع هذا حقاً ، أو أنه كان من وضع المتعصبين للشعراء ، أرادوا تقديم شاعر لهم على سائر الشعراء ، فاحتاجوا الى حجة وسند واثبات ، لإثبات دعواهم ، وتأكيدها ، فاختلقوا قولاً نسبوه الى عالم معروف وصنع قوم غيرهم مثل ما صنعوا ، فاختلقوا قولاً نسبوه الى هذا العالم أيضاً ، فمن ثم تعددت الأقوال وتصادمت ، فليس للعلماء اذن يد في هذا التناقض أو أي ذنب ، وإنما الذنب هو ذنب المختلقين الذين دسوا دسهم على العلماء .

وقد لا يكون للإختلاق يد في ظهور هذا التناقض ، وإنما سببه ، أن شخصاً يُسأل عن شاعر ، فيخطر بباله خاطر عن شعره ، جعله يستعذبه أو يستعذب جزءاً منه ، يراه أنه أحسن ما قيل من نحوه ، فيرجحه على الجميع ، ويحكم من هذه الناحية على أنه أشعر الناس ، ثم يمضي وقت ، ينسى فيه ما قال ، فيسأله أشخاص : من أشعر الناس : فيتخطر خاطراً ، أو يحمله المجلس الذي كان يدور فيه الحديث إذ ذاك على خاطر ، يحمله على الحكم بتفوق شاعر آخر ، وهكذا ومن هنا كان سبب هذا التناقض والاختلاف في الرأي .

وقد كان من السهل وقوع مثل هذا التناقض ، لأن العلم كان بالمشافهة ، ولم يكن عن تدوين وقراءة كتب ، وكان بالذاكرة والتذكر ، وكان حكمهم بنصف البيت وبالبيت وبالقطعة وبالقصيدة ، أو بجملة قصائد ، لا بمراجعة شعر كل شاعر ، وبمقابلته بشعر الشعراء الآخرين ، واستنباط ما في مجموع شعر كل شاعر من مزايا ، للمقابلة بينها . ثم للحكم للمتفوق الأجود . فذلك أمر لم يكن من الممكن حدوثه : لعدم وجود التدوين عندهم ، ثم إنه لم يكن معروفاً عندهم . فلما وقع التدوين ، وأخذ علماء الشعر في التنقير في كل جهة بحثاً عن الشعر وما قيل فيه ، ظهر ذلك التناقض وبان ، ودوّن كل ما أمكن تدوينه ، بعد أن ضاع من الشعر ومن الآراء التي قيلت عنه ما ضاع ، وكانت الخلاصة هذا الواصل الينا .

وقد أشار أهل الأخبار الى ما كان للعصبية من أثرها في تفضيل الشعراء بعضهم على بعض : عصبية قبلية ، وعصبية محلية ، وعصبية منافسة وتراكض على الزعامة . فالقبائل تقدم شعراءها على شعراء غيرها وتجعل في أيديهم ألوية الشعر ، وقيادة الشعراء في معارك القصيد ، وأهل العصبية الى عدنان ، يقدمون شعر (ربيعة) وأولهم

(المهلهل) على غيره، ويرون أنه مفتق الشعر ومهلهله ، وأول من قصد القصائد[1]، وأهل اليمن يرون تقدمة الشعر لليمن ، يزعمون أنه بدأ في الجاهلية بامرىء القيس، وفي الإسلام بحسان بن ثابت ، وفي المولـدين بالحسن بن هانىء ، وأصحابه : مسلم بن الوليد ، وأبـي الشيص ، ودعبل ، وكلهم من اليمن ، وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين : حبيب ، والبحتري ، ويختمون الشعر بأبي الطيب ، وهو خاتمة الشعراء لا محالة ، ويرجعون نسبه الى اليمن[2] .

قال (ابن رشيق) في (العمدة) : « والشعراء أكثر من أن يحـاط بهم عدداً ، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم ، وسار شعرهم ، وكثر ذكرهم ، حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له ، وقلّ ما يجتمع على واحد ، إلا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في امرىء القيس أنه أشعر الشعراء ... »[3] .

وكان علماء البصرة يقـدمون امرأ القيس ، أما أهل الكوفة فكانوا يقدمون الأعشى ، وأما أهل الحجاز والبادية ، فقدموا زهيراً والنابغة . وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحداً ، كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً . وهـذا ما أتت به الرواية عن (يونس بن حبيب) النحوي[4] .

ولكنك إذا تتبعت وأحصيت ما قيـل على ألسنة أهل البصرة أو الكوفـة أو الحجاز من أقوال ، ترى تناقضاً بين هذه الرواية وبين ما حصلت عليه من دراسة تلك الأقوال . تناقضاً ينبئك أن هذا المروي ، هو وجهات نظر وآراء أشخاص ، ولا يمثل إجماع أهل الكوفة ، أو اجماع أهـل البصرة ولا اجماع أهل الحجاز ، أو اجماع أهل البادية ، ثم هو كله آراء وردت في الإسلام ، وان حاولت إرجاع أصلها الى الجاهلية .

ويذكر من يقدم (امرأ القيس) على غيره ، أن الرسول ذكره يوماً ، فقال: « ذلك رجل مذكور في الدنيا ، منسيّ في الآخرة ، يجيء يوم القيامة وبيـده

---

١ العمدة (٨٦/١ وما بعدها) ، (باب تنقل الشعر في القبائل) .
٢ راجع رأي علماء الشعر في أصل نسب المتنبي ، العمدة (٨٩/١ وما بعدها) .
٣ العمدة (٩٤/١) ، المزهر (٤٧٨/٢) .
٤ ابن سلام ، طبقات (١٦) ، العمدة (٩٨/١) ، المزهر (٤٨٢/٢) .

لواء الشعراء يقودهم الى النار »[1] . أو أنه قال : « إنه أشعر الشعراء، وقائدهم الى النار . يعني شعراء الجاهلية والمشركين »[2] .

وروي أن (عمر بن الخطاب) كان يفضل (امرأ القيس) على غيره ، ذكر أنه قال للعباس بن عبد المطلب ، « وقد سأله عن الشعراء : امرؤ القيس سابقهم : خَسَفَ لهم عين الشعر ، فافتقر عن معانٍ عور أصح بصر »[3] . « يريد أنه أول من فتق صناعة الشعر وفنن معانيها واحتذى الشعر على مثاله »[4]. وذكر أن (علي بن أبي طالب) كان يرى له التقدم على غيره ، وذلك بقوله: « رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة »[5] . فأنت ترى أن الرسول وعمر وعليّ ، قدّموا (امرأ القيس) على غيره ، وهم من أهل الحجاز . ولكننا نجد في الوقت نفسه رواية تذكر أن (ابن عباس) « قال : قال لي عمر : أنشدني لأشعر شعرائكم . قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال : زهير ، قلت : ولِمَ كان ذلك ؟ قال : كان لا يعاضل بين الكلام ، ولا يتتبع حُوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه »[6]. فهو يفضل في هذه الرواية زهيراً على غيره ، بما فيهم امرىء القيس ، إذ لم يشر اليه باستثناء .

ثم نجد رواية أخرى تذكر أن (عمر بن الخطاب قال : أي شعرائكم يقول:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

قالوا : النابغة . قال هو : أشعرهم »[7] . « وكان أبو بكر رضي الله عنه، يقدم النابغة ، ويقول : هو أحسنهم شعراً ، وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قعراً »[8]. فأبو بكر وعمر في هذا الموقف سواء ، فضلا النابغة على سائر الشعراء .

---

١ بلوغ الارب (٣/٩٣) ، المزهر (٢/٤٧٨) .
٢ العمدة (١/٩٤) .
٣ العمدة (١/٩٤) ، الفائق (١/٣٤٣) .
٤ تاج العروس (٣/٤٧٥) ، (فقر) .
٥ العمدة (١/٤١ وما بعدها ، ٩٤) ، تاج العروس (٧/٤١٢) ، (ضلل) .
٦ طبقات ابن سلام (١٨) ، العمدة (١/٩٨) ، الفائق (٢/١٦٥) ، الشعر والشعراء (١/٧٦) .
٧ ابن سلام ، طبقات (١٧) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٧٩ وما بعدها) .
٨ العمدة (١/٩٥) .

ولو استعرضنا رأي الشعراء في أشعر الشعراء ، وجدناه غير متفق ، فقد يفضل شاعر شاعراً ، وقد يخالفه فيه شاعر آخر ، وقد ينسب لشاعر رأي ، ثم ينسب له رأي مخالف . سئل (لبيد) : « من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل ، قيل : ثم من ؟ قال : الشاب القتيل ، قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل — يعني نفسه »[1] . و « روى الجمحي أن سائلاً سأل الفرزدق : من أشعر الناس؟ قال : ذو القروح ، قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

وقاهم جـــدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقابُ

وأما دعبل فقدمه بقوله في وصف عقاب :

ويلُمّها من هواء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب »[2] .

وقد سئل الفرزدق مرة : « من أشعر العرب ؟ فقال : بشر بن أبي حازم؛ قيل له : بماذا ؟ قال : بقوله :

ثوى في ملحدٍ لا بُدّ منه كفى بالموت نأيـاً واغترابا

ثم سئل جرير ، فقال : بشر بن أبي خازم ، قال : بماذا ؟ قال: بقوله:

رهين بلى ، وكل فتى سيبلى فَشُقّي الجيب وانتحبي انتحابا

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى »[3] . وقد رأيت أن الفرزدق كان قد سئل السؤال نفسه : من أشعر الناس ؟ فأجاب : ذو القروح ، أي امرىء القيس . بسبب بيت فوّقه به على غيره من الشعراء . بينما هو يقدم (بشر بن أبي خازم في هذه الرواية . وينسب أهل الأخبار لجرير رواية أخرى تزعم أنه سئل من أشعر الناس ، فقال : النابغة[4] . فخالفت هذه الرواية ما جاء في الرواية الأخرى .

---

١ العمدة (١/٩٥) ، المزهر (٢/٤٧٩) ، ابن سلام ، طبقات (١٦) .
٢ العمدة (١/٩٥) ، ابن سلام ، طبقات (١٦) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٣ العمدة (١/٩٦) .
٤ العمدة (١/٩٧) .

« وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبـــة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس،وأضربهم مثلاً طرفة . وأمـــا شعراء الوقت ، فالفرزدق أفخرهم ، وجرير أهجـــاهم ، والأخطل أوصفهم »[1] . « وفضل النقاد العرب طرفة عـلى سائر الشعراء بإجادته وصف الناقة في معلقته على نحو لم يسبق اليه ، ويميل بعضهم الى عده أشعر شعراء الجاهلية »[2] .

« وقيل لكثير أو لنصيب : من أشعر العرب ؟ فقـــال : امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب »[3] . فهو رأي قدم الشعراء المذكورين على غيرهم في حالات معينة ، ولم يقدم (امرأ القيس) على غيره بصورة مطلقة . و « زعم ابن أبـي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول: أشعر الناس أربعة : امرؤ القيس ، والنابغة ، وطرفة ، ومهلهل »[4] .

« وقالت طائفة من المتعقبين : الشعراء ثلاثة : جاهلي : واسلامي ، ومولد؛ فالجاهلي امرؤ القيس ، والاسلامي ذو الرمة ، والمولد ابن المعتز . وهذا قول من يفضل البديع وبخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر »[5] .

وحجة من قدم أمرأ القيس على غيره « ان امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق الى أشياء فاستحسنها الشعراء ، واتبعوه فيهـــا ، لأنه أول من لطّف المعاني ، ومن استوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعِقبان والعصي ، وفرق بين النسيب ومـــا سواه من القصيد ، وقرّب مأخذ الكلام ، فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه »[6] ، « وكان أحسن طبقته تشبيهاً »[7] .

---

١ العمدة (١/٩٦) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٢ بروكلمن (١/٩٢) .
٣ العمدة (١/٩٥) .
٤ العمدة (١/٩٧) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٥ العمدة (١/١٠٠) .
٦ الشعر والشعراء (١/٤٧٨ وما بعدها) ، العمدة (١/٩٤) ، ابن سلام ، طبقات (١٦ وما بعدها) ، الرواية ترجع الى « يونس » وقد دونها « ابن سلام » و « ابن قتيبة » المتوفى بعده (٢٧٦ هـ) ، مع شيء يسير من الاختلاف في النص .
٧ ابن سلام ، طبقات (١٦ وما بعدها) .

ووجد (زهير) له أنصاراً وأعواناً ، من المعجبين بـه في الاسلام بالطبع ، قدّموه على غيره من شعراء الجاهلية . وقد سبق أن أشرت الى رواية زعمت أن (عمر) فضله عـلى غيره من شعراء أهل الجاهلية[1] . وذكر أن (عكرمة بن جرير) سأل أباه جريراً : من أشعر النـاس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم الإسلام ؟ قـال : ما أردت إلا الإسلام ؟ فـإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ، قال : زهير شاعرهم »[2] . ويزعم أن (ابن عباس) سأل (الحطيئة) عن أشعر الناس ، فقال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه يفره ومن لا يتـق الشتم يشتم

وليس الذي يقول :

ولستَ بمستبق أخـاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب ؟

بدونه ، ولكن الضراعة أفسدته ، كما أفسدت جرولاً ، والله لـولا الجشع لكنت أشعر الماضين ، وأما الباقون فلا شك اني أشعرهم . قال ابن عبّـاس : كذلك أنت يا أبا مليكـة »[3] . وقائل البيت الأول زهير ، وقائل البيت الثاني هو النابغة .

ولكنّا نقرأ في رواية أخرى ما يخالف هذا الرأي ، نقرأ فيها أن سائلاً سأل الحطيئة عن أشعر الناس ، فقال أبو دؤاد حيث يقول :

لا أعُدّ الإقتار عُدماً ، ولكن فَقَدُ من قـد رزئته الإعدام

وهو رأي لم يقبل به أحد من النقاد[4] . وجعل بعده (عبيداً)[5] .

ورجح بعضهم (الأعشى) على غيره ، رجحه الشاعر (الأخطل) مثلاً ، فزعم أنه قال : « الأعشى أشعر الناس »[6] . وكان خلف الأحمر يقول : الأعشى

---

١ العمدة (١/٩٨) .
٢ العمدة (١/٩٦) .
٣ العمدة (١/٩٧) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٤ العمدة (١/٩٧) ، المزهر (٢/٤٨١) .
٥ الشعر والشعراء (١/٢٤٢) ، (دار الثقافة ، بيروت) .
٦ العمدة (١/٩٧) ، المزهر (٢/٤٨١) .

أجمعهم . وقال أبو عمرو بن العلاء مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره، وكان أبو الخطاب الأخفش يقدمه جداً ، لا يقدمُ عليه أحداً »[1] . « وقال بعض متقدمي العلماء : الأعشى أشعر الأربعة »[2] ، والأربعة ، هم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، أو زهير ، والنابغة ، والأعشى ، وعنترة[3] . « حكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة : كفاك من الشعراء أربعة : زهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا كلب . وزاد قوم : وجرير إذا غضب » ، « وقيل لكثير ، أو لنصيب ، من أشعر العرب؟ فقال : امرؤ القيس إذا ركب، وزهير اذا رغب ، والنابغة إذا رهب،والأعشى إذا شرب »[4] .

وحجة من قدم (الأعشى) ، أنه كان « أكثرهم عروضاً وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحاً وهجاء ونظراً وصفة كل ذلك عنده »[5] .

ووجد (النابغة) من فضله على غيره من شعراء الجاهلية ، وفيهم الخليفة (أبو بكر) الذي كان يقول عنه « هو أحسنهم شعراً ، وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قعراً »[6] و (عمر)[7] والشاعر (جرير)[8] ، وحجة من قدم النابغة على غيره أنه : « كان أحسنهم ديباجة شعرٍ ، وأكثرهم رونق كلام ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، ومدحاً ، وهجاء،وفخراً ، وصفة »[9] ، « وأجزلهم بيتاً . كان شعره كلام ليس فيه تكلف »[10] .

وزعم أن (الكميت) كان يقول : (عمرو بن كلثوم أشعر الناس) ،

---

١ العمدة (١/٩٥) .
٢ العمدة (١/٩٩) .
٣ العمدة (١/٩٥) .
٤ العمدة (١/٩٥) .
٥ ابن سلام ، طبقات (١/١٨) .
٦ العمدة (١/٩٥) .
٧ ابن سلام ، طبقات (١٧) .
٨ « وقال جرير : النابغة أشعر الناس » ، المزهر (٢/٤٨١) .
٩ العمدة (١/٩٩) .
١٠ ابن سلام ، طبقات (١٧) .

وأن الشاعر (ذو الرمة) فضل (لبيداً) على كل الشعراء[1] .

و « كان ابن أبي اسحاق ، وهو عالم ، ناقد ، ومتقدم مشهور ، يقول : « أشعر الجاهلية مُرَقش » ، وسأل عبد الملك بن مروان الأخطل : من أشعر الناس ؟ فقال : العبد العَجْلاني ، يعني تميم بن أبيّ بن مقبل »[2] ، وهو من المخضرمين[3] ، « وقيل لنصيب مرة : من أشعر العرب ؟ فقال : أخو تميم ، يعني علقمة بن عبدة ، وقيل أوس بن حجر ، وليس لأحد من الشعراء بعد امرىء القيس ، ما لزهير والنابغة ، والأعشى في النفوس »[4] .

وذكر (ابن سلام) أن (أبا عمرو بن العلاء) كان يرى أن (خداش ابن زهير) « أشعر في قريحة الشعر من لبيد ، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد . وكان يهجو قريشاً »[5] . ولعل هذا الهجاء هو الذي جعل الناس يأبون تقديمه في الشعر .

وروي عن (الأصمعي) ، أن (أبا عمرو بن العلاء) كان يقول : « كان أوس بن حجر فحل العرب ، فلما أنشأ النابغة طأطأ منه) ، وذكر عنه أيضاً ، وقد سُئل عن النابغة وزهير ، أنه قال : « ما كان زهير يصلح أن يكون أخيذاً للنابغة ، يعني راوياً عنه » . وروي أن أهل البصرة أجمعوا على امرىء القيس وطرفة بن العبد ، وأجمع أهل الكوفة على بشر بن أبي خازم والأعشى الهمداني ، وأجمع أهل الحجاز على النابغة وزهير[6] .

وليونس النحوي رأي في أشعر الشعراء ، قيل إنه سئل « عن أشعر الناس فقال : لا أومىء الى رجل بعينه ، ولكني أقول : امرؤ القيس إذا غضب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا غضب »[7] . فربط الشاعرية بحالة من الحالات النفسية . وورد التفضيل على هذا النحو : « أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ،

---

١ المزهر (٢/٤٨١) .
٢ العمدة (١/٩٧) ، ابن سلام ، طبقات (١٦) .
٣ الشعر والشعراء (١/٣٦٦) .
٤ العمدة (١/٩٧ وما بعدها) .
٥ ابن سلام ، طبقات (٣٢ وما بعدها) .
٦ السيوطي ، شرح شواهد (١/٨٠) .
٧ ياقوت ، ارشاد (٧/٣١٠) .

وزهير إذا رغب ، والنابغه إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . وكان زهير أجمع الناس للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ ،وأحسنهم تصرفاً في المدح والحكمة»[1].

ترى مما تقدم أن موضوع من كان أشعر شعراء الجاهلية موضوع حساس ، لما كان للعصبية وللذوق الشخصي دخل فيه ، ثم إنهم لم يكونوا يحكمون من دراسة الكلّ ، أي بدراسة كل ما ينسب الى الشاعر من شعر ، وانما كانوا ربما حكموا على الشاعر ببيت أو ببيتين ، وحكم مثل هذا لا يمكن أن يتخذ حكماً علمياً ، أضف الى ذلك أنهم لم يميزوا بين ما نسب الى الشاعر من شعر ، وبين ما صح له من شعر ، ولا يكون الحكم في مثل هذه الأمور حكماً علمياً، إلا بدراسة عميقة لشعر كل شعر ، بعد تمييز صحيحه من فاسده ، ثم مطابقته ومقابلته بشعر الشعراء الآخرين . الى أمور أخرى من هذا القبيل ، يطرقها نقاد الشعر والأدب ، بمقاييس ثابتة ، أما مقاييس تلك الأيام فقد اختلفت، وخضعت للعواطف والأهواء ، و (السيوطي) على حق حين يقول في هذا الموضوع : « وهذا يدلك على اختلاف الأهواء وقلة الاتفاق »[2] .

وقد يعمد علماء الشعر الى بيت من شعر ، فيجعلونه أحسن بيت قيل في الجاهلية ، أو عند العرب ، فقد قالوا : ان الاتفاق قد وقع على أن أمدح بيت للجاهلية ، هو قول زهير :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله[3]

ولكنهم قالوا ان الشاعر (دعبل) قال : إن أمدح بيتٍ قالته العرب في الجاهلية قول أبي الطمحان القيني :

وإن بني أوس بن لأم أرومة علت فوق صعبٍ لا ترام مراقبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه[4]

---

١ بلوغ الارب (٣/٩٨) .
٢ المزهر (٢/٤٨٢) .
٣ بلوغ الارب (٣/٩٩) .
٤ بلوغ الارب (٣/١٢٨) .

وروي عن الأصمعي قوله إن بيت (أبي ذؤيب) الهذلي :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردّ الى قليل تقنع

هو أبرع بيت قالته العرب[1] .

وقد كان (بشار بن برد) حذراً حين سئل : أخبرنا عن أجود بيت قالته العرب ؟ فقال : إن تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديدٌ ، ولكن قد أحسن كل الإحسان لبيد في قوله :

وأكذب النفسَ إذا حدّثتها إن صدق النفس يزرى بالأمل
وإذا رمت رحيلاً فارتحل وأعصى من يأمر توصيم الكسل[2]

وقد ذهب علماء الشعر الى أن أشعر أهل المدر ، أهل يثرب ، ثم عبد القيس ثم ثقيف ؛ وأن أشعر ثقيف (أمية بن أبي الصلت) . أما أشعر أهل يثرب، فهو حسان بن ثابت في نظر كثير من رواة الشعر . وورد في بعض الأخبار أنه أشعر أهل المدر[3] .

نقد الشعر :

وذكر أن الشعراء الجاهليين ، كانوا يراجعون شعر بعضهم بعضاً ، وينقدونه لما كان بينهم من تسابق على نيل الشهرة والاسم ، أو لما كانوا يجدونه في شعر الشاعر من هنة أو غفلة أو هفوة ، كالذي ذكروه من أمر الشاعر (المتلمس) ، ذكر أن (طرفة بن العبد) ، سمع قوله :

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

وكان إذ ذاك صبياً ، فقال : استنوق الجمل فصار مثلاً[4] .

---

١ بلوغ الارب (٣/١٤٠) .
٢ بلوغ الارب (٣/١٣١) .
٣ الاغاني (٣/١٨٠) ، (٣/٤) ، العمدة (١/٨٩) ، (باب تنقل الشعر في القبائل) .
٤ الشعر والشعراء (١/١١٥)، وتسب هذا البيت خطأ الى المسيب بن علس ، الموشح (٧٦) ، الاغاني (٢٣/٥٥٩) .

أو أنهم كانوا ينقدونه عند التحكيم . ليقتنع الشعراء بصحة حكم الحكم، كالذي كان من أمر (النابغـــة) في سوق عكاظ ، وكالذي روي من تنازع (امرؤ القيس) مع (علقمة) الفحل على الشعر ، وقول كل واحد منهما لصاحبـــه : « أنا أشعر منك » ، ومن قبولهـــما بتحكيم (أم جندب) ، زوج (امرىء القيس) بينهـــما . وقبول (أم جندب) الحكم بينهما . فذكر أنها قالت لهما : « قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحـدة ، فأنشداها ، ثم حكمت بترجيح شعر علقمة على شعر زوجها ، وأظهرت لها العوامل التي حملتهـا على هذا الترجيح ، فغضب امرؤ القيس عليها وطلقها ، فخلف عليها (علقمة)[1]. وهي قصة من هذا القصص الموضوع على (امرىء القيس) .

ويقتضي ذلك أن الشعراء كانوا يحفظون شعر غيرهم ، فقـــد كان منهم من إذا قابل شاعراً ، وجادله في شعره ، أنشده شعره ، وبين له ما يراه فيه مـن عيوب . وقد رأيت كيف زعموا أن (النابغة) لما جاء (يثرب) ، أراد أهلها أن يظهروا له ما في شعره من (إقواء) ، وهو من عيوب الشعر ، فأمروا قينة فغنت به ، وأبانت له موطن الإقواء ، فأحس به ، ويقـــال له إنه تركه من يومئذ .

أما استحسان العلماء لشعر شاعر ، أو تخبيثه أو تسخيفه ونقده ، فقـــد خضع عندهم لعوامل عديدة،قامت في بادىء أمرها على الذوق والمزاج ، فهذا يستحسن شعراً لورود بيت فيه استحسنه واستعذبه على حين يرى آخر أنه لا يساوي شيئاً ، وليس فيه ما يدعو الى المدح والثناء عليه ، ثم على العروض ، فنرى العسكري يعترض على اختيار الأصمعي لميمية المرقش ، وقد سبق لابن قتيبة أن اعترض على اختيار الأصمعي القصيدة أيضاً ، وقال الآمدي انه ليس بحاجـــة الى ذكر العيوب العروضية فيها لكثرتها[2]،ثم على النحو والبيان والبديع وغير ذلك من علوم الصناعة التي وضعت في الاسلام ، وقد كان عليهم ملاحظة أن هذه العلوم إنمـــا وضعت أو ثبتت في الإسلام ، وان الذوق الجاهلي يختلف عن الـــذوق الإسلامي ، وان

---

١ الشعر والشعراء (١٤٦/١ وما بعدها) ، (علقمة بن عبدة) ، الاغاني (٢٢٥/٢١ وما بعدها) ، الموازنة (٣٧/١) .

٢ الصناعتين (٤) ، غرونباوم (١١٢) .

(الخليل) لم يجمع كل بحور الشعر الجاهلي ، بل طرح بعض الأوزان الهزيلة التي كان القدماء قد استنبطوها[1] ، ولعله لم يتمكن من الوقوف على أوزان أخرى ، لأنها لم تكن مألوفة بين عرب العراق ، أو لأنها صيغت بلهجات قبائل لم يرتح من شعرها ، لأنه من الشعر القبلي الخاص .

وفضل العلماء الشعر الذي يكون فيه البيت تاماً مستغنياً بمعناه عن غيره ، وقالوا لذلك : البيت المقلد . لأنه قائم بذاته غني عن غيره ، يضرب به المثل[2] . ولهذا رأوا في القصيدة الجيدة ، أن تكون أبياتها مقلدة ، إذا قدمت بيتاً منها على بيت أو أبيات ، أو اذا أخرت بيتاً منهـا ، أو حذفت بيتاً منها أو أكثر ، فإنهـا لا تتأثر بهذا التغيير والتبديل . ولعل لهذا الرأي صلة بقولهم : « ومقلدات الشعر وقلائده البواقي على الدهر »[3] .

وقد أورد (الجاحظ) رأياً في القصيدة لخلف الأحمر ، فقال : « أمـا قول خلف الأحمر :

وبعض قريض القوم أولاد علة

فإنه يقول : إذا كان الشعر مستكرهاً ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلاّت . وإذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عنـد إنشاد ذلك الشعر مؤونة .

قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً ، وسُبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان »[4] .

وقد رأينا أمثلة كثـيرة في استحسان شعر شاعر ، أو في المفاضلة بين شعر الشعراء ، والموازنة بينهم ، وقد بنيت على أبيات ، أعجبت الناقـد المفاضل ،

---

١ غرونباوم (١٣٥) .
٢ ابن سلام ، طبقات (١٢٧ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، الجرجاني ، الوساطة (٣٣) .
٣ تاج العروس (٢/٤٧٥) ، (قلد) .
٤ البيان والتبيين (٦٦ وما بعدها) .

ففضل شاعره الذي جعله أشعر الشعراء على غيره ، ثم رأيناه نفسه ، لكـــن في موقف آخر يفضل غيره عليه ، بسبب بيت أو أبيات أعجبه أو أعجبته . وقـد تبدلت هذه النظرة في أيام العباسيين، فنجد لابن سلام مقاييس جـديدة في النقد، وفي وضع الشعراء وتصنيفهم الى طبقات . ونجد لابن قتيبة رأياً في النقد يستنـــد على آراء من تقدم عليه وعلى ملاحظاته الشخصية في النقد والموازنة بين الشعراء ، وقد يخالف غيره على رأيه. خذ ما قاله من نقد مرير في (الاصمعي) حيث يقول: « ومن هذا الضرب أيضاً قول المرقش :

هل بالديار أن تجيب صمَمْ لو أن حيـــاً ناطقاً كلّمْ
يأبى الشباب الأقـــورين ولا تغبط أخاك أن يقال حكم

والعجب عندي من الأصمعي ، إذ أدخله في متخيره ، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروي ، ولا متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى ، ولا أعـــلم فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

النشر مِسكٌ والوجـــوه دنا نير وأطراف الأكف عنم »[1]

ويذكر أهل الأخبار أن من الشعراء من كان يستحسن بيت شاعـر ، فيسطو عليه . ونجد (ابن قتيبة) يذكر في كتابه (الشعر والشعراء) ما أخذه الشعراء بعضهم من بعض ، فذكر مثلاً أن (طرفة) ، و (النابغة) الجعدي، والشمّاخ ، و (أوس بن حجر) ، و (النجـــاشي) ، وزهير ، والمسيب ، وزيد الخيل أخذوا من شعر (امرىء القيس) ، فنظموه في شعرهم[2] . وإذا صـــح ذلك ، كان معناه أن أولئك الشعراء كانوا قـــد حفظوا شعر (امرىء القيس) ، وأنهم كانوا يحفظون أشعار غيرهم من الشعراء المتقدمين عليهم أو المعاصرين لهم، وبذلك سطوا على ذلك الشعر أو على معناه .

غير أننا لو درسنا الأمثلة التي ذكرها (ابن قتيبة) وغيره على أنها من سرقات الشعر ، نرى أن أكثرها لا يمكن أن يعد سرقة ، لأن للسرقة الشعرية علامات

---

١ الشعر والشعراء (١/١٨ وما بعدها) .
٢ الشعر والشعراء (١/٦٨ وما بعدها) .

ولا نكاد نلمس من هذه العلامات شيئاً في الشعر المتهم بأنه شعر مسروق . وإنما نجده من قبيل توارد الخاطر لا غير ، أسرع نقاد الشعر ، فجعلوه سطواً وسرقة .

ونحن لا نعلم من أمر نقد الشعر عند الجاهليين إلا ما جاء في الموارد الاسلامية وهو شيء قليل ، وهو شيء لا ندري أيضاً مكانه من الصحة ، وكل ما لدينا من تقسيم للشعراء الى طبقات ومن تفضيل شاعر على شاعر ، ومن تفضيل شعر على شعر هو مما عمل في الاسلام،صنع وفق قواعد نقد دوّنها العلماء . وقد ظهرت بواكير النقد العلمي للشعر الجاهلي عند علماء اللغة والنحو والعروض ، ثم تولاها علماء راعوا أصول البيان والبلاغة والبديع في نقد الشعر ، ولما كان هذا النقد لا يخص موضوعنا بالذات ، وقد كتب عنه المتخصصون ، فأنا أترك أمره اليهم، وقد وضعت فيه مؤلفات حديثة ، وضعها عرب ومستشرقون .

أشعر الناس حياً :

ويروي أهل الأخبار أن أشعر الناس حيّاً هذيل . وقيل : « أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث . وهي : الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ؛ فأولها هذيل ، وهي تلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة في السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد ، أزد شنوءة ، وهم : بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد . وقيل : أفصح الناس : عليا تميم وسفلى قيس ، وقيل:سافلة العالية وعالية السافلة ، يعني : عجز هوازن. وأهل العالية : أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ودنا منها ، ولغتهم ليست بتلك عند (أبي زيد)[1] .

ويلاحظ أن هنالك قبائل كثيرة لم يروِ علماء الشعر لها شعراً ، أو أنهم رووا شعراً قليلاً لها ، بينها قبائل كبيرة معروفة ، كان لها تقدم ونفوذ ، مثل : (الغساسنة) و (تنوخ) و (لخم) و (بهراء) ، و (كلب) ، ولا يعقل أن يكون الله قد حرم هذه القبائل من قول الشعر ، فلم ينبت في أرضها شاعر ، ولم يقم بينها من جارى القبائل الأخرى في قول الشعر ، وهم عرب مثل غيرهم،

---

١ العمدة (١/٨٨ وما بعدها) .

لهم حس وشعور ، فلا يعقل عدم ظهور شعراء بينهم ، ويظهر أن سبب اهمال رواة الشعر لشعر هذه القبائل هو اعتبارهم هذه القبائل دون القبائل الأخرى في اللغة والفصاحة ، لأنهم كانوا على اتصال بالحضر ، فلم يسائلوهم ، ولم يقيموا لشعرهم وزناً ، ولهذا لم يصل منه الينا شيء ، أو إلا القليل منه ، فظهرت تلك القبائل في جملة القبائل المقلة في الشعر .

وقد روي لبعض الشعراء شعر كثير ، فيه قصائد طويلة ، وصل لنا في دواوين ، أو في كتب الشعر والأدب ، فوقفنا بذلك على شعرهم . وهناك شعراء اشتهر أمرهم وعرف ذكرهم ، إلا أن معظم شعرهم قد ذهب معهم ، فلم يبق منه إلا القليل ، بحيث لا يتناسب هذا الباقي منه مع الشهرة التي أحاطت بهم . وقد عرف هؤلاء بالشعراء المقلين[1] .

ومن المقلين في الشعر : طرفة بن العبد،وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة الفحل، وعدي بن زيد ، وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء . وهي المعلقة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد

وله سواها يسير.ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل ، وحصين بن الحُمام المري ، والمتلمس ، والمسيب بن علس، ومنهم عنترة ، والحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم ، وعمرو بن معدي كرب ، والأسعر بن أبي حمران الجعفي ، وسويد بن أبي كاهل ، والأسود بن يعفر[2] .

الشعر والاسلام :

ورد في الحديث : لأن يمتلىء جوف الرجل قيحاً يَريه ، خير من أن يمتلىء شعراً » ، وورد أن رسول الله بينا كان بالعرج ، إذ عرض شاعر ينشد. فقال رسول الله : خذوا الشيطان ، أو امسكوا الشيطان لأن يمتلىء جوف الرجل قيحاً، خير له من أن يمتلىء شعراً »[3] . وفي القرآن : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له

---

١ المزهر (٢/٤٨٥) ، (المقلون من الشعراء) .
٢ العمدة (١/١٠٢ وما بعدها) .
٣ صحيح مسلم (٧/٥٠) ، (كتاب الشعر) ، زاد المسلم (١/٣٥٠ وما بعدها) ، كتاب خلق الانسان (٢٧٥ وما بعدها) ، (لابن أبي ثابت) .

إن هو إلا ذكر وقرآن مبين »[1] ، و « بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افتراه بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون »[2] ، و « يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون »[3] ، و « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون »[4] ، و « ما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تؤمنون »[5] ، و « الشعراء يتبعهم الغاوون . ألم ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا اللهَ كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »[6] .

وورد عن (عائشة) قولها ، وقد قيل لها : « هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان أبغض الحديث اليه . غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، فيجعل آخره أوله ، وأوله آخره . فقال له أبو بكر : إنه ليس هكذا ! فقال نبي الله : إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي »[7] . وورد في تفسير : « بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر » . « بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها في النوم . وقال بعضهم : هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه ، وقال بعضهم : بل محمد شاعر . وهذا الذي جاءكم به شعر »[8] . وورد في معنى : « ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » ، أن قريشاً قالوا : « أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون ... يعنون بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم »[9] . وقالوا في معنى « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » ، « قال ذلك قائلون من الناس : تربصوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، الموت يكفيكموه كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان » ، و « قال قائل منهم احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى

---

١ سورة يس ، الرقم ٣٦ ، الآية ٦٩ .
٢ الانبياء ، الرقم ٢١ ، الآية ٥ .
٣ الصافات ، الرقم ٣٧ ، الآية (٣٦) .
٤ الطور ، الرقم ٥٢ ، الآية ٣٠ .
٥ الحاقة ، الرقم ٦٩ ، الآية ٤١ .
٦ الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ٢٢٤ وما بعدها .
٧ تفسير الطبري (١٩/٢٣) ، (بولاق) ، صحيح مسلم (٤٨/٧ وما بعدها) .
٨ تفسير الطبري (٣/١٧) .
٩ تفسير الطبري (٣٣/٢٣) .

يهلك كما هلك من قبله الشعراء زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم »[1] . وفسر قوله تعالى : « ومـــا هو بقول شاعر » ، بـ « ما هذا القرآن بقول شاعر ، لأن محمداً لا يحسن قيل الشعر فتقولوا هو شعر »[2] ، وقولـــه : « والشعراء يتبعهم الغاوون » ، « الغاوون الرواة » ، وذكر أنهم في كل لغـــو يخوضون ، وان الله استثنى منهم شعراء المؤمنين[3] .

وقد كره ناس الشعر لما ورد عنه في القرآن الكريم وفي الحديث ، وامتنع بعض الشعراء من قوله كالذي ذكروه من ترك لبيد الشعر بعد دخوله في الإسلام، ومن قوله للخليفة (عمر) أو لعامله على الكوفة ، وقد سأله عما قالـــه من الشعر في الإسلام : « ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران»[4]. وأهمل بعض الصحابة رواية الشعر ، لما فيها من تذكير بأمر الجاهليـة وبأيامها ، وأقبل آخرون عـــلى القرآن يحفظونه بدلاً من الشعر الجاهلي ، ورأى آخرون أن في حفظه وفي انشاده إثارة لنعرة الجاهليـــة بعد أن حرمها الله ، كراهية وقوع الفتنة ، وحدوث القتال كالذي كان يقع في الجاهلية ، لا سيا ما يتعلق منه بالمدح وبالهجاء وبالأيام ، ولهـــذا قال (عمر) لحسان بن ثابت يوم مرّ به وهو ينشد الشعر بمسجد رسول الله : أرغاء كرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت »[5] .

فهذا الشعر المفرق المسبب للفتن أو الثالب للأعراض ، هو الشعر الـذي كره الناس روايته أو نظمه ، ولهذا كان (عمر) يحاسب الهجائين،فلما هجا (الحطيئة) (الزبرقان بن بدر) ، وشكاه (الزبرقان) عليه ، حكّم (عمر) (حسان بن ثابت) فيه ، فحكم عليه أنه « لم يهجه ، ولكن سلح عليه » ، فهو أشد إيلاماً من الهجاء ، فحبسه (عمر) ، وقال: « يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين»[6]،

---

١ تفسير الطبري (٢٧/٢٩) .
٢ تفسير الطبري (٢٩/٤٢) .
٣ تفسير الطبري (١٩/٧٩ وما بعدها) ، الصاحبي (٢٧٣ وما بعدها) .
٤ الشعر والشعراء (١/١٩٥ وما بعدها) ، (الثقافة) .
٥ العمدة (١/٢٨) .
٦ الشعر والشعراء (١/٢٤٤) ، (الخطيئة) ، (قال : ذرق عليـــه) ، ابن سلام طبقات (٢٥) .

ولما هجا (النجاشي) (بني العجلان) ، فشكوه الى (عمر) ، حكم (عمر) (حسّان بن ثابت) ، و (الحطيئة) في أمر هذا الهجاء ، فلما حكما بأنه هجاهم ، قال له (عمر) : « إن عدت قطعت لسانك »[1] . وروي أن رجلاً مرّ بباب رجل ، وقد كان فتمثل :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم

فاستعدى رب البيت عليه (عمر) ، فأمر به (عمر) فحد[2] .

وذكر أن النبي قال : « من قال في الاسلام هجاء مقذعاً فلسانه هدر »[3] . وأنه لما بلغه هجاء الأعشى (علقمة بن علاثة العامري) ، نهى أصحابه أن يرووا هجاءه[4] . وروي أن المنع عن رواية الشعر ، كان خاصاً بالشعر الذي هجي به النبي[5] .

ولما هجا (ضابىء بن الحارث) وكان رجلاً بذياً كثير الشر ، وكان بالمدينة صاحب صيد وصاحب خيل ، قوماً من (بني نهشل) استعدوا عليه (عثمان) فحبسه[6] . فكان حبسه لهجائه لا لشعره .

ومع ذلك ، فقد تهاجى الشعراء في أيام الأمويين وتنازعوا فيما بينهم ، وتطاول بعضهم على بعض ، وجرأت السياسة هذا الهجاء وأمدته بوقود يزيد في حدتـــه حدة ، لعصبيات وسياسة ، وتجرأ البعض في هجاء الحكومة وفي هجاء المعارضين ، رحرض (يزيد بن معاويـــة) الشاعر (الأخطل) على هجاء الأنصار ، وفي محيط مثل هـــذا المحيط ، انقسم الى أحزاب وفرق ، متخاصمة شديدة عنيفة في الخصومة ، لا بد وأن يجد الشعر فيه أرضاً طيبة ، ومنبتاً خصباً مساعداً . فكانت للشعراء حرية في النيل بعضهم من بعض ، واستفاد خلفاء بني أميـة من ذلك ، بتحريض شعرائهم على عض خصومهم ، مما لا مجال للبحث عنه في هذا المكان .

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٤٨) ، (النجاشي) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٣٦) .
٣ العمدة (١/١٧٠) .
٤ الفائق (١/٦٦٤) .
٥ الفائق (٢/٣٨٩) .
٦ ابن سلام ، طبقات (٤٠) .

وكان (عمر) قد نهى الشعراء عن ذكر النساء في أشعارهم ، لما في ذلك من الفضيحة ، وكان الشعراء يكنون عن النساء بالشجر وبالنخلة ، لئلا تشهر المرأة ، وخوفاً من أهلها وقرابتها[1] .

أما الشعر الآخر ، الذي لم يكن ينال الناس ، ولا يتذكر الأصنام والأوثان وأمور الجاهلية التي حرمها الإسلام ، فلم يتعرض له الإسلام بسوء ، بل كان الرسول نفسه يسمع الشعر ، ويطلب من الصحابة انشاده له ، وقد ورد أن الرسول سمع (عمرو بن كلثوم) ، وهو بعكاظ ينشد معلقته الشهيرة[2] ، وسمع شعر (أمية بن أبي الصلت) كما تحدثت عن ذلك في موضع آخر ، واستمع الى شعر (قيس بن الخطيم) ، والى شعر شعراء آخرين ، وكان يستملحه ويستعذبه ، ولا سيما شعر الحكمة والإرشاد . « جاء النابغة الجعدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من الشعر ما عفا الله عنه ؟ قال : نعم . قال : أنشدني منه ، فأنشده :

وإنا لقوم ما نعوّد خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا »

فلما أنشده قوله :

ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا
ولا خير في حلمٍ إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

قال رسول الله : « لا فض الله فاك »[3] .

ومن سيماء اهتمام الاسلام بأمر الشعر ، أن الشعر الجاهلي انما دون وثبت في أيامه . وأن الصحابة كانوا يحفظونه ويروونه ، وأن دواوينه ، إنما ظهرت في أيام الأمويين . فلم يحرم الاسلام الشعر ، ولم يظهر كرهه له ، وإنما كره الشعر الوثني الذي مجد الوثنية ، فطرح ولم يرو ، ولعل هذا هو السبب الذي جعلنا لا نقرأ في كتب الأدب والأخبار شعراً فيه إشادة بصنم ، أو بأمر من أمور

---

١ الخزانة (٢/١٩٣ وما بعدها) .
٢ الاغاني (٩/١٧١ وما بعدها) ، (ساسي) ، (١١/٥٤) .
٣ رسائل الجاحظ (١/٣٦٣ وما بعدها) ، (كتاب فصل ما بين العداوة والحسد) .

الجاهلية المناهضة للإسلام . وقد روي عن النبي قوله : « إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة ، أو قال : حكماً »[1] ، وأنه أمر حسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحه ، وكعب بن مالك بهجاء قريش . وأنه قال لحسان : اهجوا قريشاً ، فإنه أشد عليها من رشق النبل[2] .

وقد اعتذر العلماء عن سبب نفي الشعر عن الرسول ، بأن الشاعر ، لا يكاد يكون إلا مادحاً ضارعاً ، أو هاجياً ذا قذع ، وهذه أوصاف لا تصلح للنبي ، ثم إن فيه إيقاعاً، والايقاع ضرب من الملاهي ، ومن هنا لم يصلح الشعر للرسول[3] . وقد بحث (القرطبي) في موضوع نفي الشعر عن الرسول ، فرجع ذلك الى أربع مسائل : الأولى أنه كان لا يقول الشعر ولا يزنه ، وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم متمثلاً كسر وزنه ، وإنما كان يحرز المعاني فقط ، وذلك رداً لقول من قال من الكفار انه شاعر ، وإن القرآن شعر . وقد كان ربما أنشد البيت المستقيم في النادر[4] .

الثانية : اصابته الوزن أحياناً لا يوجب انه يعلم الشعر، وكذلك ما يأتي أحياناً من نثر كلامه ما يدخل في وزن ، كقوله يوم حنين وغيره :

هل أنتِ إلا إصبعٌ دميت وفي سبيل الله ما لقيتِ

وقوله :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن ، وفي كل كلام ، وليس ذلك شعر ولا في معناه ، كقوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »،وقوله: « نصر من الله وفتح قريب » ، وقوله : « وجفان كالجواب وقدور راسات» الى غير ذلك من الآيات[5] .

---

١ الصاحبي (٢٧٤) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٨٥٢) .
٣ المزهر (٢/٤٦٩ وما بعدها) .
٤ تفسير القرطبي (١٥/٥١ وما بعدها) .
٥ تفسير القرطبي (١٥/٥٢ وما بعدها) .

الثالثة : إن ما روي من عدم قوله الشعر ، لا يعني عيب الشعر ، وإنما لنفي الظنة عنه من أنه كان يقول الشعر .

الرابعة : ان قوله تعالى : « وما ينبغي له » ، يعني نفي الشعر عنه ، لئلا يظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر[1]

فالرسول لم يكره الشعر لكونه شعراً ، ولم يعبه أو نهى عن قوله ، وإنما كان النهي خاصاً به . قال « الخليل بن أحمد : كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كثير من الكلام ، ولكن لا يتأتى له »[2] .

---

١ المصدر نفسه (١٥/٥٤ وما بعدها) .
٢ كذلك (١٥/٥٢) .

الفصل الثاني والخمسون بعد المئة

تدوين الشعر الجاهلي

ليس في الشعر الجاهلي بيت واحد يستطاع أن يثبت انه كان مدوناً في الجاهلية وان رواة الشعر وحفظته وجدوه مكتوباً بأيدي جاهلية ، فنقلوه عنها . ولم يتجاسر على ما أعلم أحد من رواة الشعر أو حافظ من حفّاظه على الادعاء بأنه نقل ما عنده من شعر جاهلي من ديوان جاهلي ، أو من قراطيس جاهلية ، أو من مادة مكتوبة أخرى تعود أيامها الى الجاهلية . فكل ما وصل الينا من هذه البضاعة ، انما هو من عهد الكتابة والتدوين ، وعهد التدوين لم يبدأ إلا في الاسلام ، وأول تدوين للشعر ، انما كان في عهد الأمين .

وعدم وصول شعر جاهلي الينا مدون في أيام الجاهلية ، أو منقول عن مكتوبات جاهلية ، ثم عدم ادعاء أحد من قدماء الرواة انه قد نقل من دواوين أو قراطيس جاهلية ، يحملنا على القول بعدم تدوين الجاهليين لشعرهم وبعدم اهتمامهم بتسجيله. فلمَ وقع ذلك ؟ ولمَ أحجم الجاهليون عن تدوين شعرهم ، وهو تراثهم الخالد وسجلهم وديوانهم الذي به حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله ، وغريب حديث رسول الله ، وآثار صحابته والتابعين ؟ وقال علماء الشعر : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح ، واطمأن العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يئلوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب

مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقلّ ذلك ، وذهب عنهم كثير »[1] . « قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »[2] .

ومعنى هذا ان الشعر الجاهلي لم يكن مدوناً ، وانما كان محفوظاً في الصدور ، وقد ورد رواية باللسان ، فكانوا يتلونه حفظاً لا عن صحيفة أو كتاب ، يؤيد ذلك ما ورد في الأخبار من ان (بني أمية) ، وقد كانوا شغوفين جداً بالشعر القديم ، ربما اختلف الرجلان منهم في بيت شعر ، فيرسلان راكباً الى (قتادة) يسأله ، عن خبر ، أو نسب ، أو شعر ، وكان قتادة أجمع الناس . ولقد قدم عليه رجل من عند بعض أولاد الخلفاء من بني مروان ، فقال لقتادة : من قتل عمراً وعامراً التغلبيين يوم قِضة ؟ فقال : قتلها (جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) . قال فشخص بها ثم عاد اليه . فقال : أجل قتلها جحدر ، ولكن جميعاً ؟ فقال : اعتوراه فطعن هذا بالسنان ، وهذا بالزج فعادى بينهما[3] . وعلى ما في هذا الخبر من أثر الصنعة والتكلف ، فإن فيه دلالة على شغف الأمويين بسماع أخبار الأيام الماضية ، وبعدم وجود مدونات في ذلك الوقت ، تضم الشعر والأخبار والنسب ، لذلك ، كانوا يرسلون الى خاصتهم ومن يرون فيه العلم بهذه الأمور للاستفسار منهم عما يريدون الوقوف عليه .

ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد من أن الرسول كان اذا أراد سماع شعر شاعر ، سأل من كان في حضرته من يحفظ من شعر فلان ؟ فينشده عليه من قد يكون حافظاً له ، ثم ما يروى من ان الصحابة كانوا يحفظون الشعر ، ومن انهم كانوا اذا أرادوا الوقوف على شعر شاعر لم يحفظوا شعره ، سألوا غيرهم ممن يحفظه عنه . ولم نسمع في الأخبار ، ان أحداً من الصحابة ، كان يملك ديواناً ، أو كتاباً فيه شعر ، أو خبر ، أو نسب ، وانهم كانوا يرجعون الى المدونات ، في مثل هذه الحالات .

ولكن ما ذهبنا اليه من عدم وجود تدوين للشعر الجاهلي ولأخبار الجاهلية ،

---

١ المزهر (٢/٤٧٣ وما بعدها) ، (ذهاب الشعر وسقوطه) .
٢ المزهر (٢/٤٧٤) ، (ذهاب الشعر وسقوطه) .
٣ العسكري ، التصحيف والتحريف (٤) ، مصادر الشعر الجاهلي (١٩٨) .

تنفيه روايات تزعم ان الجاهليين كانوا يدونون أشعارهم ، فقد روي ان (النعمان ابن المنذر) أمر « فنُسخت له أشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس ، ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن عبيد الثقفي ، قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار ، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة »[1] . وروايات تذكر انه « قد كان عند آل النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول،وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بني مروان أو ما صار منه »[2] . وروايات تقول ان العرب كانت شديدة العناية بشعرها ، مبالغة في المحافظة على الجيد منه،فأمرت بكتابتها بماء الذهب على القباطي وبتعليقها على الكعبة ، إعجاباً بها وإشادة بذكرها . وقد عرفت تلك القصائد بالمذهبات وبالمعلقات وبالسموط[3]. وروايات تذكر ان الملك كان اذا استجديت قصيدة يقول: « علّقوا لنا هذه لتكون في خزانته »[4] .

وتنفيه أيضاً روايات أخرى تفيد أن بعض الشعراء الجاهليين كانوا يقرأون ويكتبون، كالذي جاء عن (عدي بن زيد) العبادي ، وعن (المرقش الأكبر) من أنه كان قد تعلم الكتابة من رجل من أهل الحيرة ، فصار يكتب أشعاره ، وكالذي يظهر من بيت لابن مقبل يفيد أن عرب أواسط جزيرة العرب كانوا يدوّنون أشعار الشعراء[5] .. وقد ذكر أن (سعد بن مالك) والد (المرقش) ، أرسله وأخاه الى رجل من أهل الحيرة فعلمها الكتابة[6] . وروي أنه كان يكتب بالحميرية[7] ، فلا يعقل إذن أن يدوّن أمثال هؤلاء الشعراء الكتاب القرّاء شعرهم، أو بعض شعرهم المستجاد على الأقل !

وتنفيه الرواية القائلة إن (لقيط بن يعمر) الإيادي ، كتب قصيدة وأرسلها

---

١ المزهر (١/٢٤٩) ، (النوع الخامس عشر ٠ معرفة المفاريد) ، ابن جني ، الخصائص (١/٣٩٢ وما بعدها) ، تاج العروس (٢/٧٠) ، (الطنوج) ٠

٢ المزهر (٢/٤٧٤) ، (ذهاب الشعر وسقوطه) ، تاج العروس (٢/٧٠) ، الجمحي طبقات (١٠) ٠

٣ المزهر (٢/٤٨٠) ، (مشاهير الشعراء) ٠

٤ المزهر (٢/٤٨٠) ، (مشاهير الشعراء) ، العمدة ، لابن رشيق (١/٩٦) ٠

٥ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (١/١٣) ، مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الرابع ، الجزء الثاني) ، (١٩٥٦ م) ، (ص ٥٢٢) ٠

٦ الاغاني (٦/١٣٠) ، المفضليات (٤٥٩ وما بعدها) ٠

٧ الشعر والشعراء (١/١٣٩) ٠

الى قومه (إياد) يحذرهم فيها من مجيء جيش كسرى اليهم ، للإيقاع بهم ، وذلك في قصيدته التي استهلها بقوله :

سلام في الصحيفة من لقيط الى مَنْ بالجزيرة من إياد[1]

وتنفيه روايات أخرى تشير الى أن العرب في صدر الإسلام ، كانوا يدوّنون الشعر ويوزعونه بين الناس لينتشر بينهم ، فلما هجا (النجاشي) الأنصار ، اجتمع سادتهم وتذاكروا أمره ، ثم ذهب قوم الى (حسان)، فنظم شعراً في هجائه ، كتبه غلمان الكتاب[2] ، وما كانت الغاية من تدوين الغلمان له ، إلا اذاعته ونشره بين الناس . وروي أن (عبدالله بن الزبعرى) ، و (ضرار بن الخطاب) الفهري ، قدما المدينة فتلاحيا مع (حسان) ، في أمر الشعر ، وقالا شعراً مما كانا قالاه في الأنصار ، وكان عمر قد نهى عن رواية شعر الهجاء حذر الفتنة ، فغضب (حسان) منهما ، وذهب الى (عمر) ، فأخبره بما وقع ، فأرسل وراءهما ، وطلب من حسان أن ينشدهما مما قاله لهما ، فأنشدهما ، فلما انتهى من إنشاده كتب ذلك ، وحفظ مع شعر الأنصار ، وكانوا يكتبونه حذر بلاه[3] . وروي أن (طلحة) ، أنشد قصيدة ، فما زال شانقاً ناقته حتى كتبت له[4] .

غير اننا اذا ما تتبعنا تأريخ ورود هذا الذي ذكرته عن وجود التدوين في الحيرة وارتفعنا به حتى نصل به الى أصله ، نجد انه جاء كله نقلاً ، وقد أخذه المتأخرون عن المتقدمين ، والمتقدمون عن طبقة أقدم ، حتى نصل الى مرجع واحد هو آخر سلسلة السند ، الذي ينتهي بـ (حماد الراوية) و (ابن الكلبي) . فحماد هو صاحب الزعم المتقدم ، القائل ان النعمان بن المنذر ، أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج[5] ، وابن الكلبي هو صاحب الخبر القائل ان العرب علقت القصائد السبع على الكعبة ، وان العرب اختارتها من بين القصائد الجاهلية الكثيرة فوضعتها على أركان الكعبة ، إعجاباً بها وإشادة بذكرها !

---

١ الشعر والشعراء (١/١٢٩) ، الاغاني (٢٠/٢٣) .
٢ مصادر الشعر الجاهلي (١٢٥) .
٣ الاغاني (٤/١٤٠ وما بعدها) .
٤ الزمخشري ، الفائق (١/٦٧٧) .
٥ المزهر (١/٢٤٩) ، (النوع الخامس عشر) .

وهناك رواية أخرى مشابهة لرواية حماد عن تعليق المعلقات ، يرجع سندها الى (ابن الكلبي) ، هذا نصها : « قال ابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ وقيل سنة ٢٠٦ : أول شعر علق في الجاهلية شعر امرىء القيس ، عُلّق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر اليه ، ثم أحدر فعلقت الشعراء ذلك بعده ، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية ، وعدّوا من علق شعره سبعة نفر ، إلا ان عبد الملك طرح شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة »[1] . « وزاد بعضهم انهم كانوا يسجدون لها كما يسجدون لأصنامهم »[2] . ولابن الكلبي زعم آخر له علاقة بهذا الموضوع ، فقد ذكر انه كان يقول : « كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى ، وتأريخ نسبهم ، من كتبهم بالحيرة »[3] .

فنحن اذن أمام رجلين يرجع اليهما خبر وجود تدوين للشعر الجاهلي ، كان أحدهما من أمرس الناس بالشعر الجاهلي ، وكان ثانيهما من أشهر رجال الأخبار . ولا نعرف أحداً تقدم عليهما : زعم هذا الزعم ، أو ادعى هذه الدعوى ! ثم اننا لا نجد في مؤلف من المؤلفات الاسلامية التي وصلت الينا ما يفيد ان أحداً قد نقل شيئاً من مدون جاهلي ، أو قرأ فيه ، خلا ما ورد عن (ابن الكلبي) من انه كان يستخرج أنساب آل نصر وتأريخ من حكم منهم ومدد أعمارهم وما الى ذلك من بيع الحيرة[4] .

ولا يعقل بالطبع تصور انفراد حمّاد وحده بمعرفة أمر ديوان النعمان بن المنذر ، دون سائر الرواة وعشاق الشعر ، وبينهم من كان لا يقل حرصاً ولا تتبعاً له عن حمّاد . ولا يعقل أيضاً تصور بلوغ الحرص والأنانية بآل مروان درجة جعلتهم يضنون حتى بالتلويح أو باراءة ذلك الديوان الجاهلي بعضهم بعضاً . ولو كان عند آل مروان ذلك الديوان حقاً ، لافتخروا بوجوده لديهم ، ولعرضوه على الناس ، ولأخذوا منه الشعر القديم ، ولما استعانوا بالرواة من حمّاد وأمثاله ليرووا لهم الشعر الجاهلي وليجمعوا لهم ذلك الشعر ، وحمّاد نفسه شاهد على ذلك.

---

١ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (٣/١٨٧ وما بعدها) .
٢ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (٣/١٨٦) .
٣ تأريخ الطبري (٢/٣٧) .
٤ تأريخ الطبري (٢/٣٧) .

حيث كانوا يستدعونه من العراق ليسألوه أمـــر شعر ، خفي عليهم ، أو شعر لا يعرفون عنه شيئاً ، ثم كيف يسكت رواة أهـــل الكوفة عن هذا الديوان ، فلا يشيرون في أخبارهم ورواياتهم اليه ، ولا يلحقون به سندهم في روايتهم للشعر؟ قال (ابن النديم) : « قال أبو العباس ثعلب : جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وردّ الديوان الى حمّاد وجناد »[1] ، فلو كـــان لدى آل مروان ديوان جاهلي قديم ، فهل يعقل ترك الوليد ذلك الديوان وذهابه الى حمّاد وجنّاد يستعين بما عندهما من دواوين شعر ، أو من ديوان شعر ليجمع له ديواناً بأشعار القدماء ، فلما جمع له ديواناً من ديواني حماد وجنّاد أعادهما عليهما ! ولو فرضنا أنـه كان قد استعان بهما ، لأنهما كانا قد جمعا شعر شعراء لم يكن عنده شعرهم ، فإن الرواة ما كانوا ليسكتوا هـذا السكوت المطبق عن ذلك،ولقالوا على الأقل إنه قد كان عنده ديوان شعر جاهلي، لكنه لم يكن تاماً ، يضم كل أشعار الجاهليين ، فاستعان بهما لسدّ هذا النقص. ولو كان ديوان حمّاد أو ديوان جناد من دواوين أهل الجاهلية ، لما سكت العلماء عن ذلك ، ولما سكت حماد نفسه ، أو جنّاد من التنويه به ، لما لهذا التنويه من أهمية بالنسبة لهما ، ولإثبات أنهما كانا صادقين في رواية الشعر ، وانهما استقيـــا الشعر من منابع أصيلة لا يرتقي اليها الشك .

ثم انه لو كان لحماد أو غيره من أهـــل الكوفة ديوان جاهـلي ، أو ان أهل الكوفة كانوا قد وقفوا على ديوان النعمان بن المنذر أو على كتب من كتب أهل الحيرة في الشعر أو في التواريخ والأخبار ، لما سكتوا عن ذلك أبداً،ولأسندوا روايتهم الى تلك المدونات ، رداً بذلك على أهل البصرة الذين اتهموهم بالافتعال وبنحل الشعر على ألسنة الشعراء الجاهليين ، وبأخذهم من أفواه أعراب لا يطمئن اليهم ، على الأقل .

إن سكوت الرواة وعلماء الشعر عن أمر هذا الديوان ، واقتصار خبر وجوده على روايات حماد ، يحملنا هذا السكوت الغريب ، على الشك في هذا المروي عنه وعلى التريث ولو مؤقتاً في تصديقه ، حتى يقوم دليل جديد مقنع بوصول شيء من مكتوبات أهل الحيرة الى الاسلاميين يمكننا من إبداء رأي علمي واضح في هذا الموضوع .

---

١ الفهرست (١٤٠) .

وقد سكتت كل الأخبار التي تحدثت عن (طنوج) النعمان بن المنذر ، عن الجهة التي دخل الديوان في ملكها . كما سكتت عن مصيره النهائي . فأين ذهب يا ترى ذلك الديوان ؟ ولِمَ لم ينقل منه أحد ؟ ولِمَ لم يشر الى وجوده شخص آخر غير حمّاد ؟

ولم أعثر حتى الآن على خبر يفيد علم أحد من المتقدمين على حماد بوجود ديوان شعر جاهلي مدوّن ، ولا ينقل أحد من الرواة وبضمنهم حماد نفسه من هذا الديوان أو من ديوان آخر يعود تأريخه إلى أيام الجاهلية . مع أن بين عشاق الكتب من كان يقتني الكتب والقراطيس القديمة ، ويتهالك ويستهتر في المحافظة عليها وفي العناية بها ، وبينهم من كان يملك ما شاء الله منها . وقد قص (ابن النديم) الورّاق المتهالك في البحث عن الكتب قصصاً عن القراطيس والكتب القديمة وعن استهتار الناس بجمع الخطوط العتيقة ، ولم يشر الى عثوره هو أو غيره على صفحة واحدة مكتوبة قبل الإسلام في الشعر أو في النثر . ولو كان قد سمع بهذه الأوراق ، لما تركها تمرّ سبيلها ، فلا يراها أو يسمع عنها ممن وقف عليها ورآها على الأقل[1] . نعم : ذكر أنه « كان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد أدم فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعا ، عليه ألف درهم فضة كيلاً بالحديدة ، ومتى دعاه بها أجابه شهد الله والملكان . وكان الخط شبه خط النساء »[2] . وهو خبر تظهر عليه آثار الصنعة ، والوضع .

وقد يكون خبر الديوان ، وخبر (الطنوج) من مفتعلات (حماد) و (ابن الكلبي) ، لإظهار سبب تفوق أهل الكوفة على أهل البصرة بالعلم بالشعر ، كما يظهر ذلك جلياً من نص الخبر ، وهو « ومن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة »[3] ، ولإظهار سبب تفوق (ابن الكلبي) على غيره من أهل الأخبار في رواية أخبار ملوك الحيرة ، غير اني لا أستبعد مع ذلك وجود دفاتر وكتب في خزائن ملوك الحيرة وفي قصورها وكنائسها ، قد كان فيها شعر ونثر وأخبار

---

١ الفهرست (٦٧) ، (المقالة الثانية من كتاب الفهرست) .

٢ الفهرست (ص ١٣ وما بعدها) ، (الكلام على القلم العربي) .

٣ الخصائص (٣٩٢/١) .

ومراسلات وسجلات بالأموال وما شابه ذلك ، لوجود ديوان حكومي عندهم تولاه (عدي بن زيد) ، ووجود علماء ورجال دين عندهم ألّفوا الكتب في أمور الدين وفي العلوم التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، لكنها تلفت وهلكت بسبب الأحداث التي وقعت في الحيرة أيام الفتح الاسلامي لها ، وارتحال الناس عنها وفي جملتها رجال الدين ، وتهدم كنائسها وبيوتها بسبب نقل حجارتها الى الكوفة لبناء بيوتها بها ، مما سبب تلف تلك المدونات المكتوبة على أدم وقراطيس سهلة التلف ، والتي لا يمكن لها مقاومة مثل هذه الأحداث . ولا يستغرب ذلك، فقد تلفت نسخ القرآن الأولى مثل نسخة (حفصة بنت عمر) ، ونسخة (عثمان) وهلكت رسائل الرسول وكتبه على أهميتها ، وذهبت الصحف القديمة التي دوّن بها الحديث أو سيرة الرسول ، وغير ذلك،في أيام الراشدين وبني أمية ، فهل يستغرب بعد ذلك ذهاب ما دوّن في أيام ملوك الحيرة وانطماس أثره !

وقد تعرض (بروكلمن) لموضوع تدوين الشعر أو عدم تدوينه عند الجاهليين، فقال : « ومن ثم يعد خطأ من مركليوث وطه حسين ان أنكرا استعمال الكتابة في شمال الجزيرة العربية قبل الاسلام بالكلية ، ورتبا على ذلك ما ذهبا اليه من ان جميع الأشعار المروية لشعراء جاهليين مصنوعة عليهم ، ومنحولة لأسمائهم .

ولكن بديهياً ان الكتابة لم تقض قضاء كلياً على الرواية الشفوية . فقد كان لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب راوية يصحبه ، يروي عنه أشعاره ، وينشرها بين الناس ، وربما احتذى آثاره الفنية من بعده ، وزاد عليها من عنده. وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادراً .

وعن الرواة كانت تنتشر الدراية بالشعر في أوساط أوسع وأشمل ، بعد أن يذيع في قبيلة الشاعر نفسه . ولهذا لم يمكن التحرز عن السقط والتحريف ، وإن لاحظنا ان ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت أقدر قدرة لا تحد على الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث »[1] .

وقد تعرض المستشرق (كرنكو) لموضوع الكتابة والتدوين عند العرب ، وقد ذهب الى أن نظم الشعر مرتبط بالكتابة ، بدليل أن بعض القوافي تظهر حقيقتها

---

١ بروكلمن (١/٦٥) .

للعيان أكثر منه للسمع ، بحيث أن الحروف وليست الأصوات ، هي التي تلعب دوراً هامـاً في الشعر[1] . غير أن رأيه هذا لم ينل تأييداً من غالبية المستشرقين . وذهب (كولدزيهر) ، الى احتمال تدوين العرب لشعر الهجاء ، لما لهذا النوع من الشعر من أهمية عندهم ، فإن في شعر الشاعرة (ليلى) الأخيلية :

أتاني من الأنبـاء أن عشيرة بشوران يزجون المطي المذللا
يروح ويغدو وفدهم بصحيفة ليستجلدوا لي،ساء ذلك معملا[2]

وفي شعر ابن مقبل :

بني عامر ، ما تأمرون بشاعر تخيّر بابات الكتاب هجائيا[3]

غير أن بعضهم يرى صعوبة تصور ذلك ، لعدم وجود أدلة مقنعة تثبت هذا الرأي[4] .

وقد توقف (بلاشير) أيضاً في قضية تدوين الرواة لشعر الشاعر الذي تخصصوا به ، أو برواية شعر أي شاعر كان . يرى احتمال تـدوين بعض الرواة الحضر لبعض عيـون الشعر ، غير أنه يعود ، فيرى أن ذلك مجرد احتمال ، وإن من الصعب اثباته بأدلة مقنعة ، ويذهب الى أن رواية الرواة ، كانت رواية شفوية كذلك[5] .

ولا استبعد احتمال تدوين الشعراء الجاهليين الذين كانوا يحسنون الكتابة والقراءة لأشعارهم ، كما لا استبعد احتمال تدوين رواة الشعر للشعر ، ولا سيما ما نبـه وشرف منه ، غير أننـا لا يمكن أن نقول إن الشاعر كان إذ ذاك يدوّن كل شعره ، أو أن الرواة ، كانوا يدونون كل ما حفظوه من الشعر ، لأن هـذا النوع من التدوين لم يكن مألوفاً عندهم ، كما كان يكلف ثمناً باهظاً ، لا قبـل للشاعر أو للراوية بتحمله ، ثم إن القرطاس كان نادراً عندهم ، والتدوين على

---

١ بلاشير ، تاريخ الادب العربي (٩٤ وما بعدها) .
٢ المصدر نفسه (ص ٩٨) .
٣ العمدة (١٥٩/٢ وما بعدها) ، الحيوان (١١٢/٧) ، ديوان ابن مقبل (٤١٠) .
٤ بلاشير (٩٨ وما بعدها) .
٥ بلاشير (١٠١) .

الأدم ، غالياً ، ينـــوء بثمنه الشاعر أو الراوية ، ويأخذ مكاناً ، ولا سيما اذا كان الشاعر من الأعراب ، وأنا لا استبعد احتمال وجود مثل هذه المدوّنات عند الحضر ، مثل أهل الحـــيرة ، لانتشار الكتابة بينهم ولشيوع التدوين عندهم ، ولكن الأحداث وعوامل الطبيعة أتلفت تلك المدوّنات ، فلم تسقط لهـــذا السبب في أيدي رواة الشعر والأخبار .

ولا تزال الرواية الشفوية مستعملة حتى اليوم ، مع وجود التدوين وكثرة الورق. فلأغلب شعراء العراق اليوم مثلاً رواة يدونون شعر الشاعـــر ويحفظونه في الوقت نفسه حفظاً ، فإذا حضروا مجلساً ، وجاء ذكـــر الشعر ، أو شعر شاعر يروون شعره تلوه حفظاً على السامعـــين . وفي النجف رواة شعر ، دونوا شعر شعرائها المحدثين مثل الحبّوبي وغيره في دواوين ، وحفظوه في الوقت نفسه حفظـــاً في قلوبهم ، ومنهم من حفظ شعره من غير تدوين له ، وقد يزيد ما يحفظونه على ما هو مدون ، بسبب ان الشاعر قد يحضر مناسبة تهزه فيقول فيها شيئاً، فيحفظه رواته والمعجبون به ، وقد يفوت تسجيله على رواته الذين يلازمون الشاعر ، فلا يقفون على خبره ، ويدفع الإعجاب بالشاعر المعجبين به على التقاط شعره وحفظه في أدمغتهم حتى كأنهم أشرطة تسجيل حساسة ، لا يفوتها من التسجيل أي شيء.

وبسبب عدم لجوء الجاهليين الى تدوين شعرهم في الغالب ، لأسباب عديدة ، منها ندرة الورق ، وغلائه ، واعتمادهم في حفظه على الذاكـــرة ، هلك أكثره بموت حفّاظه ، وأصيب قسم منه بتحريف وتغيير ، وزيد بعض منه ، ونقص منه بعض آخر ، وصنع شعر على المتقدمين لأغراض مختلفة ، ونسب الشعر الى جملة شعراء ، ورويت أبيات بروايات مختلفة ، وما كان ذلك ليحدث ، لو انهم كانوا قد عمدوا الى تدوينه وتثبيته . « قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير . ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه ، قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، والذي صح لهما قصائد بقدر عشر ، وان لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة . وإن كان ما يروى من الغثاء لهما فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة . ونرى ان غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير ان الذي نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدم الفحول ، فلعل ذلك لذلك ، فلما قلّ كلامهما

حُمل عليها حمل كثير »[1] . وقد ذكر (ابن سلام) ان « عبيد بن الأبرص قديم عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب لا أعرف له إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذَّنوب

ولا أدري ما بعد ذلك[2] ».

وذكر أنه قد سقط من شعر شعراء القبائل الشيء الكثير ، وفات على علماء الشعر منه ما شاء الله ، مما لم يحمله الينا العلماء والنقلة . وقيل عن الأصمعي : « كان ثلاثة اخوة من بني سعد لم يأتوا الأمصار ، فذهب رجزهم ، يقال لهم : منذر ونذير ومنتذر ، ويقال إن قصيدة (رؤبة) التي أولها :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

لمنتذر »[3] .

وينسب الى (أبي عمرو بن العلاء) قوله : « لما راجعت العربُ في الإسلام رواية الشعر بعد أن اشتغلت عنه بالجهاد والغزو ، واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قومٌ قلت وقائعهم وأشعارهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ؟ فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواية بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت ، وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولّدون ؛ وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الأشكال »[4] .

وقال (ابن قتيبة) : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم مُحيط أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو انفد عمره في التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال .

---

١ ابن سلام ، طبقات (١٠) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٣٦) .
٣ الشعر والشعراء (٩) .
٤ المزهر (١/١٧٤ وما بعدها) ، ابن سلام ، طبقات (١٤) .

ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها »[1] .

وورد عن (أبي عبيدة) قوله : « ان ابن دؤاد بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميرة ، فأتيته أنا وابن نوح ، فسألناه عن شعر أبيه متمم ، وقمنا له بحاجته ، فلما فقد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ، ويضعها لنا ، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذي على كلامه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم ، والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علينا علمنا أنه يفتعله »[2] .

وقد ينسب قوم شعراً لشاعر ، بينما ينسبه قوم لشاعر آخر ، وقد يختلف في ذلك أهل البادية عن أهل الحاضرة ، فقد روي مثلاً ان أهل البادية من(بني سعد) يروون البيت :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مربض المستنفر الحامي

للزبرقان بن بدر ، بينما يرويه غيرهم للنابغة . وقد ذكر الرواة ، ان من المحتمل أن يكون (الزبرقان) استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعه لا مجتلباً له ، وقد تفعل ذلك العرب ، لا يريدون به السرقة[3] . وقد حدث مثل ذلك في بيت شعر هو لأبي الصلت بن أبي ربيعة ، هو :

تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

بينما ترويه بنو عامر للنابغة الجعدي[4] .

ونسب :

وبعد غدٍ ، يا لهف نفسي من غدٍ إذا راح أصحابي ولست برائح

الى (هدبة بن خشرم) ، وعزاه آخرون الى (أبي الطمحان) من

---

١ الشعر والشعراء (٨) .
٢ المزهر (١/١٧٥) ، ابن سلام ، طبقات (١٤) .
٣ ابن سلام ، طبقات (١٧) .
٤ ابن سلام ، طبقات (١٧) .

المخضرمين ، ثرب الزبير بن عبد المطلب[1] .

وروي أن البيت :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وهو بيت ينسب الى (أمية بن أبي الصلت) ، وكان معروفاً عند حفظة الشعر مثل (الحسن بن علي بن أبي طالب) أنه له ، إلا أن الرواة يذكرون أن (النابغة) الجعدي ، قال للحسن : « يا ابن رسول الله ، والله اني لأول الناس قالها ، وان السروق من سرق أمية شعره »[2] . وروي أيضاً أن البيت :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

هو من قصيدة للنابغة الجعدي ، غير أن قسماً من علماء الشعر يروبها لأمية بن أبي الصلت ، وقسماً آخر ، كان متردداً ، فقد ذكر أن راوية سأل (خلف الأحمر) عن القصيدة ، فقال : للنابغة ، وقد يقال لأمية[3] . ويظهر من هذين المثلين ، أن الرواة كانوا يخلطون بين شعري الشاعرين .

ومن ذلك نسبة الشعر الذي فيه :

دانٍ مُسفٌّ فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
فمن بنجوته كمن بعقوته والمشتكي كمن يمشي بقرواح

الى عبيد بن الأبرص ، أو أوس بن حجر[4] .

ونسبة الشعر :

والشعر صعب وطويل سلمه اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

الى رؤبة والى الحطيئة[5] .

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٧٤ وما بعدها) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٢٧) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٢٧) .
٤ الحيوان (٦/١٣٢) .
٥ تاج العروس (٨/٣٩٠) ، (عجم) .

ويقع من ذلك شيء كثير مذكور في كتب الشعر والأدب ، وهو يدل على ان الشعر لم يكن مدوناً في بادىء أمره ، وانما كان يروى حفظاً ، ولو كان قد أخذ من كتاب لما جاز عقلاً وقوع مثل هذا الخطأ والاشتباه .

ويحدث ان شاعرين يصنعان قصيدتين من بحر واحد وروي واحد ، فيختلط أمرهما على الرواة ، يدخلون أبياتاً من هذه في تلك ، فتختلط نسبة الأبيات[1] .

وقد وضع على لسان (عدي بن زيد) العبادي شعر كثير . وقد علل (ابن سلام) سبب ذلك بقوله : « كان يسكن الحيرة ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد، واضطرب فيه خلف ، وخلط فيه المفضل فأكثر . وله أربع قصائد غرر وروائع مبرزات ، وله بعدهن شعر حسن »[2] . وقد تكون للعصبية يد في هذا الوضع . فعدي من أهل الحيرة ، وقد تعصب أهل الكوفة للحيرة ، إذ انتقل أكثر أهل الحيرة الى الكوفة فأقاموا بها ، وتعصبوا لتأريخهم القديم ، فلعل هذه العصبية هي التي حملتهم على وضع الشعر على لسانه لرفع شأن نصارى الحيرة في الشعر .

ومع اشتهار الحيرة بالكتابة ، واشتهار (عدي) بها خاصة ، إذ كان من كتاب (كسرى) بالعربية ، فإننا لم نعثر على خبر يفيد ان الرواة أخذوا شعر (عدي) عن ورقة جاهلية ، أو ديوان جاهلي مدون . ولو كان لعدي ديوان مدون ، لما وقع في شعره ما قاله (ابن سلام) .

وقد يسأل سائل : كيف يعقل أن يضع شاعر مثل حماد الراوية شعراً فخماً جزلاً يستعز به ثم ينسبه الى الجاهليين ؟ ولو نسبه الى نفسه لكان اليوم فخراً له ولعد من أكابر الشعراء فأقول : كان طلب آل مروان للشعر الجاهلي شديداً . وهذا ما صير رواية الشعر من الحرف النافعة التي كانت تدر أرباحاً طيبة لأصحابها تزيد على الأرباح التي يحصل عليها الشاعر من شعره . وقد كسب حماد من حرفته هذه مالاً حسناً . غير أن الإلحاح في طلب هذا الشعر والإغراء الذي أبداه عشاة للرواة ، أفسد الرواة ، وحملهم على وضع الشعر وحمله على القدماء للحصول على الأجر ، ولنيل الحظوة ، ولإظهار العلم وسعة الحفظ . وقد زاد في هذا الوضع

---

١ الحيوان (٦/١٣٢) ، (حاشية رقم ٣) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٣١) .

المنافسة الشديدة التي كانت بين الرواة ، فخلقت هذه الظروف وأمثالها شعراً جديداً منحولاً حسب على ملاك شعر الجاهليين .

ونجد في ثنايـــا كتب الأدب وفي كتب الشعر أشعاراً كثيرة منحولة وضعت قديماً على ألسنة الجاهليين، وضعت لأن الناس كانوا يومئذ في شوق عظيم وتعطش الى سماع أشعار من قبلهم، كانوا يقبلون عليها أكثر من إقبالهم على شعر معاصريهم من الشعراء ، ويجزلون لـــه العطاء أكثر من إجزالهم لسماع شعر شاعر معاصر ، إلا ما قد يكون منه في المدح والذم . وكان ربح الراويـــة القدر المتبحر بالشعر الجاهلي المتجر به العارف بنظم الشعر لا يقـــل عن ربح الشاعر العظيم ان لم يزد عليه في أكثر الأحيان . والعادة أن مكافأة الشاعر المعاصر على شعره ، لا تكون إلا في أمور لها صلة بالمجتمع ، مثل المدح والهجاء والهزل والاستخفاف والتضحيك، أما في غير ذلك فتقديره الى العلماء وأصحاب الذوق ، وهم لا يثيبون على هـذه الأمور إلا قليلاً ، ولهذا يكون تقدير الشاعر الذي لا يمدح ولا يهجو ولا يتقرب لأحد بالأمور المذكورة ، بعد موته في الغالب ، فلا ينال مثل هـــذا الشاعر من العيش ما يكفيه . ثم إن الراوية مطلوب في كل وقت ، مرغوب فيه ، وسوقه رائجة . فإذا غنّت مغنية بيتاً قديماً ، أراد السامعون معرفة صاحبـــه ، وأكثر الناس خبرة بأصحاب الشعر القديم هم الرواة ، وهم قلة ، لمـــا يجب أن يكون في الراوية من خصائص تجعله من نوادر الرجال . فالذكاء الخارق ، والعلم بالشعر وبأساليبه ، والتمكن من العربية بمفرداتها وبلهجاتها وبالقبائل وبأيام العرب وبأمثال ذلك ، هي من اللوازم التي لا تتهيأ لكل إنسان ، ولذلك لم يكن أمثـال هؤلاء الرواة إلا أفراداً نص العلماء على أسمائهم نصاً . وقد نالوا في أيامهم شهرة لم تكن أقل منزلة من شهرة أفذاذ الشعراء ، وقد تدرب عليهم فحول الشعراء ، وتخرج من مدرستهم أعاظم شعراء العرب في الإسلام . فرواية الشعر إذن وحفظه وصنعه، لم تكن حرفة سهلة يسيرة ، ولا منزلة صغيرة بالنسبة الى منزلة الشاعر ، إنهـــا لا تقل في السمو عن أرفع منزلة وصل اليهـــا الشعراء في ذلك العهد . ولم يقل دخل الراوية من عطايا الملوك وهداياهم بأقل من دخل الشاعر ، إن لم يزد عليه في بعض الأحيان ، ولهذا فليس بغريب إذا ما رأينا الشاعر ينسب شعره للجاهليين، ويرويه على أنه من شعر شاعر جاهلي قديم ، ولا ينسبه لنفسه .

وآفة ما تقدم عدم التدوين والتقييد ، ولو كان الشعر مدوناً في صحف وكتب،

ومقيداً على حجر ، لما ضاع هذا الضياع ، ولما اعتوره هذا التغيير ، الخطير ، فحوّر فيه وغيّر ، وقد أدرك أثر هذا المرض على الشعر ، شاعر اسلامي ، هو ذو الرمة ، فقال : « لعيسى بن عمر : اكتب شعري ، فالكتاب أحب إلي من الحفظ لأن الأعرابي ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام»[1].

وقد كان للشعراء الذين ظهروا في أيام الأمويين رواة ، يروون شعرهم ، كما كانوا يهذبونه وينقحونه ويدخلون بعض التغيير عليه ، بعلم الشاعر وموافقته ، لعلة فاتت عليه ، فقد كان لجرير رواته ، وكان للفرزدق رواته ، وكانوا يقوّمون ما انحرف من شعرهم وما قد يكون فيه من سناد وعيوب ، خفي أمرها على الشاعر ، فأدرك أمرها الرواة[2] .

رواة الشعر :

وقد ذكر علماء الشعر ان الشعراء في الجاهلية كانوا يتخذون لهم رواة يحفظونهم شعرهم حفظاً ويروونه رواية.ومعنى هذا ان أولئك الرواة كانوا يلازمون الشعراء، فإذا نظم الشاعر شعراً تلاه على راويته ليحفظه فلا ينساه ، واذا غيّر الشاعر في شعره أو عدّل فيه أشار على راويته بما غيّر وعدّل حتى يعدّل هو ويغيّر في الذي حفظه . فراوية الشاعر ، هو نسخة ثانية حافظة لشعر الشاعر ، أما النسخة الأولى ، فهو الشاعر نفسه . وقد يتهيأ للشاعر جملة رواة . ويقال لمن يحفظ الكثير من الشعر ، وللكثير الرواية هو « راوية للشعر »[3] .

وأولئك الرواة ، هم دواوين شعر ناطقة ، تحفظ المتون ،أي أصول الشعر ، كما تحفظ المناسبات ، أي الظروف التي قيل فيها ذلك الشعر . وهم أنفسهم ذوو حس مرهف ، وفهم عالٍ للشعر . إذ لا يقبل على رواية الشعر وحفظه إلا أصحاب الحس المرهف الموهوبون ، الذين لهم طبع شاعري ، وميل غريزي فيهم اليه . ولهذا تنتهي الرواية بالراوية في الأغلب الى قول الشعر ونظمه ، فيكون في

---

١ الحيوان (١/٤١) ، (عبد السلام محمد هارون) .
٢ الاغاني (٤/٢٥٦ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (١٠/١٥٨) ، (روى) .

عداد فحول الشعراء . والرواية هي تمرين وإعداد لقول الشعر ، ولفهم دروبه ، تساعد الموهوب في إظهار مواهبه . « فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ، ومعرفة الأخبار ، والتلمذة لمن فوقه من الشعراء ، فيقولون : فلان شاعر راوية ، يريدون انه اذا كان راوية عرف المقاصد،وسهُل عليه مأخذ الكلام ، ولم يضق به المذهب ، واذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم ، وربما طلب المعنى فلم يصل اليه وهو ماثل بين يديه ، لضعف آلته : كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة .

وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء ، فقال : هو الراوية ، يريد أنه إذا روى استفحل .

قال يونس بن حبيب:وإنما ذلك لأنه يجمع الى جيد شعره معرفة جيد غيره ، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة ... وقال الأصمعي : لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب »[1] .

والشعراء جميعاً ، هم في أول أمرهم بالشعر رواة شعر ، ولا يكون الشاعر منهم شاعراً حتى يحفظ الشعر ويرويه،لأن الحفظ يساعده على قول الشعر ونظمه ، ويكون تمريناً له ، ولا زال أمر الشعراء عندنا على هذا النحو ، فأكثر شعرائنا هذا اليوم هم رواة في الأصل ، حفظوا من الشعر ما ساعدهم على النظم،يضاف اليه موهبة الشاعر وسليقته فيه. وقد يقال إن الشاعر الراوية أمكن في الشعر وأقدر عليه من الشاعر ، الذي لا يروي من الشعر إلا يسيراً ، أو لايحفظ منه شيئاً ، لأن الشاعر الراوية يتعلم من فنون الأقدمين ومن خبرتهم وتجاربهم في النظم ما يخفى على من ليس له علم سابق به .

الشعراء الرواة :

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء عدد من شعراء الجاهلية ، بدأوا حياتهم في قول الشعر بروايته وحفظه ، ثم صاروا من أكابر الشعراء. منهم زهير بن أبي سلمى، فقد بدأ حياته في الشعر راوية لشعر (أوس بن حجر) ، وكان أوس راوية

---

١ العمدة (١٩٧/١ وما بعدها) ، (باب في آداب الشاعر) .

الطفيل الغنوي وتلميذه[1] . ومنهم (كعب بن زهير بن أبي سلمى) ، فقد كان راوية لوالده ، ثم (الحطيئة) ، فقد بدأ الشعر برواية شعر (زهير) وآل زهير[2]. وكان (زهير) راوية (طفيل) الغنوي أيضاً ، وكان (امرؤ القيس) راوية (أبي دُواد) الإيادي[3] ، وكان الأعشى راوية لشعر (المسيب بن علس) ، والمسيب خال الأعشى[4] .

ولا نكاد نجد شاعراً لم يحفظ شعر غيره من الشعراء المتقدمين عليه ، أو من المعاصرين له . والشاعر العربي حتى اليوم ، لا يكون شاعراً فحلاً في الشعر ، إلا اذا حفظ من شعر غيره من الشعراء الفحول ، فحفظ الشعر يدربه ويقويه على نظم الشعر ، وكذلك كان أمر الشعراء الجاهليين . ويؤيد هذا الرأي ما نجده في الأخبار من حفظ الشعراء شعر غيرهم ومن مناقشتهم للشعراء في شعرهم ، مما يدل بالطبع على حفظهم له .

قال « رؤبة : الفحولة هم الرواة » ، « يريد الذين يروون شعر غيرهم ، فيكثر تصرفهم في الشعر ويقوون على القول »[5] ، فروايتهم للشعر أكسبتهم علماً بأبوابه وبفنونه ، ومكنتهم منه حتى صار يخرج على ألسنتهم سهلاً قوياً جيداً ، لما صار لهم من علم به ومران في حفظه .

ويكاد يكون لكل شاعر جاهلي راوية يصحبه ، « يروي عنه أشعاره ، وينشرها بين الناس . وربما احتذى آثاره الفنية من بعده ، وزاد عليها من عنده . وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادراً »[6] . ومن رواة (الأعشى) ، الراوية (عبيد) ، وكان يصحب الأعشى ويروي شعره ، وكان عالماً بالإبل ، وكان يسأله عن شعره وعن معانيه وألفاظه، وعنه أخذ الرواة مثل (سماك) أخبار الأعشى وشعره[7] . و (سماك) ، هو (سماك بن حرب) ، وهو من مشاهير الرواة .

---

١ الشعر والشعراء (١/٧٦) ، بروكلمن (١/٩٥) .
٢ الاغاني (٢/١٦٥) ، (دار الكتب) ، (٨/٩١) .
٣ العمدة (١/١٩٨) ، بروكلمن (١/٩٥) .
٤ الموشح (٥١) ، الشعر والشعراء (١/١٠٧) .
٥ البيان والتبيين (٢/٩) ، العمدة (١/١١٤) ، (باب في الشعراء والشعر) .
٦ بروكلمن (١/٦٤ وما بعدها) .
٧ الشعر والشعراء (١/١٨١) .

وكان من رواة (الأعشى) (يحيى بن متى) ، وهـو من أهل الحيرة ، وكان نصرانياً عبادياً معمراً[1] ، وله راوية آخر اسمه (يونس بن متى)[2] ، وهو كما يظهر من اسمه من النصارى كذلك ، وقد يكون هذا الشخص ، هـو الأول أي (يحيى) ، حرف النسّاخ اسمه ، فصار (يونس)[3] .

ولما كان بعض الرواة من الكتبة ، فلا استبعد أن يكون من بينهم من دوّن شعر شاعره الى جانب حفظه لشعره ، وذلك ليرجع اليه فيما إذا خانته حافظته ، أو شك في شيء منه ، أو لإجراء تنقيح في شعر شاعره ، وتوجد روايات تشير الى وقوع مثل هذا التدوين ، غير أننا لا نستطيع أن نسلم بتأكيدها أو أن نقوم بنفيها في الوقت الحاضر ، فمثل هذه الأحكام تحتاج الى أدلة قوية مقنعة ، ولا يمكن لنا التسليم بصحة تلك الروايات أو بردها في الوقت الحاضر[4] .

وقد تخصص بعض الناس برواية شعر جملة شعراء ، وتخصص آخرون برواية شعر قبيلة ، أو شعر جملة قبائل .

ويظهر ان أسلوب الحفظ والتسجيل في الذاكرة ، كان الأسلوب الشائع بين الجاهليين في ذلك الزمن في الإبقاء على النثر أو الشعر ، وقد كان هذا الأسلوب متبعاً عند غير العرب في تلك الأيام ، إذ كانوا يقيمون وزناً كبيراً للرواية ، حتى انهم كانوا يفضلون الحفظ على القراءة عن كتاب أو صحيفة ، ولا سيما بالنسبة للكتب المقدسة والكتب الدينية الأخرى وفي الأمور الناهية مثل الشعـر . يرون ان في القراءة ثواباً وأجراً عظيماً ، وتعظيماً لشأن المقروء . ولا أستبعد أن تكون هذه النظرة هي التي جعلت أصحاب الرسول يحفظون القرآن ويتلونه تلاوة من غير قراءة عن كتاب ولا نظر في صحيفة ، يتلونه أمام الرسول وبين أنفسهم وبين الناس ، ولا يقرأونه عن كتاب ، مع ان منهم من كان يقرأ ويكتب وقد جمع القرآن . وكان تقدير العالم آنذاك بحفظه ، لا بما يكتبه من صحف وبما يؤلفه من مؤلفات ، ولهذا اشتهر كثير من العلماء بسعة علمهم ، مع انهم لم يتركوا أثراً مكتوباً ، لأن العلم بالحفظ لا بالتدوين ، وقد ينتقص من شأن العالم اذا تلا علمه عن كتاب ،

---

١ الاغاني (١١٢/٩) .
٢ المعرب ، للجواليقي (٤٦) .
٣ الشعر والشعراء (٢١٦ حاشية ١) ، مصادر الشعر الجاهلي (٢٤٠ وما بعدها) .
٤ بلاشير (١٠١) .

حتى ان كان ذلك الكتاب كتابه ، لأن القراءة عن كتاب لا تدل على وجود علم عند القارىء ، وشأنه اذن دون شأن الحافظ ، الخازن للعلم في دماغه المملي للعلم إملاءً ، وكانوا اذا انتقصوا عالماً قالوا : انه يتلو عن صحيفة ، أو يقرأ عن صحيفة أو كتاب ، ومن هنا قيل للذي يقرأ في صحيفة ويخطىء في قراءتها المصحفون ، قال (ابن سلام) : « فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحاق ومثل ما يروي الصحفيون ما كانت اليه حاجة ، ولا كان فيه دليل على علم »[1]. وقد حمل « ابن سلام على رواة الشعر الذين تداولوه من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وانما العلم علم العلماء بالشعر وأهل الرواية الصحيحة ، أما أهل الصحف ، الذين يروون من صحيفة ، فلا يروى عنهم ، إذ لا يروى عن صحفي »[2]. وانتقصوا من علم (القاسم بن محمد بن بشار) الأنباري ، ومن روى عنه مثل (أحمد بن عبيد) الملقب (أبا عصيدة)، لأن هؤلاء (رواةٌ أصحاب أسفار) ، فهم لا يذكرون مع العلماء حفظة العلم[3]: والرواة أصحاب السفر ، والصحفيون ، انما كانوا يعتمدون على الصحف، ويحلون منها ، ولذلك فقد يقع اللحن أو الخطأ منهم سهواً ، أما الرواة الحفاظ، فلا يقع ذلك منهم إلا في النادر ، ثم انهم ينشدون الشعر من مخارجه وحروفه ، وهذا هو تفسير قول (ابن سلام) وأضرابه : « ليس لأحد أن يقبل من صحيفة ، ولا يروى من صحفي »[4] . وفي جملة ما آخذ به (ابن سلام) الصحفيين ، أي الذين يكتبون ويدونون ما يقال لهم ، دون نقد ، انهم لم يكونوا أصحاب رأي وعلم ، بل كانوا يقبلون كل ما يقال لهم ، كما هو واضح من قوله في (ابن اسحاق) : « فلو كان الشعر مثل ما وُضع لابن اسحاق ، ومثل ما رواه الصحفيون ، ما كانت اليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم »[5] :

ولهؤلاء الرواة فضل كبير ولا شك على الشعر الجاهلي وعلينا أيضاً، فبحفظهم لذلك التراث القيم وبإذاعته وبنشره بين أبناء زمانهم ، أمكن وصوله الى من جاء بعدهم من عشاق الشعر والمتيمين به ، حتى وصل الى أيدي المدوّنين فدوّنوه .

---

١ المزهر (١/١٧٤) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٥ وما بعدها) .
٣ المزهر (٢/٤١٣) .
٤ طبقات (٥ وما بعدها) .
٥ طبقات (١١) .

وصل بأفواه متعددة ، ومن الصدور ، ولهذا تعددت الروايات واختلفت القراءات وهذا شيء لا بد أن يحدث ، وهو أمر غير مستغرب ، فحفظ الصدور لا يكون كحفظ السطور . ولو كان الشعر قد دوّن في ذلك العهد ، وسجل في صحف ودواوين لما اختلف الرواة الإسلاميون في تدوينه يوم شرعوا في جمع ذلك الشعر وتدوينه في دواوين . فنجد الرواة قد يختلفون في عدد أبيات القصيدة وفي ترتيبها وفي نص البيت ، فترى روايات متعددة تمس بيتاً واحداً ، لا تمس شكل الكلمة، بحيث نرجع ذلك الى خطأ النسّاخ ، وإنما تمس اللفظة نفسها ، أو جملة ألفاظ شطر البيت أو البيت نفسه ، وكتب الشعر والأدب مليئة بأمثال هذه الأمور التي هي من حاصل الاعتماد على الرواية الشفوية في حفظ الشعر .

ومتى أنشد شاعر شعره ، وأذاع روايته بين الناس ، حفظ وطار بين طلاب الشعر وعشاقه ، لا سيما إذا كان ممـا يتصل بالناس . هذا (عميرة بن جعيل) (عميرة بن جعل) ، يهجو قومه ، ثم يندم على ما قال ، فيقول :

ندمت على شتم العشيرة بعدما مضت واستتبت للرواة مذاهبه
فأصبحت لا أستطيع دفعاً لما مضى كما لا يردّ الدرّ في الضرع حالبه[1]

وفي هذا المعنى جاء شعر : (المسيب بن علس) :

فلأهـدين مع الرياح قصيـدة مني مغلغلـة الى القعقـاع
ترد المياه فما تزال غريبـة في القوم بـين تمثل وسماع[2]

فالشعر تحمله الرياح وتنشره بين الناس ، فيحفظ ، ويرويه الرواة .

وكما كان لهم فضل على الشعر في تدوينه وتخليده ، فكذلك كان لهم يـد في إفساده وفي غشه وتزييفه . فقد كان منهم من يخلط في الشعر ، ومنهم من كان يضيف عليه أو ينقص منه ، أو يصنع الشعر فينحله الشعراء ، ولما قيل للحطيئة، وهو من المخضرمين أوصِ قال : « ويل للشعر من الرواة السوء »[3] . وفي قول

---

١ الشعر والشعراء (١/٥٤٤) ، المفضلية رقم (٦٣) .
٢ المفضليات (٦٢) ، العصر الجاهلي (١٤٢) .
٣ الشعر والشعراء (١/٢٣٩) . (دار الثقافة ، بيروت) .

هذا الشاعر الخبير بدروب الشعر وفنونه ، شهادة كافية على ما كان لرواة الشعر من أثر في رواية الشعر ، غير أن منهم من كان يحسن الشعر ويقومه ، ذكر عن (ابن مقبل) قوله : « إني لأرسل البيوت عوجاً ، فتأتي الرواة بها قد أقامتها »[1] .

وقد تحدث (الجاحظ) عن رواة الشعر في أيامه ، وعن ألوان الشعر التي كان الرواة يبحثون عنها ، فقال : « وقد أدركتُ رواة المسجديّين والمربديين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ، ونسيب الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفة ، فإنهم كانوا لا يعدّونه من الرواة . ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الحديث والقصائد ، والفقر والتف من كل شيء . ولقد شهدتهم وما هم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف ، فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب ، فصار زهوهم في شعر العباس بقدر رغبتهم في نسيب الأعراب . ثم رأيتهم منذ سنيّات ، وما يروي عندهم نسيب الأعراب إلا حدث السنّ قد ابتدأ في طلب الشعر ، أو فتياني متغزل .

وقد جلست الى أبي عبيدة ، والأصمعي ، ويحيى بن المنجم ، وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحداً منهم قصد الى شعرٍ في النسيب فأنشده ، وكان خلف يجمع ذلك كله .

ولم أرَ غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب . ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج . ولم أرَ غاية رواة الأخبار إلى كل شعر فيه الشاهد والمثل »[2] .

التصحيف والتحريف :

أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة ، ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب . وقد وقع فيه جماعةٌ من الأجلاء من أئمة اللغة

---

١ مجالس ثعلب (٤٨١) .
٢ البيان والتبيين (٣/٢٣ وما بعدها) .

وأئمة الحديث، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : من يَعرى من الخطأ والتصحيف؟

قال ابن دريد : صحّف الخليل بن أحمد ، فقال : يوم بُغاث بالغين المعجمة، وانما هو بالمهملة . أورده (ابن الجوزي)[1] . وهو شيء لا يمكـــن وقوعه من الخليل ، صاحب العلم الغزير بأحوال العرب ، وقد يكون من فعل النساخ ، إن صح كلام (ابن الجوزي) ، فنسب التصحيف الى الخليل .

وسببه الخط ، إما لتشابه الحروف ، وإما بسبب عدم وجود الحركات ، فمن النوع الأول حديث ينسب الى الرسول هو : « تسمعون جرش طير الجنة » ، وكان (الأصمعي) قد سمعه في مجلس (شُعبة) ، فقال : (جرس) بالسين لا بالشين[2] . ومن هذا القبيل : ما وقع من تصحيف في شعر للحطيئة هو قوله:

وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر

أي كثير اللبن والتمر ، وقد قرأ :

وغررتني وزعمت انك لا تني بالضيف تامر

أي لا تتوانى عن ضيفك بتعجيل القرى اليه .

ومثل ذلك تصحيف الأصمعي في بيت لأوس :

يا عام لو صادفت أرماحنا لكان مثوى خدك الأخرما

فقرأه (الأحزما) ، وانما هو (الأخرما) بالراء ، وهو طرف أسفل الكتف[3] .

ومن ذلك ما وقع بين الأصمعي والمفضل عند (عيسى بن جعفر) ، فقد ناظر (المفضل) الأصمعي ، بأن أنشد بيت أوس بن حجر :

وذات هدمٍ عارٍ نواشرها تُصمِت بالماء تولباً جذعا

فقال له الأصمعي : « هذا تصحيف ، لا يوصف التولب بالإجذاع ، وانما

---

١ المزهر (٢/٣٥٣ وما بعدها) .
٢ المزهر (٢/٣٥٤) .
٣ المزهر (٢/٣٥٥) .

هو جدعا . الجدع : السيء الغذاء . قال : فجعل المفضل يشغب ، فقلت له : تكلم كلام النمل وأصب . لو نفخت في شبور يهودي ما نفعك شيئاً »[1] .

وقرىء يوماً على الأصمعي في شعر أبي ذؤيب :

بأسفل ذات الدير أفرد جحشها

فقال أعرابي حضر المجلس للقارىء ضل ضلالك أيها القارىء ! انما هي ذات الدبر ، وهي ثنيةٌ عندنا ، فأخذ الأصمعي بذلك فيما بعد[2] .

وقد أوردت الكتب أمثلة كثيرة على التصحيف ، وقع فيه كثير من العلماء ، من ذلك ما وقع لأبي عمرو وللأصمعي ، ولأبي حاتم ولكبار علماء اللغة ، ويعود سببه الى التنقيط ، فالحروف مثل الجيم، والحاء ، والخاء ، تميز بينها النقط ، فإذا أخطأ الكاتب في وضع النقطة في محلها ، وقع التصحيف . وقد يقع ، ولا يقع خلل في القراءة ، وإنما يتبدل المعنى ، دون أن يشعر القارىء بوجود ارتباك في معنى المقروء ، وقد يقع في الأعلام من أسماء الرجال والنساء والأمكنة ، وقد وقع التصحيف في الكتب بسبب السهو في النسخ ، أو جهل النساخ ، ومن ذلك ما وقع في كتاب (العين) وفي كتب لغوية وأدبية ثمينة ، أمكن رد بعضه الى الصحيح ، ولم يمكن تصحيح بعض آخر ، لصعوبة تعيين المراد[3] .

وقد روى (العسكري) قصة طريفة على التصحيف والتحريف ، ذكر أنه « كان حيّان بن بشر قد وُلي قضاء بغداد ، وكان من جملة أصحاب الحديث فروى يوماً أن عرفجة قطع أنفه يوم الكِلاب ، فقال له مستمليه : أيها القاضي، انما هو يوم الكُلاب ، فأمر بحبسه ، فدخل اليه الناس ، فقالوا : ما دهاك ؟ قال : قطع أنف عرفجة في الجاهلية ، وابتليت به أنا في الإسلام »[4] .

---

١ مجالس العلماء ، للزجاجي (١٤) ، العسكري ، التصحيف والتحريف (١٠٤) ، الفاضل والمفضول (٨٢) ، المصون (١٩٢) ، الحيوان (٤/٢٥) ، انباه الرواة (٣/٣٠٢) .

٢ الشعر والشعراء (١/٢٧) .

٣ المزهر (٢/٣٥٣ وما بعدها) ، النوع الثالث والاربعون معرفة التصحيف والتحريف) .

٤ المزهر (٢/٣٥٣) .

الخلط بين الأشعار :

وبسبب اعتماد الرواة على الذاكرة في حفظ الشعر وروايته ، وأنفة المتقدمين منهم من تدوينه ، ومن الرجوع الى الصحف ، وقع الخلط في شعر الشعراء ، فصاروا ينسبون شعراً لشاعر ، بينما هو من شعر شاعر آخر . ونجد في كتب الأدب أشعاراً تنسب الى شاعر ، ثم تنسب الى شاعر آخر ، أو الى شاعر ثالث في موضع آخر من الكتاب ، أو في كتب أخرى . وما كان ذلك ليقع ، لو كان القدماء قد أخذوا العلم بطريق الكتابة والتدوين . من ذلك مثلاً الشعر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فإنه ينسب لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، وينسبه بنو عامر للنابغة الجعدي[1] . ومن ذلك قصيدة :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخليُّ ولم ترقد

فقد نسبت لامرىء القيس الكندي ، ونسبت لعمرو بن معدي كرب ، ونسبت لامرىء القيس بن عانس[2] .

وللسبب المتقدم وقع خلط في عدد أبيات الشعر ، فقد زاد بعض الرواة في قصيدة شاعر ، بينما نقص رواة آخرون عدد أبياتها ، وقد يدخلون في القصيدة ما ليس منها بسبب اختلاط الشعر على الراوية ، وما كان هذا ليقع لو ورد الشعر مدوناً منذ أيام الجاهلية .

ومن ذلك أيضاً ورود الشعر بروايات وبأوجه مختلفة ، فقد ورد الشعر المنسوب لأفنون التغلبي :

لو أنني كنت من عادٍ ومن ارم غذى سخل ولقانا وذا جدن

بروايات مختلفة ، كما قرئت بعض ألفاظه بأوجه مختلفة من أوجه الإعراب[3] ،

---

١ المزهر (١/١٨٣) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٧٣١) .
٣ مجالس العلماء (٤٢ وما بعدها) .

وما كان ليقع هذا الإختلاف لو كان الشعر قد ورد مدوّناً أولاً ومشكولاً ثانياً، فلما جاء رواية بالألسن وقع فيه هذا الاختلاف . ونجد العلماء يغلط بعضهم بعضاً في اعراب ألفاظ الشعر ، تتغير معانيه بقراءتها بأوجه متعددة من الأعراب ، كما غلط بعضهم بعضاً وهاجم بعضهم بعضاً هجوماً عنيفاً خرج على حدود الأدب واللياقة بسبب الاعجام ، كما في (تعتر) و (تعتز) في بيت الحارث بن الحلزة :

عنتــاً باطلاً وظلماً كــما تعـ ـتر عن حجرة الربيض الظباء[1]

ونجد علماء الشعر والأدب يروون شعر شاعر بصور متباينة في كتبهم ، فتجد (الجاحظ) مثلاً ، يروي أبيات شعر لشاعر ، ثم يرويها بشكل يختلف عمــا ذكره لذلك الشاعر في موضع آخر من كتابه ، وذلك إما سهواً ، وإما باختلاف رواية ، واما من وقوع الزلل في اللسان . وتجد وقوع مثل ذلك في كتب اللغة ، فقد ذكر (ابن منظور) بيتاً للأعشى هو :

فأصبح لم يمنعــه كيد وحيلة بساباط حتى مات وهو محرزق

ثم ذكره بعد سطرين على هذه الصورة :

هنالك ما أغنته عزة ملكــه بساباط،حتى مات وهو محرزق[2]

وقد يقع ذلك عن تعمد ، بسبب الاستشهاد في تأييد مسألة نحوية أو لغوية . فقد روي أن سائلاً سأل (أبا عمرو بن العلاء) عن جمع يــد من الإنسان ، فقال : أيــد ، وأنكر أن تكون الأيادي إلا في النعم ، وقال (الأخفش) : « أما إنها في علمه ، غــير أنها لم تحضره ، ثم أنشد بيت (عــدي بن زيد العبادي) :

أنكرت ما تبينت في أياديـ ـنا واشناقهــا الى الأعناق

بينما يروى :

ساءها ما بنا تبين في الأيدي واشناقهــا الى الأعناق[3]

---

١ مجالس العلماء (١٨) .
٢ اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .
٣ مجالس العلماء ، للزجاجي (١٦٢) .

وقد كان العلماء يتحذلقون في مثل الأمور، ويبحثون جهدهم عن الشاذ والغريب في الشعر ، بل أخذ بعضهم يفتعل الغريب ، ويضع الشاذ ، فينسبه الى المتقدمين لإفحام الخصم ، ولإظهار مقدرته العلمية وبراعته في علوم اللغة أمام الخلفاء والحكام وهذا مما أساء بالطبع الى العلم ، إذ أدى الى دخول المصنوع في الشعر ، والى الإساءة الى سمعة العلماء . وتجد في (مجالس العلماء) للزجاجي ، مجالس فيها من استهتار كبار العلماء بعضهم ببعض ، ومن وضع أحدهم على الآخر ، ما يبعث على الشفقة على حال قسم منهم ، لما بلغوه في كلامهم وفي تصرفاتهم من الإسفاف بسبب محاولتهم التقدم عند الحكام ، بالمنزلة والجاه ونيل المال .

على كل حال ، فقد خفت فوضى الرواية ، بعد إقبال الناس على التدوين ، وتحبير الشعر وأمالي المجالس وأقوال العلماء وآرائهم على القراطيس ، خاصة بعد شيوع الاستنساخ وظهور جملة نسخ للكتاب الواحد ، فضبطت بهذه الطريقة الرواية بعض الضبط ، وصرنا أمام روايات متعددة للقطعة أو للقصيدة ، وقد سدد هذه الطريقة وزاد في تثبيتها إقبال العلماء على نشر المخطوطات نشراً حديثاً بواسطة الطباعة فوفرت هذه الطريقة نسخ المخطوطات القديمة للباحثين ، ويسرت لهم بذلك الوقوف عليها مما مكنهم من إبداء نظرهم على ما جاء فيها من روايات عن الشعر العربي القديم .

الفصل الثالث والخمسون بعد المئة

أشهر رواة الشعر

اشتهر (مخرمة بن نوفل بن أهيب « وهيب » بن عبد مناف بن زهرة) ، وهو من قريش برواية الشعر وبالعلم به . « وكان من مسلمة الفتح ، وله سر وعلم ، كان يؤخذ عنه النسب[1] ، ولا سيما نسب قريش إذ كان من العالمين به . وكان عالماً بأنصاب الحرم . فبعثه (عمر) هو وسعيد بن يربوع ، وأزهر ابن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، فجددوها . وكانت أمه (رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف) شاعرة ، وكانت لدة عبد المطلب[2] .

وعرف (أبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف) بالعلم بالشعر . وهو من (بني عدي) . وكان من معمري قريش ومن مشيختهم ، وكان أحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب . وكان شديد العارضة ، وكان (عمر) يمنعه حتى كف من لسانه . وكان من مسلمة الفتح ، وكان مقدماً في قريش معظماً ، وكانت فيه وفي بنيه شدة وعرامة[3] .

وكان (أبو بكر) من الحافظين للشعر الراوين له ، روى (المطلب بن المطلب

---

١ كتاب نسب قريش (٢٦٢) ، (وهيب) ، زيدان ، تأريخ آداب اللغة العربية (١/١٠١) .

٢ الاصابة (٣/٣٧٠) ، (رقم ٧٨٤٢) .

٣ الاصابة (٤/٣٥ وما بعدها) ، (رقم ٢٠٧) ، الاستيعاب (٤/٣١ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، نسب قريش (٣٦٩ ، ٣٧٢) .

ابن أبـي وداعة) عن جده قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأبا بكر رضي الله تعالى عنه عند باب بني شيبة ، فمرّ رجلٌ وهو يقول :

يا أيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبـد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقتار

قال : فالتفتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى أبـي بكر فقال : أهكذا قال الشاعر ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ، لكنه قال :

يا أيها الرجل المحوّل رحله ألا نزلت بآل عنـد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقراف
الخالطين فقـيرهم بغنيهم حتى يعود فقيرهم كالكافي
ويُكلّلون جفـانهم بسديفهم حتى تغيب الشمس في الرجّاف
منهم عـليّ والنبي محمـد القائـلان هلم للأضياف

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « هكذا سمعت الرواة ينشدونه »[1] .

وكان أبو بكر أحد العلماء بالنسب في قريش ، وكانوا إذا أرادوا الوقـوف على نسب رحل جاءوا اليه يسألونه ، فهو عالم من علماء قريش فيه .

وكان (عمر بن الخطاب) ممن يحفظون الشعر ، ووصف بأنه كان عالماً به[2] وبأنه « كان أعلم الناس بالشعر » ، وكان يحكم على الشعر وينتقده ، ولا يكـاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[3] ، وأنه كان بصيراً به ، حتى قيل عنـه إنه كان « لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر »[4] ، ورووا له أمثلة كثيرة من حفظه للشعر ومن حسن نقده له ، ونفاذه في باطن معانيه ومحاسنه[5] .

---

١ الامالي ، للقالي (١/٢٤١ وما بعدها) .
٢ العمدة (١/٧٦) ، البيان والتبيين (١/٢٣٩) .
٣ البيان والتبيين (١/٢٤١ وما بعدها) .
٤ البيان والتبيين (١/٢٤١) .
٥ العقد الفريد (٦/١٢٠ وما بعدها) .

وذكر أنه كان يقدم (امرأ القيس) على بقية الشعراء[1] .

وكانت (عائشة) من رواة الشعر ، وكانت تحفظ منه ما شاء الله ، قيل انها قالت : « إني لأروي ألف بيت للبيد ، وانه أقل مما أروي لغيره[2] . وانها كانت تحفظ من شعر كعب بن مالك شعراً كثيراً ، منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك[3] ، وكانت تتمثل بالأشعار ، وربما دخل عليها رسول الله ، فوجدها تنشد الشعر[4] . قال (أبو الزناد) : « ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة . فقيل له : ما أرواك ، فقال : روايتي في رواية عائشة ، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً » ، وورد عن (عروة) قوله : « ما رأيت أحداً أعلم بفقه ، ولا بطب ، ولا بشعر من عائشة »[5] . وروي انها كانت تحث على تعلم الشعر وروايته ، بقولها : « رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم »[6] .

وكان (ابن عباس) من رواة الشعر وحفّاظه . سأله (عمر) أن ينشده شعراً ، فطلب منه أن يذكر له اسم شاعر لينشد له شعره ، فقال زهير بن أبي سلمى ، فأنشده « الى ان برق الصبح »[7] ، وزعم انه كان يفسر كلمات كتاب الله بالشعر ، قال (أبو عبيد) « انه كان يُسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر »[8]. وزعم أهل الأخبار ان (نافع بن الأزرق) ، و (نجدة بن عويمر) ، سألا (ابن عباس) عن كلمات واردة في القرآن ، فجلس لهما بفناء الكعبة ، وأخذ (نافع) يسأله الكلمة تلو الكلمة وهو يشرحها لهم بشعر ، وقد دوّن نصها العلماء، أخرج بعضها (ابن الأنباري) في كتاب الوقف ، والطبراني في معجمه الكبير، ويرجع سند (ابن الأنباري) الى (ميمون بن مهران) ، ويرجع سند (الطبراني) الى (الضحاك بن مزاحم) ، وقد أخذ (السيوطي) بالروايتين وسجلها في كتابه

---

١ الاغاني (٨/١٩٩) ، الفائق (١/٣٤٣) .
٢ العقد (٦/١٢٥) .
٣ المزهر (٢/٣٠٩) .
٤ الاغاني (٣/١١٧) .
٥ الاصابة (٤/٣٤٩) ، (رقم ٧٠٤) ، الاستيعاب (٤/٣٤٨ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٦ العقد (٦/١٢٥) .
٧ الاغاني (١٠/٢٩١) .
٨ السيوطي ، الاتقان (٢/٥٥) .

(الاتقان في علوم القرآن) ، بعد أن حذف منها نحو بضعة عشر سؤالاً[1] . وقد وردت هذه الرواية بصور مختلفة[2] ، وذكر ان (أبا عبيدة معمر بن المثنى) ، أخذ أسئلة نافع وأدخلها في كتابه في غريب القرآن[3] .

وكان (معاوية) ممن يروي ويحفظ الشعر الجاهلي ، وقد رووا عن حفظه للشعر الجاهلي واستشهاده به في كلامه شيئاً كثيراً ، فزعموا أنه كان يمتحن الناس بأشعار الجاهليين ، فإذا وجد في أحدهم علماً بها زاد في عطائه وقدمه عنده وأجزل عليه[4] . ورووا أنه كتب الى (زياد) بشأن ابنه ، وقد وجده عالماً بكل ما سأله عنه إلا الشعر : « ما منعك أن ترويه الشعر ؟ فوالله إن كان العاق ليرويه فيبرّ ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو ، وإن كان الجبان ليريه فيقاتل[5] . ويروى أنه سأل (عبدالله بن زياد) ، ما منعك من روايته ؟ قال : كرهت أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدري ، فقال : أعزب ! والله لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفّين مراراً ، ما يمنعني من الإنهزام إلاّ أبيات ابن الإطنابة ، وتمثل بها ، ثم كتب الى أبيه أن روّه الشعر ، فروّاه فما كان يسقط عليه منه شيء[6] .

وقد تعرض (الجاحظ) لموضوع الشعر الجاهلي فقال : « والعرب أوعى لما تسمع ، وأحفظ لما تأثر ، ولها الأشعار التي تقيد عليها مآثرها ، وتخلد لها محاسنها. وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عادتها في جاهليتها ، فبنت بذلك لبني مروان شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً وتدبيراً لا يحصى »[7] . وقد كان لبني سفيان وآل مروان

---

١ الاتقان (٢/٥٥ ـ ٨٨) .
٢ الكامل ، للمبرد (٥٦٦ وما بعدها) .
٣ السيوطي ، الوسائل في مسامرة الاوائل (١١٢) ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية(٢٤٣) .
٤ الاغاني (٣/١٠٠ وما بعدها) ، البيان والتبيين (١/٣٣٣) ، (٣/٩) ، الفائق (١/٢٤٠) .
٥ العقد الفريد (٦/١٢٥) .
٦ المزهر (٢/٣١٠ وما بعدها) ، وتروى هذه القصة بروايات أخرى ، راجع المصون ، للعسكري (١٣٦) ، مجالس ثعلب (٨٢)الامالي ، للقالي (١/١٥٨) ، عيون الاخبار (١/١٢٦) ، ديوان المعاني (١/١١٤) ، المرزباني ، معجم (٩) ، (فراج) ، عيون الاخبار (٣/١٥٩) . مجالس ثعلب (٦٧) ، (عبد السلام محمد هارون) .
٧ البيان والتبيين (٨٨) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) ، (بيروت ١٩٥٩ م ، المطبعة الكاثوليكية) .

عناية فائقة بالشعر الجاهلي ، فقد كان (معاوية) كما ذكرت يحفظ كثيراً من ذلك الشعر ، وينقب عنه ، وكان يسأل من يجد فيه العلم عنه ، حتى زعم أنه ذكر قصيدتي (عمرو بن كلثوم) و (الحارث بن حلزة) اليشكري ، وقال كانتا : « من مفاخر العرب ، وكانتا معلقتين بالكعبة دهراً »[1] . وزعم أن (بني أمية) « كانوا ربما اختلفوا وهم بالشأم في بيت من الشعر ، أو خبر ، أو يوم من أيام العرب ، فيبردون فيه بريداً الى العراق »[2] ، وأنهم كانوا يسألون الوافدين عليهم من سادات القبائل ومن الأعراب ومن العارفين بالشعر عن الشعراء، وقد يذكرون بيتاً أو شعراً حفظوه لا يدرون اسم قائله ، فكانوا يستفسرون عن قائله ، وعن المناسبة التي قال الشاعر شعره فيها ، ويحسنون جائزة من له علم بالشعر والأخبار[3] .

وكان (عبد الملك بن مروان) من العلماء بالشعر الجاهلي ، قيل انه كان يمتحن الناس به ، ومنهم (الحجاج بن أبي يوسف) الثقفي[4] . وقد ذكر انه استدعى اليه (عامر بن شراحيل) الشعبي ، ليحدثه عن الحلال والحرام ، وعن أشعار العرب وأخبارهم ، وكان (الشعبي) من ذلك الطراز البارع في الشعر وفي أخبار العرب وفي الحلال والحرام[5] ، وروي ان (عبد الملك) ، كان قد طرح أربعة من شعراء المعلقات ، وأثبت مكانهم أربعة[6] ، واذا صح هذا الخبر دل على وجود القصائد المسماة بالمعلقات في ذلك العهد .

وروي انه كان يقول : اذا أردتم الشعر الجيد ، فعليكم بالزرق من بني قيس ابن ثعلبة ، وبأصحاب النخيل من يثرب ، وأصحاب الشعف من هذيل[7]. ويظهر انه كان من المعجبين بشعر (الأعشى) ، روي انه قال لمؤدب ولده : « أدبهم برواية شعر الأعشى فإن لكلامه عذوبة »[8] . والأعشى هو من بني قيس بن ثعلبة،

---

١ الخزانة (٣/١٦٢) .
٢ العسكري ، التصحيف والتحريف (٤) .
٣ الاغاني (٣/٩١) .
٤ ياقوت ، ارشاد (١/٢٧) ، الامالي ، للقالي (١/١٥) .
٥ ارشاد (١/٩٦ وما بعدها) ، الخزانة (٢/٢٥٠) ، (هارون) .
٦ الخزانة (١/٦١) ، الخزانة (١/٢٨٨) ، (بولاق) .
٧ العقد (٦/١٢٤) .
٨ جمهرة اشعار العرب (٦٣) .

وقد كان يقيم وزناً كبيراً للشعر في تأديب الأولاد . فكانت وصيته لمؤدب ولده : « روهم الشعر ، روهم الشعر ، يمجدوا وينجدوا »[1] . وروي انه تمثل وهو بمرضه الذي مات فيه بشعر (ابن قيشة) ، وذلك أمام (الشعبي) ، فأنشده (الشعبي) شعراً من شعر (لبيد)[2] .

ونجد في الأخبار أن عبد الملك ، كان إذا شك في شعر ، أو أراد الوقوف عليه وعلى ظروفه ، كتب الى العلماء به ، يسألهم عنه ، أو يستدعي من يعرف أن له علماً به ، فيسأله عنه ، أو يسأل آل الشعر أو أحد أفراد قبيلته عنه . وكان كثير الحفظ له ، حتى كاد لا يدانيه فيه كثير من حفاظ الشعر ، وكان يجمع اليه الشعراء في يوم ، حتى يستمتع بإنشاد شعرهم ، وشعر المتقدمين عليهم. وكان له ذوق في الشعر ونقد دقيق له ، ذكر أنه قال يوماً للشعراء وقد اجتمعوا عنده : « تشبهوننا بالأسد والأسد أنخر ، وبالبحر والبحر أجاج ، وبالجبل مرة والجبل أوعر ، أقلتم كما قال أيمن بن خريم » ، ثم ذكر شعره في بني هاشم[3] . وقال للأخطل ، وقد كان قد قال له : « يا أمير المؤمنين ، قد امتدحتك فاستمع مني » « إن كنت إنما شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي في مدحتك، وإن كنت كما قالت أخت بني الشريد[4] لأخيها صخر فهات . فقال الأخطل : وما قالت يا أمير المؤمنين ؟ قال : هي التي تقول :

وما بلغت كفٌ امرىء متناولٍ من المجد إلا حيث ما نلت أطول»[5]

ثم قرأ عليه الأبيات . ولما دخل (جرثومةُ) الشاعر على عبد الملك بن مروان، فأنشده والأخطل حاضر ، « قال عبد الملك للأخطل : هذا المدح ويلك يا ابن النصرانية »[6] .

وكان يجمع بين الشعراء ، ويستمع الى شعرهم ، يجمعهم حتى إن كانوا

---

١ العقد (٦/١٢٥) .
٢ الخزانة (٢/٢٥١) ، (هارون) .
٣ المصون في الادب ، لابي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (ص ٦٢) ، (تحقيق عبدالسلام محمد هارون) ، (الكويت ١٩٦٠ م) .
٤ يعني الخنساء .
٥ المصون (٦٣) .
٦ المصون (٦٤) .

متعادين متنافسين ، فقد جمع بين جرير ، والفرزدق ، والأخطـل ، في مجلس واحد ، وذكر أنه سأل أعرابياً شاعراً عن أهجى بيت في الإسلام ، وعن أرق بيت في الإسلام ، فأشار الى أبيات لجرير ،وفضل جريراً عليها ، فأيده عبد الملك في هذا الرأي[1] .

وقد وصف (عامر) الشعبي ، (عبد الملك بن مروان) وصفاً يـدل على شدة إعجابه به ؛ إذ يقول في وصفه له : « فلما فرغ من الطعام وقعد في مجلسه واندفعنا في الحديث ، وذهبت لأتكلم ، فما ابتدأت بشيء من الحديث إلا استلبه مني فحدث الناس به ، وربما زاد فيه على ما عندي ، ولا أنشدته شعراً إلا فعل مثل ذلك . فغمّني ذلك ، وانكسر بالي له ، فما زلنا على ذلك بقية نهارنا ، فلما كان آخر وقتنا التفت إلي وقال : يا شعبي ، قد والله تبينت الكراهية في وجهك لما فعلتُ ، وتدري أي شيء حملني على ذلك ؟ قلت : لا يا أمـير المؤمنين . قال : لئلا تقول : لئن فازوا بالملك أولاً لقـد فزنا نحن بالعـلم ، فأردت أن أعرّفك أنّا فُزنا بالملك وشاركناك فيما أنت فيه »[2] ، ولهذا اجتمع اليه الشعـراء وعلماء الأخبار ورواة الناس ، حتى حفلت بهم مجالسه ، وكان يذاكرهم ويحادثهم وينوه بهم ويدني مجالسهم[3] . وذكر ان عبد الملك أرسل الى الحجاج أن يرسل اليه (الشعبي) ، فأرسله اليه ، فلما دخل عليه كان (الأخطل) عنده ، فأخذ يسأله عن الشعر ، ويسأل الأخطل عنه ، حتى اذا انتهى ، قال له : يا شعبي ، انما أعلمناك هذا ، لأنه بلغني ان أهل العراق يتطاولون على أهـل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعـلم بعلم أهل العراق من أهل العراق »[4] . وكان الشعبي قد جعل الخنساء أشعر النساء أما عبد الملك ففضل ليلى الأخيلية عليها . فشق ذلك عـلى الشعبي ، فقال له ذلك القول ، وردد عليه أبيات الأخيلية حتى حفظها . والرواية المتقدمة التي أخذتها من (الرافعي) هي هذه الرواية بشيء من التغيير .

وكان يتمثل بالشعر الجيد ، ويثني على الحسن منه ، ويحسن نقده . تمثل بشعر

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٤٥ وما بعدها) .
٢ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٠٩) .
٣ الرافعي (١/٤٠٧) .
٤ أمالي المرتضى (٢/١٦ وما بعدها) .

لهذيل بن مشجعة البولاني ، وقال : « هذا والله شعر الأشراف . نقى عن نفسه الحسدَ واللؤم والانتقام عند الإمكان ، والمسألة عند الحاجة »[1] . وله مجالس كان يسأل فيها الناس عن الشعر ، يمتحنهم ، وذكر أنه سأل رجلاً وهو بالكوفة عن شعر (ذي الاصبع العدواني) وعن أخباره ، وكان من عدوان ، فلما وجده جاهلاً حط من عطائه[2] ، وذكر أنه اجتمع بالربيع بن ضبيع الفزاري ، وسأله عن أخباره[3] ،وأنه كان يبدي ملاحظات قيمة على أشعار الشعراء الجاهليين والمعاصرين له[4] . وروي أنه كان يبحث عن شعر الشعراء بما فيهم الشعراء المعاصرون له ، فلما قدم (الأجرد) (الأحرد) ، وهو من شعراء ثقيف في نفر من الشعراء ، قال له : إنه ما من شاعر إلاّ وقد سبق الينا من شعره قبل رؤيته فما قلتَ »[5] .

وكان (الوليد) و (سليمان) ابنا (عبد الملك) من المولعين بالشعر كذلك ، وذكر أن (الوليد) كان يقدم (النابغة) على غيره من الشعراء ، وكان (سليمان) يقدم (امرأ القيس) ، فذكر ذلك لعبد الملك ، فبعث الى أعرابي فصيح ، ليكون الحكم بينهما[6] . ورويت القصة بشكل آخر ، ورد فيها أن (الوليد بن عبد الملك) تشاجر مع أخيه (مسلمة) في شعر (امرىء القيس) و (النابغة) الذبياني في وصف طول الليل أيهما أجود ، فرضيا بالشعبي فأحضر ، فصار الحكم بينهما[7] .

وكان (هشام بن عبد الملك) من المولعين بالشعر كذلك ، ذكر أنه كتب الى عامله في أشخاص (حماد) الراوية اليه لبيت سمعه لم يعرف اسم قائله .

وكان (الوليد بن يزيد) من المتيمين بالشعر ، وهو نفسه شاعر مجيد ، وكان يستدعي (حماد) الراوية ليسأله عن الشعر ، وقد قتل في سنة ست وعشرين ومائة . وكان منهمكاً في اللهو وشرب الخمر وسماع الغناء ، ذكر انه استفتح

---

١ رسائل الجاحظ (١/٣٦٢ وما بعدها) ، (كتاب فصل ما بين العداوة والحسد) .
٢ أمالي المرتضى (١/٢٤٩ وما بعدها) .
٣ أمالي المرتضى (١/٢٥٣) .
٤ أمالي المرتضى (١/٢٧٨) .
٥ الشعر والشعراء (٢/٦٢٠) .
٦ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٧٢) .
٧ الخزانة (٢/٣٢٥ وما بعدها) .

القرآن ، فخرج له : « واستفتحوا وخاب كـل جبار عنيد »[1] ، فألقاه ونصبه غرضاً ورماه بالسهام ، وقال :

تهدّدني بجبـارٍ عنيـد فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يومَ حشرٍ فقل: يا رب مزّقني الوليد[2]

وكان اذا أراد الاستفسار عن شعر جاهلي خفي أمره عليه ، أرسل الى (حماد) يسأله عنه[3] ، كما كان يسأل غيره عنه كذلك .

وروي انه نشر يوماً المصحف ، وجعل يرميه بالسهام ، وهو يقول :

تذكرني الحساب ولستُ أدري أحقاً ما تقول من الحساب
فقـل للهِ يمنعني طعامـي وقـل لله يمنعني شرابي

وانه قال :

اسقياني وابن حرب واستّرانـا بـإزار
فلقد أيقنت انـي غير مبعوث لنار
واتركا من طلب الجنّة يسعى في خسار
سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار[4]

الى غير ذلك من أشعار وأخبار ، وروايات تتهجم عليه ، نسبت بعضها الى أهله وأقاربه ، بل زعم ان الرسول لعنه في حديثه[5] ، ومثل هذه الأحاديث من الحديث الموضوع .

---

١ ابراهيم ، الآية ١٥ .
٢ الخزانة (٢/٢٢٨) ، (هارون) ، الخزانة (١/٣٢٨) ، (بولاق) .
٣ الخزانة (٤/١٢٩) ، (بولاق) ، وورد بصورة أخرى تختلف بعض الاختلاف عن هذه الرواية ، أمالي المرتضى (١/١٣٠) .
٤ أمالي المرتضى (١/١٢٩) ، ورويت بصور أخرى ، الاغاني (٧/٤٦) ، رسالـة الغفران (٤٤٤) .
٥ أمالي المرتضى (١/١٢٩) ، راجع رسالة الغفران حيث تجد بعض اشعاره (٤٤٤ وما بعدها) .

وفي شعر الوليد سلاسة وطبع ، وعدم مبالاة ، فالحياة في نظره ، سماع غناء، وخمر طيب ، أما الحكم والملك ، فلا يساويان شيئاً :

أنا الأمامُ الوليـــد مفتخراً أجر بُردي ، وأسمع الغزلا
أسحب ذيلي الى منازلهـــا ولا أبـالي من لام أو عذلا
ما العيش إلا سمـاع مُحسنة وقهوة تترك الفتى ثمـــلا
لا أرتجي الحور في الخلود وهل يأمل حور الجنان من عقلا ؟
إذا حبتك الوصال غانيـــة فجازها بـــذلها كمن وصلا

ويقال إنه لما أحيط به ، دخل القصر وأغلق بابه وقال :

دعوا لي هنداً والرباب وفرتني ومسمعة ، حسبي بذلك مـالا
خذوا ملككم،لا ثبت الله ملككم فليس يساوي بعد ذاك عقالا
وخلّوا سبيلي قبل عيرٍ وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هزالا[1]

وكان (ابن شهاب الزهري) من رواة الشعر ، وكان من المؤلفين ، وقد توفي سنة (١٢٤ هـ)[2] ، وكان راويـــة للشعر ، يحفظ الكثير منه ، حتى كان الأمويون إذا أشكل عليهم أمر من أمور الشعر ، أرسلوا اليه يسألونه عنه[3] .

وكان (عروة بن الزبير) من رواة الشعر ، ويعد من أشهر رواته عند أهل الحجاز ، روى عن عائشة ، وكان يقول : « روايتي في روايـة عائشة »[4] ، وقد روى عن اختها (أسماء) بنت أبي بكر ، روى عنها شعراً لزيد بن عمرو بن نفيل ، ولورقة بن نوفل[5] ، وكان يزور آل مروان ، رآه الحجاج « قاعداً مع عبد الملك بن مروان ، فقال عروة : أنا لا أم لي ! وأنا ابن عجائز الجنة ! ولكن إن شئت أخبرتك من لا أم له يا ابن المتمنية ! فقال عبد الملك : أقسمت عليك أن تفعل ، فكفّ عروة . والمتمنية ، هي الفُريعة بنت همام ، أم الحجاج

---

١ رسالة الغفران (٤٤٤ وما بعدها) ، الاغاني (٧/٤٦ ، ٧٣) .
٢ المعارف (٤٧٢) .
٣ الاغاني (٤/٢٤٨) .
٤ الاصابة (٤/٣٤٩) ، (رقم ٧٠٤) .
٥ الاغاني (٣/١٢٤ وما بعدها) .

وهي القائلة :

هل من سبيل الى خمرٍ فأشربها أم من سبيل الى نصر بن حجاج[1]

وللمتمنية قصة ، لا تخلو أن تكون من وضع أعداء الحجاج .

وقد نسب أهل الأخبار الى بعض رواة الشعر حفـظ الشيء الكثير من ذلك الشعر ، نسبوا الى بعضهم حفظ آلاف القصائد عدا القطع والأراجيز . ذكروا مثلاً ان (حماداً) الراوية كان يحفظ (٢٧) قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة[2] . وان (الأصمعي) ، كان يحفظ (١٦) ألف أرجوزة[3] ، وان (أبا ضمضم) ، كان يروي لمائة شاعر اسم كل منهم (عمرو)[4] ، وأن (أبا تمام) حفظ (١٤) ألف أرجوزة من أراجيز الجاهلية غير القصائد والمقاطيع[5]، الى أمثال ذلك من أرقام لا تخلو من مبالغات أهل الأخبار .

وروي أن فتياناً جاءوا الى (أبي ضمضم) بعد العشاء ، فقال لهم : مـا جاء بكم يا خبثاء ؟ قالوا : جئناك نتحدث ، قال : كذبتم ، ولكن قلتم كبر الشيخ فتتلعبه عسى أن نأخذ عليه سقطة ! فأنشدهم لمائة شاعر ، وقال مرة أخرى لثمانين ، كلهم اسمه عمرو[6] . وقال (الأصمعي) : « فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثلاثين . فهذا ما حفظه أبو ضمضم ، ولم يكن بأروى الناس ، وما أقرب أن يكون من لا يعرفه من المسمّين بهذا الإسم أكثر ما عرفه » .

ولما نشأ التدوين بالمعنى المفهوم من هذه اللفظـة في الإسلام ، كان الشعر في طليعة الموضوعات التي عني الناس بهـا في أيام الأمويين فما بعد . فجمعوا شعر الشعراء على انفراد ، وجمعوا شعر جماعة منهم ، أو شعر قبيلة أو قبائل،وجمعوا

---

١ الفائق (٣/٥٢ وما بعدها) .
٢ النجوم الزاهرة (١/٤٢٠) ، زيدان ، تأريخ آداب اللغة العربية (١/٧٧) .
٣ ابن خلكان (١/١٢١) ، طبقات الادباء (١٥١) ، زيدان (١/٧٧) .
٤ الشعر والشعراء (٤) . زيدان (١/٧٧) .
٥ ابن خلكان (١/١٢١) ، زيدان (١/٧٧) .
٦ الشعر والشعراء (٩) ، (الثقافة) .

شعر طبقة من الطبقات الاجتماعية ، كما عنوا بالاختيارات وغير ذلك[1] .

وقد أخذ بعض رواة الشعر الجاهـــلي من منابعه ، أي من القبائل ، « قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : دخل أبو عمرو اسحاق بن مرار البادية ومعه دستيجان من حبر ، فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب »[2] . (وأبو عمرو) هذا ، هو أبو عمرو الشيباني .

وقد أشار (ابن النديم) والعلماء الذين عنوا بالشعر الى أسماء نفر من العلماء عنوا واشتغلوا بجمع الشعر ، وذكروا أسماء كتبهم واختياراتهم . وقد وصل الينا بعض ما اشتغلوا فيـــه وجمعوه ، فطبع ، ومنه ما لا زال مخطوطاً محفوظاً في خزائن الكتب . وهو معروف يعرف الناس المواضع التي يوجد فيها ، وقد تهيأ له من يقوم بطبعه وتيسيره بذلك للناس ، غـــير أننا لا نزال نجهل مصير عدد كبير من الدواوين والأشعار والاختيارات التي ذكر (ابن النديم) وغيره أسماءها مع أسماء جامعيها ، لا ندري إذا كانت اليوم في خزائن الكتب لا يعرف الناس من أمرها شيئاً ، لعدم إحاطة المسؤولين بأمر تلك الخزائن العلم بها ، أو أنها عند أسر لا تعرف من أمر المخطوطات شيئاً ، لجهلها بها وبالعلم ، أو أنها تلفت وولت لعوامل عديدة ، فلا أمل إذن من بعثها ونشرها .

وقد تحرش (الجاحظ) بنموذج من رواة الشعر بالبصرة ، فقال : « وقد أدركت رواة المسجدين والمربدين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ، ونسيب الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعـــار المنصفة ، فإنهـم كانوا لا يعدونـــه من الـرواة . ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الحديث والقصائد ، والفقر والنتف من كل شيء . ولقد شهدتم وما هم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف ، فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب ، فصار زهدهم في شعر العباس بقـــدر رغبتهم في نسيب الأعراب . ثم رأيتهم منذ سنيّات ، وما يروى عندهم نسيب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر ، أو فتياني متغزل .

وقد جلست الى أبـي عبيدة ، والأصمعي ، ويحيى بن المنجـم ، وأبـي مالك

---

١ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (٦٧/١) .
٢ نزهة الالباء (ص ٦١ وما بعدها) .

عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحداً منهم قصد الى شعر في النسيب فأنشده . وكان خلف يجمع ذلك كله »[1] .

ولم يقتصر عمل الراوية على رواية الشعر وإنشاده للناس ، بل كان يقوم أيضاً بشرح غامض ألفاظه وبإجلاء ما قد يكون في الشعر من معان خفيـــة غامضة ، كما كان يقوم بشرح الظروف والمناسبات التي نظم الشعر فيها ، الى غـــير ذلك من أمور تتعلق بالشعر . ولهذا فإن راوية الشاعر ، هو ديوان حي للشاعر ، فيه كل ما يتعلق بشعر ذلك الشاعر .

ولم يقتصر جمع الشعر على عشاقه ورواته والعلماء به ، أو على الرواة الشعراء، بل ساهم فيه أناس تخصصوا بأمور أخرى، كان لاختصاصهم اتصال متين بالشعر ، مثل علماء النسب وعلماء الأيام والأخبار . فقد أمدنا هؤلاء بمادة لا بـأس بها من الشعر الجاهلي ، في الجاهلية وفي الاسلام . كانوا إذا تحدثوا عن نسب قبيلة أو عن نسب رجـــل معروف ، ذكروا ما قيل في حقها أو في حقه من مدح أو هجاء ، وكانوا إذا تكلموا عن أيام الجاهلية ، اضطروا الى سرد ما قال فيهـــا أبطالها وفرسانها من شعر . فقد كان من عادة الأبطال إنشاد شعر التبجح بالنفس وبمفاخرها وبمفاخر القبيلة حين نزولهم ساحة القتال ، وكان من عـــادة المنتصر تخليد نصره بأشعار ينشدها أبناء القبيلة ، لتكون تسجيلاً لمفاخره بين الناس .

وساهم علماء العربية : علماء اللغة والنحو والتفسير والحديث مساهمة تذكر في تخليد الشعر الجاهلي ، بما جمعوه من شواهد في اللغة وفي النحو وفي الصرف،وفي تفسير القرآن والحديث من أبيات وقطع بل قصائد أحياناً . فقدموا لنا بفعلهم هذا مادة ساعدتنا في زيادة معارفنا عن شعر ما قبل الاسلام ، وفي ضبط الشعر الوارد في المصادر الأخرى ، وتصحيح ما قد يكون قد وقـع في الروايات المتضاربة من أوهام ، كما أمدتنا بمادة لا بأس بها ، بل جديدة ونادرة أحيانـــاً عن أصحاب الشعر وعن المناسبات التي قيل فيها .

وقد تعرض (الجاحظ) لأمر هؤلاء في الشعر ، فقال : « ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب . ولم أر غاية رواة الشعر إلا كل شعـر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج . ولم أ، غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيـه

---

١ البيان والتبيين (١٠٠) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) .

الشاهد والمثل »[1] .

يقول (بروكلمن) : « ولم يبدأ جمع الشعر إلا في عصر الأمويين ، وإن لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدي العلماء في عصر العباسيين ، بيد ان معنى التحري في وثوق الرواية ، والتدقيق في النقل اللغوي على النحو الذي نعرفه في عصرنا هذا ، كان أمراً غريباً بعد على جمّاع ذلك العصر . ولما كان كثير من هؤلاء الجماع أنفسهم شعراء ، فقد ظنوا انه ليس من حقهم فقط ، بل ربما كان واجباً عليهم أيضاً في بعض الأحيان أن يصلحوا ما رووه للشعراء القدماء أو يزيدوا عليه . فلا عجب اذا لم يبالوا أيضاً بالوضع والاختراع لتوثيق رواياتهم . وقد أراد حماد الراوية أن يفسر تفوقه ، والتفوق المزعوم لأصحابه الكوفيين في الدراية بالشعر القديم ، فزعم انه وجد الشعر الذي كتب بأمر النعمان ودفن في قصره الأبيض بالحيرة ، ثم كشف في أيام المختار بن أبي عبيد .

لقد غيّر الرواة بعض أشعار الجاهلية عمداً ، ونسبوا الأشعار القديمة الى شعراء من الجاهلية الأولى ، كما يمكن أن يكون وضع أشعار قديمة ، منحولة على مشاهير الأبطال في الزمن الأول لتمجيد بعض القبائل ، أكثر مما نستطيع إثباته .

على أنه بالرغم من كل العيوب التي لم يكن منها بد في المصادر القديمة ، يبدو أن القصد الى التشويه والتحريف لم يلعب إلا دوراً ثانوياً . وقد روى علماء المسلمين أشعاراً للجاهليين تشتمل على أسماء أصنام وعبادتها ، وأن أسقطوا أيضاً أبياتاً أخرى لشبهات دينية ، وذلك في حالات يبدو أنها قليلة ، لأن الشعور الديني لم يكن غالباً على نفوس العرب في الجاهلية »[2] .

ويعود الفضل في جمع الشعر الجاهلي وتدوينه وتخليده الى مدينتين اشتهرتا بالعلم ، هما : الكوفة والبصرة ، فقد كان علماء هاتين المدينتين في طليعة من عني بجمع الشعر الجاهلي وتقصيه ، ولا نكاد نجد مدينة إسلامية ، بلغت مبلغها في هذه الناحية ، أو تمكنت من مزاحمتها في جمع شتات هذا الشعر وحصره في كتب مدونة صارت مرجعاً للعلماء ولعشاق هذا الشعر الى يومنا هذا . ونكاد لا نجد كتاباً في الشعر أو في الأدب ، إلا وهو عيال على علم علماء هاتين المدينتين .

---

١ البيان والتبيين (١٠١) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) ، (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٩ م) .

٢ بروكلمن (١/٦٥ وما بعدها) .

الغساسنة ، ليجد له مأوى عندهم ، كما فعل النابغة والمتلمس . ولما كان الغساسنة قد تأثروا بالحياة الحضرية ، أكثر من ملوك الحيرة،وقد تشربوا بالثقافة البيزنطية، فعاشوا في بيوت بدمشق بين الحضر ، وبنوا القصور الكبيرة في القرى التابعة لهم، وهي مواضع خصبة ، وقد أثّثوها على الطريقة الرومية ، وكانوا يسمعون الغناء الرومي ، وكانت مصالحهم بالأعراب وبجزيرة العرب – كما قلت – غير ذات بال ، لم يحفلوا بالشعراء الوافدين عليهم احتفال ملوك الحيرة بهم ، ولم يغدقوا إغداق المناذرة عليهم ، فصار عدد الشعراء الوافدين عليهم قليلاً إذا قيس بعدد من كان يذهب منهم الى قصور الحيرة ، كما يظهر ذلك جليّاً من كتب الأخبار والأدب التي تحدثت عن الشعراء الجاهليين ، ولعل هذا الصدّ عن الشعراء هو الذي حمل (النابغة) على ألا يمكث عند الغساسنة طويلاً ، فحمل حمله ، وعاد الى الحيرة معتذراً الى النعمان عما بدر منه من خطأ ، رامياً سبب ما وقع بينهما من قطيعة الى عمل الوشاة الحساد . ولعله كان أيضاً في جملة العوامل التي جعلت العراق يتقدم على الشأم في رواية الشعر الجاهلي وفي نشره ، فنحن لا نكاد نعرف رجلاً من أهل الشأم الصميمين ، قام بالشعر الجاهلي ، أو بأمر شعراء العرب في الشأم من أهل الجاهلية ، كما قام به أهل العراق . ولم تشتهر (دمشق) ولا غيرها من مدن بلاد الشأم بما قامت به مدن العراق من جمع الشعر الجاهلي على الرغم من تحمس الأمويين وكلفهم في جمعه وتدوينه .

وقد تعرض العلماء لأمر (المدينة) ، فقالوا : « فأما مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فلا نعلم بها إماماً في العربية . قال الأصمعي : أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة .

وكان بها ابن دأب ، يضع الشعر وأحاديث السمر، وكلاماً ينسبه الى العرب، فسقط وذهب علمه وخفيت روايته ، وهو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، يكنى أبا الوليد ، وكان شاعراً وعلمه بالأخبار أكثر[1] . وذكر ان في جملة ما صحفه من الشعر ، قول (الحارث بن حلزة) اليشكري :

أيها الكاذب المبلغ عنا عبد عمرو وهل بذاك انتهاء

---

١ المزهر (٢/٤١٣ وما بعدها) .

وانما هو : عند عمرو[1] .

وأقدم ما لدينا من مدونات الشعر الجاهلي ، الاختيارات التي جمعها (حماد) الراوية ، المعروفة بـ (المعلقات) ، والتي عرفت بالسموط . ولعلها الديوان الذي ذكر (ابن النديم) انه أرسله الى (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ، فاستعان به مع ديوان آخر بعثه اليه (جناد) ، ليجمع منهما ومن غيرهما ديوان العرب وأشعارها[2] ، وقد يكون ديواناً آخر أوسع من هذا المجموع .

ويلي هذه الاختيارات ، اختيارات أخرى جمعها رجل من أهل الكوفة أيضاً، وراوية من رواة الشعر المعروفين هو (المفضل بن محمد بن يعلى) الضبي ، المتوفى سنة (١٦٤ هـ) (٧٨٠ م) ، أو (١٦٨) ، أو (١٧٠ هـ) ، على اختلاف الروايات . وقد اتخذه (المنصور) مؤدباً لابنه (المهدي) فعمل له الأشعار المختارة المسماة المفضليات ، وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه ، والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي . قال : وأول النسخة التي لتأبط شراً :

يا عيد ما لك من شوق وابراق ومرّ طيف على الأهوال طراق[3]

[هذا وقد وقع في الجزء الأول من هذا الكتاب سهو، إذ سقطت لفظة(مائة) من « وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة » ، فصارت على هذا النحو : « وهي ثمان وعشرون قصيدة » ، وقد تزيد وتنقص »[4] ، ولذلك أحببت أن ألفت نظر القراء لإصلاح هذه الهفوة] .

ويلي هذه الاختيارات اختيارات أخرى جمعها (الأصمعي) ، سأتحدث عنها أثناء حديثي عنه بعد قليل،ثم اختيارات أخرى عرفت بـ (جمهرة أشعار العرب)، قد جمعت في أواخر المائة الثالثة للهجرة . « وهي مجموعة سباعية تشتمل على سبعة أقسام ، أولها المعلقات السبع،وتحمل الأقسام الستة الباقية حُلى من العناوين المختارة

---

١ المزهر (٢/٣٦٢) .

٢ الفهرست (١٤٠) .

٣ الفهرست (١٠٨) ، الاغاني (٥/١٢٥) ، بروكلمن (١/٧٣) .

٤ (٦٨) .

وهي : المجمهرات ، المنتقيات ، المذهبات ، المراثي ، المشوبات ، الملحمات »[1].

« ويسمى جامعها أبا زيد القرشي ، وقيل إن سند رواية أبي زيد هـذا ، وهو المفضل ، كان في المرتبة السادسة من سلالة الخليفة عمر بن الخطاب ، واذاً فلا بد أن حياته كانت في أواخر القرن الثالث الهجري . على ان كلا الرجلين : أبي زيد والمفضل ، مجهول بالكلية فيما عدا ذلك . ويبدو لنا ان تسميتها موضوعة على اسمي كل من أبي زيد الأنصاري النحوي المشهور وشيخه المفضل . ولكن لما كان كتاب الجمهرة معروفاً لابن رشيق (٣٩٠ – ٤٥٦ هـ / ١٠٠٠–١٠٦٤م) ، فقد يكون تم تأليفه في ملتقى القرنين الثالث والرابع للهجرة »[2] .

وهناك مجموعات أخرى مثل ديوان الحماسة لأبي تمام (المتوفى ٢٣١ هـ) ، وديوان الحماسة للبحتري (٢٠٥ – ٢٨٤ هـ) ، وحماسة (الخالديين) ، أو كتاب الأشباه والنظائر ، للأخوين : أبي عثمان سعيد (المتوفى حوالى ٣٥٠ هـ) ، وأبي بكر محمد (المتوفى ٣٨٠ هـ) ، ومجموعات أخرى معروفة ، مثل كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الاصبهاني ، ذكرها (بروكلمن) و (جرجي زيدان) ، وغيرهما ممن بحث عن الشعر الجاهلي ، فلا حاجة بي اذن الى ذكرها في هذا المكان .

ولم يلزم رواة الشعر الأول وعلماء اللغة والنحو أنفسهم النص على اسم المنبع الذي غرفوا الشعر أو الخبر منه ، فصار من الصعب علينا ، بل من غير الممكن التعرف على السبيل الذي سلكه هذا الشعر الجاهلي من الجاهلية حتى وصل الى (حماد) الراوية ، أو (خلف) الأحمر ، أو غيرهما من رواة الشعر . ولو كانوا قد نصوا عليه ، لأمكن التثبت من صحة الشعر ، بنقد سلسلة السند ، أو المصدر المكتوب إن كان مكتوباً ، فيخفف بذلك من هذا الشك الذي يحوم حول صحة المصادر التي أخذ الرواة منها معينهم عن هذا التراث الخالد الجاهلي .

وقد اكتفى الرواة أحياناً بذكر اسم (أعرابي) ، نسبوا أخذ شعرهم أو خبرهم اليه ، اتصلوا به أثناء قدومه البصرة أو الكوفة ، أو في أثناء ذهابهم الى البادية لجمع العلم بأخبار العرب وبشعرها القديم منها ، ومعظمهم من قبائل مختارة

---

١ بروكلمن (١/٧٥) .
٢ بروكلمن (١/٧٥) .

نصوا على اسمها ، مثل تميم ، وأسد ، وهي القبائل التي ارتضى علماء اللغة الأخذ عنها ، وكان بعضهم ممن ترك البادية وعاش في الحاضرتين ، وأظهروا مقدرة وكفاءة في الرد على أسئلة العلماء ، استوجبت توثيقهم وتقديمهم ، حتى صار بعضهم من طبقة العلماء .

ولم يشر العلماء أحياناً الى اسم الأعرابي ، أو الأعراب الذين أخذوا عنهم ، بل اكتفوا بالاشارة الى أنهم سمعوا ما ذكروه من (أعرابي) ، أو من (أعرابي) فصيح ، أو من (فصحاء الأعراب) ، أو (فصحاء العرب) . ولا ندري حال هؤلاء الأعراب وحظهم من العلم والمعرفة بعلوم اللغة ، وبأمور القبيلة في الجاهلية ، وقد يصح الأخذ منهم في أمور لغوية تخص لهجة قبيلتهم ، أما في موضوع الشعر والأخبار ، فهناك مشاكل شائكة تجعل من الصعب قبول روايتهم، لمجرد أنهم أعراب ، وأنهم أعلم من الحضر بأمور قبيلتهم ، فبينهم من كان لا يبالي من التحقق بإجابته ، فيجيب حسب مزاجه وهواه .

وقد اشتهر وعرف بعض الأعراب ، حتى دخلت أسماؤهم في الكتب ، وقد دوّن (ابن النديم) أسماء جماعة منهم في باب دعاه : « أسماء فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، وشيء من أخبارهم وأنسابهم »[1] . وقد ذكر ان من بين هؤلاء من كان معلماً ، يعلم الصبيان بأجرة ، ويؤخذ منه العلم ، وكان شاعراً ، مثل (أبو البيداء) الرباحي ، وهو أعرابي نزل البصرة ، وعلم بها ، و (أبو مالك عمرو بن كركرة) ، وكان يعلم في البادية ويورق في الحضر مولى بني سعد ، راوية أبي البيداء ، وكان عالماً باللغة ، وله رأي طريف : « يزعم ان الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء »[2] ، و (أبو عرار) ، وهو أعرابي من (بني عجل) ، قريب من (أبي مالك) في غزارة علم اللغة ، وكان شاعراً ، وكان ممن يتصل به (جناد) و (اسحاق بن الجصاص)[3] . ولبعضهم مؤلفات،ذكر أسماءها (ابن النديم) . وقد أقام معظمهم بين الحضر ، في المدن المشهورة التي كانت تبحث عن أمثال هؤلاء ، مثل البصرة والكوفة ، ثم بغداد ، وكان أكثرهم ينظم الشعر ، ومنهم من كان كاتباً قارئاً ، طابت له

---

١ الفهرست (ص ٧١ وما بعدها) .
٢ الفهرست (ص ٧٢) .
٣ الفهرست (ص ٧٢) .

الاقامة بين الحضر ، ووجد له الرزق بينهم ، ففضل الراحة وطلب المـال على الاقامة في أرض الشح والفقر .

بعض رواة الشعر :

هناك رجال غلبت عليهم رواية الشعر ، فاشتهروا بها ، مثل حماد الراويـة وخلف الأحمر . غير ان هناك رجالاً ، اشتغلوا بالعربية والنحو ، لا يقل جهدهم في جمع الشعر الجاهلي عن جهد رواة الشعر ، منهم من جمعه لتفسير كلام الله، ومنهم من حفظه للاستشهاد به في ضبط اللغة وقواعد النحو ، حتى اننا لنجد في كتب اللغة والمعاجم وشواهد النحو ، أبيات شعر وقطع لشعراء جاهليين فات خبرها عن رواة الشعر ، ولهذا فنحن لا نستطيع فصل عمل هؤلاء عن عمل رواة الشعر ، وعدم الاشارة اليهم في أثناء حديثنا عن العلماء الذين كان لهم فضل جمع الشعر الجاهلي .

ومن أعرف رواة الشعر الجاهلي ، عامر بن شراحيل الشعبي ، المولود سنـة (٩) للهجرة والمتوفى سنة (١٠٤) أو (١٠٥) للهجرة ، و (أبو عمرو بن العلاء) المتوفى ما بين السنة (١٥١) والسنة (١٥٩) للهجرة،وحماد الراوية ، والمفضل الضبي ، وخلف الأحمر ، وأبـو عمرو الشيباني ، المتوفى سنة (٢٠٥) أو (٢٠٦) ، أو (٢١٣) للهجرة ، وأبو عبيدة ، ومحمد بن السائب الكلبي المتوفى سنـة (١٤٦) للهجرة ، وابنه (هشام بن محمد بن السائب) الكلبي ، وابن الأعرابي ، وابن السكّيت ، المتوفى سنـة (٢٤٤) أو (٢٤٦) للهجرة ، والطوسي ، المتوفى في حوالى السنة (٢٥٠) للهجرة ، والسكّري،المتوفى سنة (٢٧٠) أو (٢٧٥) للهجرة والمبرد ، المتوفى سنة (٢٨٢) ، أو (٢٨٥) ، أو (٢٨٦) للهجرة[1] ، وغـيرهم ممن تجد اسماءهم في (الفهرست) لابن النديم وفي الموارد الأخرى . ويعد (أبو عمرو ابن العلاء بن عمّار بن العريان) من (خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم) المتوفى سنة (١٥٤هـ)[2] . من أعلم زمانه في الشعر واللغة ، وقـد ذكر أن

---

١ Ch. J. Lyall, Ancient Arabian Poetry, pp. XXXIX.

٢ المعارف (٥٤٠) ، أخبار النحويين ، للسيرافي (٢٨ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١١٢/١٠) ، تهذيب الاسماء واللغات (٢٦٢/١) .

اسمه (زبّان بن العلاء بن عمار) المازني[1] . وكان عالماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، وكان مشهوراً في علم القراءة والحديث واللغة والعربية[2] . وقد أخذ الشعر عن أعراب أدركوا الجاهلية ، واثنى عليه (الجاحظ) ، وأطرى على علمه ، فقال : « كان أعلم الناس بأمور العرب ، مع صحة سماع وصدق لسان. حدثني الأصمعي ، قال : جلستُ الى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي . قال : وقال مرة : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته . يعني شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وحدثني أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعلم الناس بالغريب والعربية ، وبالقرآن والشعر ، وبأيام العرب وأيام الناس » ، « وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء ، قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ، ثم إنه تقرأ[3] فأحرقها كلها ، فلما رجع بعد الى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه . وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية »[4] .

وقد فسر بعض المستشرقين إحراق (أبو عمرو بن العلاء) لكتبه ، على انه كان تحت تأثير أزمة دينية تدل « على ان أوساط التدين في العراق لا تنظر بعين الارتياح الى التنقيب عن بقايا الوثنية »[5] . وأشار بعض منهم الى ان الحرق تناول ما جمعه من الشعر الجاهلي ، وانه كان في أزمة زهدية لينصرف الى دراسة القرآن[6] . وهو تفسير غريب ، استنتجوه من لفظة (تقرأ) ، أي (تنسك) على ما يظهر ، وليس لهذه اللفظة صلة بالوثنية وبالشعر الجاهلي ، ولو كان الشعر الجاهلي ممقوتاً ، وجمعه وحفظه مذمومين ، لما حفظه الصحابة وترنموا واستشهدوا به ، ثم ان غيره من الزهاد مثل (أبو الأسود) الدؤلي ، كان يحفظ هذا الشعر ويستشهد به ، وقد رأينا ان الرسول ، كان يسمعه ويستشهد به ، ثم ان خبر

---

١ المزهر (٢/٣٠٤) ، البيان والتبيين (١/٣٢١) ، الفهرست (٤٨) ، بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٢٧٠) .

٢ نزهة الالباء (٢٤) ، المقتبس ، للمرزباني (٢٥ وما بعدها) ، ابن خلكان (١/٣٨٦ وما بعدها) ، الذهبي ، العبر (١/٢٢٣) .

٣ تقرأ ، تنسك .

٤ البيان والتبيين (١/٣٢٠ وما بعدها) ، ابن خلكان (١/٣٧٦) .

٥ ريجيس بلاشير ، تأريخ الادب العربي (١١٠) .

٦ المصدر نفسه (الحاشية رقم ٤) .

إحراق الكتب ، لا يشير لا تصريحاً ولا تلميحاً الى علاقته بالشعر ، ولعله خبر موضوع ، وضعه (أبو عبيدة) ، لغرض ما ، كأنه كان يريد من وضعه المبالغة في علمه وفي زهده ، أو ان حريقاً غير متعمد أصاب بعض كتبه ، فضخمه ووسعه ، وجعله إحراقاً متعمداً ، إذ لا يعقل أن يقوم هو بإحراق كتبه كلها ، ثم إن قوله : « وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء ، قد ملأت له بيتاً الى قريب من السقف ، ثم انه تقرأ فأحرقها كلها » لا يخلو من مبالغة ، فليس من السهل على رجل كتابة هذا القدر من الكتب بالنسبة لذلك الوقت ، حيث كان الورق غالياً ، بحيث تملأ بيتاً الى قريب من السقف،ثم قيامه بإحراقها كلها بمثل هذه البساطة والسذاجة ، فهي في نظري قصة مصطنعة ، لا حقيقة فيها . ومما يؤيد سذاجة هذه القصة ، هو ان صاحبها عاد فقال انه رجع بعد الى علمه الأول ، فلم يكن أمامه عنده إلا ما حفظه بقلبه[1] ، مما يثبت انه أراد من وضعها المبالغة في علمه ، بزعمه انه كان قد حفظ ما شاء الله من العلم ، ومنه الشعر الجاهلي الذي كان يمجده ، ويرى انه وحده هو الشعر ، ولهذا لم يستشهد أو يحتج ببيت اسلامي ، مهما بلغ الشعر الاسلامي من الجودة والحسن ، لأنه شعر محدث ، والمحدث لا يقاس بالشعر الجاهلي الأصيل ، مهما بلغ من الاتقان .

وقد زعم أنه قال : « ما زدت في شعر العرب إلا بيتاً واحداً ، يعني ما يروى للأعشى من قوله :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا »[2]

ولا ندري بالطبع إذا كان هذا الكلام المنسوب الى (أبي عمرو) هو من كلامه حقاً ، أو كان من الكلام المصنوع المنحول عليه . واذا كان صحيحاً ، فان فيه تلميحاً الى أن هناك من قد اتهمه بالوضع ، جرياً على العادة التي كانت اذ ذاك من اتهام العلماء بعضهم بعضاً بالوضع ، فروي هذا الخبر في تبرير ذمته من الوضع ، وإنه لم يضع في حياته إلا البيت المذكور .

و (عوانة بن الحكم بن عياض) الكلبي ، ويكنى (أبا الحكم) ، من هذم

---

١ البيان والتبيين (١/٣٢١) .
٢ المزهر (٢/٤١٥) ، الاغاني (٣/١٤٣) .

الرعيل الذي كان له فضل في جمع الشعر . كان من علماء الكوفة،راوية للأخبار عالماً بالشعر والنسب ، وكان فصيحاً ضريراً . وله كتب . منهـا كتاب التأريخ وكتاب سيرة معاوية وبني أمية ، وقد ذكر بعضهم أنه (لمنجاب بن الحارث)، غير أن (ابن النديم) ، نص على أنه لعوانة ، وليس لمنجاب . وذكر (ابن النديم) أنه قرأ بخط (أبـي عبدالله بن مقلة) « قال أبو العبّاس ثعلب : جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وردّ الديوان الى حماد وجناد »[1] . مما يدل على أن (الوليد) كان قد استعـار منها ديواناً كان عندهما في أشعار العرب . ولعل كل واحد منها كان قـد جمع ديواناً خاصاً به ، فاستعان (الوليد) بهما في اخراج ديوان واحد يضم مـا جاء في الديوانين من شعر . وكانت وفاة (عوانة) سنة (١٤٧ هـ) .

و (المفضل بن محمد بن يعلى الضبي) الكوفي ، المتوفى سنة (١٦٤ هـ)، (١٦٨ هـ) ، (١٧٠ هـ) ، هو من أصحاب العلم بالشعر ، وكان قد انضم الى جماعة (ابراهيم بن عبدالله بن الحسن) العلوي ، فظفر به المنصور ، وعفا عنه ، وألزمه ابنه (المهدي) ، وجعله مؤدباً له . وللمهدي عمل الأشعار المختارة المسماة (المفضليات) ، « وهي مائة وثمانٍ وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه. والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي. قال : وأول النسخة لتأبط شراً :

يا عبد ما لك من شوق وابراق ومرّ طيف على الأهوال طراق[2]

وذكر (ابن النديم) ان له من الكتب : (كتاب الاختيارات. وقد ذكرناه. كتاب الأمثال . كتاب العروض . كتاب معاني الشعر . كتاب الألفـاظ)[3] . وكتاب الاختيارات ، هو (المفضليات) ، ويظهر انه عرف بـ (المفضليات) نسبة الى الجامع ، فطغت هذه التسمية على الاسم الأصل[4] .

---

١ الفهرست (١٤٠) .
٢ الفهرست (ص ١٠٨) ، الاغاني (٥/١٢٥) ، ياقوت ، ارشاد (٧/١٧١) ، بغية الوعاة (٢/٢٩٧ وما بعدها) ، انباه الرواة (٣/٢٩٨ وما بعدها) ، ابن الانباري نزهة (٥٦) ، المعارف (٥٤٥) .
٣ الفهرست (١٠٨) .
٤ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٧٢ وما بعدها) .

وكان المفضل عالماً بالشعر ، وكان أوثق من روى الشعر من الكوفيين . ولم يكن أعلمهم باللغة والنحو ، انما كان يختص بالشعر . وقد روى عنه (أبو زيد) شعراً كثيراً[1] .

وليست هذه القصائد التي يضمها كتاب المفضليات كلها من جمع المفضل وترتيبه على ما جاء في بعض الموارد ، وليس في هذه القصائد المطبوعة في المفضليات إلا سبعون قصيدة هي من اختيار المفضل . أما بقيتها ، فهي زيادات وإضافات وضعت على تلك القصائد[2] . وليس للمفضل منها على ما جاء في مورد آخر إلا ثمانون قصيدة هي التي أخرجها للمهدي . وأما ما تبقى منها ، فهي من اختيارات الأصمعي ، وهي أربعون قصيدة من مجموع عشرين ومئة[3] . فيكون ثلثاها على وفق هذه الرواية من اختيار المفضل . وأما الثلث الباقي ، فمن اختيار الأصمعي[4] . ولم يذكروا شيئاً عن القصائد الثماني الباقية ، وقد نص (ذيل الأماني) على أنها مائة وعشرون[5] .

ويدل هذا الإختلاف على ان رواة المفضليات لم يعتمدوا في روايتهم للكتاب على النسخة الأم ، وهي النسخة التي اختارها المفضل للمهدي . وإلا لما حدث اختلاف بين الروايات في ترتيب القصائد وفي عددها، أو أن المفضل نفسه لم يدوّن اختياراته تلك في كتاب ، وإنما اختار ما اختاره دون تدوين ، فكان يمليه على المهدي مجلساً مجلساً ، حتى أكمل تلك الإختيارات ، وأنه ألقى اختياراته هذه على من كان يحضر مجلسه طلباً للشعر في مجالس أيضاً ، فمن هنا وقع هذا الاختلاف . وقد كان يكتفي بإلقاء المختار على طلابه دون شرح . أما الشرح المطبوع، فليس من شرح الضبي وتفسيره ، وإنما هو من عمل رواة آخرين ورد ذكرهم في مقدمة الكتاب ، وليس للمفضل فيه إلا الاختيارات[6] .

---

١ المزهر (٢/٤٠٥ وما بعدها) .
٢ مقاتل الطالبيين (١١٩) ، « طبعة طهران » ، المفضليات (الترجمة الانكليزية) . Vol., II, p. XIV.
٣ ذيل الامالي (١٣٠) ، (دار الكتب المصرية) .
٤ المفضليات (الترجمة الانكليزية) . Vol., II, p. XIV.
٥ ذيل الامالي (١٣٠) .
٦ راجع النص العربي للمفضليات (طبعة لايل) ، (١) .

والشرح المطبوع هو من صنع أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري وجمعه ، وقد أخذه من موارد متعددة أشار اليها في الكتاب . وقد رواه عنه ابنه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وعنه أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز . وفي جملة من اعتمد عليه أبو محمد صاحب هذا الشرح من شيوخه ، عامر بن عمران أبو عكرمة الضبي ، وقد أملى عليه القصائد المختارة المنسوبة الى المفضل « إملاءً ، مجلساً مجلساً ، من أولها الى آخرها وذكر أنه أخذها عن أبي عبدالله محمد بن زياد الأعرابي ، وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبي »[1] : كما كان في جملتهم أبو عمرو بندار الكرخي ، وأبو بكر العبدي ، وأبو عبدالله محمد بن رستم ، والطوسي ، وأبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح . من هؤلاء ومن أمثالهم جمع الأنباري هذا الشرح ، وفيهم من هو من الكوفة وفيهم من هو من أهل البصرة وهم من أتباع الأصمعي ، ولهذا نجد رواياته تتداخل فيه من أبيات شعر أو قصائد لم يخترها المفضل ، ومن شرح أو تفسير لكلم غريب .

فالمفضليات وإن نسبت الى المفضل ، غير انها في الواقع من جمع الأنباري المذكور ، وقد جمعها من أفواه جملة رجال ، كل واحد منهم له فيها عمل ويد . وفق الأنباري بين تلك القصائد والأشعار وبين هذه الروايات والمعارف الواردة عن الشعر ، وأخرج منها هذا الكتاب الثمين الكبير[2] .

وللمفضل أقوال حفظت في كتب أخرى غير هذا الكتاب ، فنجد أبا زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي صاحب كتاب جمهرة أشعار العرب يذكره في مواضع من كتابه ، ويذكر نتفاً من روايات مستندة اليه[3] ، كما نجد الأصبهاني يورد له أخباراً في الشعر في مواضع عديدة من كتابه الأغاني ، ونجد غيرهما من رجال الأدب يشيرون اليه . وفي الموارد التي أشاروا اليها ما يدل على علم واسع له في الشعر وعلى إدراك في النقد .

واذا كان ما ذكره (ابن النديم) عن المفضليات من قوله : « هي مائة

---

١ المفضليات (١) (طبعة لايل) ، (النص العربي) .

٢ جواد علي ، تدوين الشعر الجاهلي ، مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد السابع) (الجزء الثاني ص ٥٢٠ وما بعدها) ، (١٩٥٦) .

٣ جمهرة أشعار العرب (القاهرة ١٩٢٦ م) .

وثمانٍ وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص وتتقدم وتتأخر ، بحسب الرواية ، والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي ، قال : وأول النسخة لتأبط شراً :

يا عيد مالك من شوق وإبراق ومر طيف على الأهوال طراق[1]

تكون هذه النسخـــة أصح الروايات اذن ، وكان (ابن الأعرابي) المتوفى سنة (٢٣١ هـ) قد سمع المفضل ، وكان يذكر انه ربيب المفضل ، كانت أمه تحته[2] ، فلا يستبعد أن تكون نسخته ، هي النسخة الصحيحة ، لاتصاله به .

وقد ذكر (أبو جعفر محمد بن الليث الأصفهاني قال : أملى علينا أبو عكرمة الضبي المفضليات من أولها الى آخرها ، وذكر ان المفضل أخرج منها ثمانين قصيدة للمهدي ، وقرئت بعد على الأصمعي فصارت مائة وعشرين . قال ابو الحسن[3] : أخبرنا أبو العباس ثعلب ان أبا العالية الأنطاكي والسدري ، وعافية بن شبيب ، وهؤلاء كلهم بصريون من أصحاب الأصمعي ، أخبروه انهم قرأوا عليه المفضليات ثم استقرأوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعـــره ، وضموه الى المفضليات وسألوه عما فيه مما أشكل عليهم من معاني الشعر وغريبه فكثرت جداً »[4]. وروي عن (أبـي عكرمة) قوله : « مرّ أبو جعفر المنصور بالمهدي ، وهـــو ينشد المفضل قصيدة المسيب التي أولها أرحلت ... فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ، ثم صار الى مجلس له وأمر بإحضارهما ، فحـدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه اياها ، وقال له : لو عمدت الى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال ، لكـــان ذلك صواباً ! ففعل المفضل »[5] .

ويلاحظ ان الرواة مختلفون فيما بينهم في عدد قصائد وقطع المفضليات ، فمنهم من جعلها مائة وثمانٍ وعشرين قصيدة وقطعة ، كما هي رواية (ابن النديم) ،

---

١ الفهرست (١٠٨) .
٢ الفهرست (١٠٨ وما بعدها) .
٣ الاخفش .
٤ ذيل الامالي (١٣٠) .
٥ ذيل الامالي (١٣٠ وما بعدها) .

ومنهم من صيرها مائة وعشرين[1] .

وأما (جنّاد) (أبو محمد بن واصل) الكوفي مولى بني أسد ، فقد كان على حدّ وصف (ابن النديم) : « أعلم الناس بأشعار العرب وأيامها » ، غير أنه « لم يكن له علم بالنحو » ، و « كان يلحن كثيراً »[2] . وهو يعدّ من الكوفيين ، وقد ذكروا أنه كثير الحفظ في قياس حمّاد الراوية ، وأن أهل الكوفة كانوا يلجأون اليه حين يشكون في شعر وحين يعزب عنهم اسم شاعر فيجدونه حافظاً وبما أرادوه عارفاً . غير أنهم مجمعون على أنه كان لحاناً ، « كثير اللحن جداً ، فوق لحن حمّاد » . وقد ذكروا أمثلة على لحنه ، وعلى عدم وقوفه على العروض ، فكان يخطىء فيه ويخلط في الأشعار[3] . وممن كان ينتقض علمه ويرى قلة بضاعته في العربية وفي الشعر أيضاً ، (يونس بن حبيب) (١٨٣ هـ) ، وهو كما رأينا من المتحاملين أيضاً على (حمّاد) ومن المتعصبين للبصرة على الكوفة ؛ ولهذا يكون لتحامله على (جناد) أثر من التعصب للبصريين .

وقد أخذ (الثوري) على أهل الكوفة روايتهم عن (حماد) ، و (جنّاد) واتكالهم عليهما ، وهما رجلان « كانا يرويان ولا يدريان ، كثرت رواياتهما ، وقلّ علمهما » ، ومن ثم فسدت روايتهم عن الرجلين . غير أن علينا أن نكون حذرين في تقبل هذه المؤاخذة على الكوفيين في رواية الشعر ، فقد كان (الثوري) من جماعة (الأصمعي) حتى كان ينسب اليه . وكان الأصمعي يحمل على حمّاد ، وعلى أهل الكوفة ، لأنه كان بصرياً ، فلا يستبعد تحمل التلميذ لاستاذه ، وتأثره به ، فقال ما قال جناد وحماد بداعي العاطفة والتعصب للبصريين على الكوفيين .

وقد أشرت الى ورود رواية تنسب الى (ثعلب) ذكرت أن (الوليد بن يزيد ابن عبد الملك) « جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها ولغاتها ... ورد الديوان الى حماد وجناد »[4] ، مما يدل وجود ديوان للشعر عند (جناد) ، لعله كان من جمعه .

---

١ الفهرست (١٠٨) ، ذيل الامالي (١٣٠) .

٢ « من رواة الاخبار والأشعار ، لا علم له بالعربية ، وكان يصحف ويكسر الشعر ، ولا يميز بين الاعاريض المختلفة ، فيخلط بعضها ببعض » ، ياقوت ، ارشاد (٢/٤٢٥) .

٣ الارشاد (٢/٤٢٥) ، الفهرست (١٤١) .

٤ الفهرست (١٤٠) ، (أخبار عوانة) .

و (يونس بن حبيب) ، ويكنى (أبا عبد الرحمن) ، المتوفى سنة(١٨٢هـ) (١٨٣ هـ) من رواة الشعر كذلك ، وان غلب النحو عليه[١] . ذكر انه كان مولى لبني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وذكر انه من موالي ضبة . وقيل عنه : « كان أعلم الناس بتصاريف النحو ». وهو من أصحاب (أبي عمرو ابن العلاء) ، وكانت حلقته بالبصرة ، يتنابها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ووفود البادية[٢] . وكان له مذاهب وأقيسة تفرد بها[٣] .

وذكر ان (أبا عمرو) ، وهو (اسحاق بن مراد) ، المعروف بـ (الشيباني) مولى (بني شيبان) ، كان عالماً بشعر القبائل . « أخذ عنه دواوين أشعار القبائل كلها » . ولما جمع أشعار العرب كانت نيفاً وثمانين قبيلة . وقد توفي سنة (٢٠٦ هـ) ، وقيل سنة (٢١٣ هـ)[٤] . وكان قد خرج الى البادية ليأخذ عن الأعراب ، فكان يدون ما يأخذ منهم[٥] .

و (أبو عبيدة : معمر بن المثنى) التيمي ، هو من رواة الشعر وعلمائه ، كما كان من علماء اللغة وأخبار العرب وأنسابها ، وقد عرف بالطعن في أنساب الناس وبالبحث عن المثالب ، لذلك كرهه الناس ، فلما مات لم يحضر جنازته أحد، لأنه لم يكن يسلم منه شريف ولا غيره . وقد توفي سنة ثمان وقيل تسع ، وقيل عشر وقيل إحدى عشرة ومائتين وقيل ثلاث عشرة ومائتين « وكان ديوان العرب في بيته »[٦] . وله كتب في الأخبار والحوادث والبيوت والنسب والشعر. وفي جملة مؤلفاته شرح ديوان المتلمس[٧] . ونجد له أخباراً عن أيام العرب ، مشتتة في بعض كتب الأدب[٨] ، وآراء في الشعر مدونة في تلك الكتب أيضاً .

---

١ المعارف (٥٤١) ، بغية الوعاة (٢/٣٦٥) ، مراتب النحويين (٢١ وما بعدها) ، المزهر (٢/٣٩٩ ، ٤٢٣) ، ابن خلكان (٢/٤١٦ وما بعدها) .

٢ الفهرست (٦٩) .

٣ ابن الانباري ، نزهة (٤٩ وما بعدها) .

٤ الفهرست (١٠٧ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٨٢) .

٥ ابن الانباري ، نزهة (٩٣ وما بعدها) ، انباه الرواة (١/٢٢١ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١/٤٣٩ وما بعدها) ، المزهر (٢/٤١١ وما بعدها) ، شذرات الذهب (٢/٢٣ وما بعدها) .

٦ الفهرست (٨٥) ، المزهر (٢/٤٠٢ وما بعدها) ، المعارف (٥٤٣) ، انباه الرواة (٣/٢٧٦ وما بعدها) ، بغية الوعاة (٢/٢٩٤ وما بعدها) .

٧ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٩٤) .

٨ بروكلمن (١/١٢٨) ، ابن الانباري ، نزهة (١٠٤ وما بعدها) .

و (الأصمعي) (عبد الملك بن قريب بن عبد الملك)،المتوفى سنة (٢١٣هـ) (٢١٦ هـ) ، (٢١٧ هـ) ، من العلماء الحفاظ للشعر ، وقد بالغ مترجموه في الثناء عليه ، فزعموا أنه كان يروي على روي كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة ، وذكر (ابن النديم) أنه عمل « قطعة كبيرة من أشعار العرب، ليست بالمرضية عند العلماء لقلة غربتها واختصار روايتها »[1] . ولا تشتمل (الأصمعيات) إلا على (٧٢) قصيدة وقطعة ، ومجموع أبياتها (١١٦٣) بيتاً ، لكثرة ما فيها من المقطوعات . وعدد شعرائها واحد وستون شاعراً ، لم يسم ثلاثة منهم . وبقي خمسة مجهولين لا تعرف أسماؤهم في الموارد الأخرى . وأكثر الباقين من الجاهليين، وليس فيها إلا أربعة عشر شاعراً من المخضرمين والإسلاميين . وفيها قصيدة لكل من امرىء القيس وطرفة[2] . وقد نسب (ابن النديم) له كتاباً دعاه : «مصادر كتاب القصائد الست »[3] . وربما كان هو الكتاب الذي نشره (آلورد) برواية الأعلم الشمنتري بعنوان : دواوين الشعراء الستة[4] .

وذكر أن (الأصمعي) جمع أشعار (بني جعدة) ، وأشعار الأنصار[5] وأنه جمع (ديوان المتلمس)[6]،وديوان امرىء القيس ، وأنه روى شرح هذا الديوان لأبي عمرو الشيباني[7] . وجمع ديوان الفرزدق وجرير[8] .

وروي ان الأصمعي كان « أتقن القوم باللغة ، وأعلمهم بالشعر ، وأحضرهم

---

١ الفهرست (٨٨ وما بعدها) ، ابن الانباري ، نزهة (١١٢ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١١٢/٢ وما بعدها) ، المزهر (٤٠٤/٢ وما بعدها) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٧٤/١ وما بعدها) ، المعارف (٥٤٣) ، « وقد بلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين ، وهي موزعة على ٧١ شاعرا ، منهم نحو ٤٠ جاهليا » ، العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف (١٧٨) .

٣ الفهرست (٨٨) .

٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٨/١) ،
W Ahlward, The Diwan of the six ancient Arabic Poets, London, 1870.

٥ الاغاني (١٧١/٥) ، (٨٢/١٩ وما بعدها) ، بروكلمن (٨٤/١) .

٦ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٤/١) .

٧ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٠/١) .

٨ المصدر نفسه (٢١٢/١ ، ٢١٣ ، ٢٢٢) .

حفظاً ، وكان قد تعلم نقد الشعر من خلف الأحمر »[1] . وروي انه كان يقول أحفظ عشرة آلاف أرجوزة . وان الرشيد يسميه شيطان الشعر ، وروي انه كان يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة[2] .

و (ابن الأعرابي) ، (أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي) ، ممن سمع من (المفضل) الضبي ، وكان يذكر انه ربيب المفضل . كانت أمه تحته . ومات سنة (٢٣١ هـ) . فروايته للاختيارات ، يجب أن تعدّ من أصدق الروايات ، لاتصاله بالمفضل ، ولصلته به . وكان له مجلس ، يحضره طلاب العلم ، يسألونه فيه ويقرأ عليه ، فيجيب من غير كتاب . وكان ممن لازمه بضع عشرة سنة (أبو العباس) ثعلب . ويذكر (ثعلب) ان شيخه هذا « قد أملى على الناس ما يحمل على أجمال . لم ير أحد في الشعر أغزر منه »[3] . وقد أورد (ابن النديم) له جملة كتب ، روى بعضها عنه جماعة من مشاهير العلماء ، مثل (الطوسي) و (ثعلب)[4] . وذكر ان روايته للمفضليات تعدّ من أصح الروايات[5] . وقد سمع من المفضل الدواوين وصححها ، واعتبر رأساً في كلام العرب ، وكان من أكابر علماء اللغة المشار اليهم في معرفتها[6] .

وقد رمي بعض من جمع الشعر بالوضع وبانتحال الشعر وإدخاله في شعر القدماء، واتهموا بدس القصائد عليهم ، أو بزيادتها أو بتنقيص أبيات منها ، أو بإجراء تغيير عليها . وقد تمكن بعض علماء الشعر من الإشارة الى بعض الشعر المصنوع، أو المدخول ، ولم يتمكنوا من الإشارة الى البعض الآخر منه . ومن هؤلاء الذين عرفوا واشتهروا برواية الشعر وبعلمهم به ، وبصنعهم له ، ودسه بين الناس على أنه شعر قديم : حماد الراوية وخلف الأحمر .

فأما (حماد) الراوية فعلى رأس مشاهير رواة الشعر الجاهلي وحفاظه . وقد كان هو نفسه شاعراً مجيداً يضع الشعر على ألسنة المتقدمين ، لكنه اشتهر بالرواية

---

١ المزهر (٢/٤٠٣) .
٢ الرافعي (٣/١٥) .
٣ الفهرست (١٠٨ وما بعدها) .
٤ الفهرست (١٠٩) .
٥ ابن الانباري ، نزهة (٥٦) .
٦ ابن الانباري ، نزهة (١٥٠ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١/١٠٥ ومـا بعدها) ، المعارف (٥٤٦) ، المزهر (٢/٤١١) ، مراتب النحويين (١٤٩ وما بعدها) ، ابن الاثير ، الكامل (٥/٢٧٥) .

أكثر من اشتهاره بكونه شاعراً . ولد سنة (٧٥) للهجرة (٦٩٤ م) بالكوفة، وهو من (الديلم) في الأصل ، وعرف بـ (أبي القاسم) . وعرف والده بـ (سابور ابن المبارك بن عبيد) . سباه (ابن عروة بن زيد الخيل) ، ووهبه لابنتـــه (ليلى) فخدمها خمسين سنة ، ثم ماتت فبيع بمائتي درهم ، فاشتراه (عامر بن مطر الشيباني) وأعتقه . وقيل إن اسم أبـي (ليلى) (ميسرة) . وكان حمّـاد ربما لحن في الشيء . وقيل إنه كان لصاً في شبابـه ، يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ، فوجد في بعض سرقاته جزءاً من شعر الأنصار ، فقرأه واستعذبـــه وحفظه ، ثم اندفع في طلب الشعر وأيام النـــاس ولغات العرب[1] . وأخذ ينظم الشعر يشبه به مذهب شاعر مـــن الشعراء ويدخله في شعره ، وكان هو بالشعر القديم بصيراً ، وحمل ذلك عنه في الآفاق ، فاختلط شعره بشعر الشعراء الجاهليين، وذاع بين الناس على أنه لهم ، حتى صار من الصعب حتى على نقاد ذلك الشعر والعالمين به ، تمييز الفاسد منه من الصحيح[2] .

وذكر ان (حماداً) ، هو (حماد بن هرمز) ، وكان (هرمز) من سبي (مكنف بن زيد الخيل) وكان ديلمياً ، يكنى (أبا ليلى)[3] . واذا أخذنا برواية (ابن النديم) من ان مولد (حماد) كان سنة (خمس وسبعين) ، ومن أن وفاته كانت سنة ست وخمسين ومائة[4] ، فيكون حينئذ قد عمر (٨١) سنة .

ويذكر (ابن النديم) ان (حماداً) كان في أيام (الوليد بن عبد الملك) ، وعاش الى سنة (١٥٦ هـ) ، وانه كان يقول : « كنت أنشد الوليد الشعـــر الجيد ، فيطلب مني السفساف فأنشده فيطرب ، فأعلم ان الأمر مدبر ، ثم أنشد المهدي السفساف ، فيطلب مني الجيد الفحل ، فأعلم ان أمرهم مقبل »[5] . وذكر عنه انه كان يجالس (المهدي) . وذكر ان « الوليد بن يزيد بن عبـــد الملك

---

١ الاغاني (٦/ ٨٧) ، الخزانة (٤/ ١٣١ وما بعدها) ، (بولاق) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/ ٢٤٥ وما بعدها) ، الفهرست ، لابن النديم (١٤٠) ، الاغاني (٥/ ١٦٣) ، ابن خلكان (١/ ٢٠٥) ، (في ترجمة حماد) ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، تدوين الشعر الجاهلي ، المجلد الرابع (ح ٢/ ٥٢٧ وما بعدها) ، (١٩٥٦ م) .
٣ المعارف (٥٤١) ، ابن الانباري ، نزهة (٣٥ وما بعدها) ، الاغاني (٦/ ٧٠ وما بعدها) ، خزانة الادب (٤/ ١٢٩ وما بعدها) ، المزهر (٢/ ٤٠٦) .
٤ الفهرست (ص ١٤٠) .
٥ الفهرست (ص ١٤٠ وما بعدها) .

جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ورد الديوان الى حماد وجناد »[1]. ولم يشر (ابن النديم) الذي روى هذا الخبر نقلاً عن رواية تنسب الى (ثعلب) الى ديوان حماد المذكور في أثناء تحدثه عنه . فلعله قصد (الاختيارات) ، أي القصائد السبع، وقد يكون قصد ديواناً آخر . ولم نسمع أي خبر عن مصير الديوان الذي جمعه الوليد بن يزيد .

ويذكر (ابن النديم) أنه « لم يُرَ لحماد كتاب ، وإنما روى عنه الناس وصنفت الكتب بعده »[2] . وهو خبر يظهر أن حمّاداً لم يؤلف كتباً ، وإنما كان يروي الشعر رواية ، ويمليه املاء على طلاب الشعر ، فيدوّنونه . أما أن تصنيف الكتب لم يكن معروفاً آنذاك ، وانما الناس صنفت الكتب بعده ، فيناقضه ما قاله (ابن النديم) نفسه ، من أن (زياد بن أبيه) ، ألف كتاباً في المثالب ، ودفعه الى ولده ، وقال ، استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم[3] ، ومن أن (عبيد ابن شرية) الجرهمي ، ألف كتاب الأمثال ، وكتاب الملوك وأخبار الماضين[4] ، وقد طبع له كتاباً في (حيدر آباد) بالهند ، بعنوان : أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، وهو يشتمل على أسئلة لمعاوية وأجوبة عبيد عليها ، وما قاله من أن (صحاراً) العبدي له كتاب اسمه كتاب الأمثال[5]، وما قاله من أن لعوانة بن الحكم بن عياض الكلبي ، المتوفى سنة (١٤٧ هـ) ، أي قبل (حمّاد) من الكتب : كتاب التأريخ ، كتاب سيرة معاوية وبني أمية[6] ، أضف الى ذلك ما ألفه (وهب بن منبه) المتوفى سنة (١١٤ هـ)[7]،و(أبو مخنف)، و (ابن شهاب) الزهري ، و (ابن سيرين) وغيرهم[8] .

وقد روى أهل الأخبار قصصاً عن مدى علم (حماد) بالشعر الجاهلي. وزعموا

---

١ الفهرست (ص ١٤٠) .
٢ الفهرست (ص ١٤٠) .
٣ الفهرست (١٣٧) ، (المقالة الثالثة) ، المعارف (١٧٦) ، النووي ، تهذيب الاسماء واللغات (١/٢٥٩) .
٤ الفهرست (ص ١٣٨) .
٥ الفهرست (ص ١٣٨) .
٦ الفهرست (١٤٠) .
٧ بروكلمن (١/٢٥١ وما بعدها) .
٨ راجع أخبارهم في بروكلمن (١/٢٥٣ وما بعدها) .

ان خلفاء بني أمية كانوا اذا أشكل عليهم مشكل في الشعر سألوه ، وانهم كانوا يكتبون الى عمالهم بإرساله اليهم لاستفتائه في أمر شعر جاهلي أشكل خبره عليهم وعلى من عندهم من أهل العلم بالشعر . من ذلك ما رووه عن (حماد) قوله : « كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك بن مروان في خلافته . وكان أخوه هشام يجفوني لذلك ، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من اخواني سراً ، فلما لم أسمع أحداً ذكرني في السنة أمنت وخرجت وصليت الجمعة في الرصافة ، فإذا شرطيان قد وقفا عليّ وقالا : يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر الثقفي ، وكان والياً على العراق : فقلت في نفسي من هذا كنت أخاف. ثم قلت لهما تدعاني حتى آتي أهلي وأودعهم ثم أسير معكما ! فقالا : ما الى ذلك من سبيل . فاستسلمت في أيديهما ، ثم صرت الى يوسف بن عمر ، وهو في الإيوان الأحمر ، فسلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام ورمى إلي بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر . أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه ثنتي عشرة ليلة الى دمشق . فأخذت الدنانير ونظرت ، فإذا جمل مرحول فركبت وسرت حتى وافيت دمشق في ثنتي عشرة ليلة ، فنزلت على باب هشام،واستأذنت فأذن لي فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب من حرير أحمر وقد ضمخ بالمسك ، فسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله ، فإذا جاريتان لم أر أحسن منهما قط . فقال : كيف أنت وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين . فقال : أتدري فيما بعثت اليك ؟ فقلت : لا . قال : بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله . قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :

ودّعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقلت يقوله عدي بن يزيد (؟) العبادي في قصيدة . قال : أنشدنيها ، فأنشدته:

بكر العاذلون في وضح الصبـ ـح يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبدالله والقلب عنكم موثوق
لست أدري إذا كثر العذل فيها أعذول يلومني أم صديق

قال حمّاد : فانتهيت فيها الى قوله :

ودّعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينهـا ابريق
قدمته عـلى عقار كعين الـ ـديك صفى سلافها الرووق
مرة قبل مزجها ، فإذا مـا مزجت لذّ طعمها من يذوق

قال : فطرب هشام ، ثم قال : أحسنت يا حمّاد ، سلك حاجتك ؟ قلت : احدى الجاريتين . قال : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما ، فأقام عنده مدة ، ثم وصله بمائة ألف درهم »[1].

وكل من تحدث عن حمّاد من مبغض ومحبّ ، مجمع على سعة حفظه للشعر وإحاطته به . وحفظه هذا الشعر هو الذي وسمه بسمة عرف بها طَوال حياته وبعد وفاته ، حتى صار لا يعرف إلا بها ، هي : (الراوية) ، فقيل له حماد الراوية. ولو جرّد حماد من هـذا النعت ، لما صار في الإمكان التعرف عليه . قيل إن الخليفة (الوليد بن يزيد) قال لحماد الراوية : بمَ استحققت هذا اللقب ، فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم منه من المحدث . فقال ، إن هذا العلم وأبيك كثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قـال : سأمتحنك في هـذا ، وأمره بالانشاد . فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليـه ، فأنشده ألفين وتسع مئة قصيـدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمئة ألف درهم[2] .

وفي الأغاني خـبر آخر من هذا النوع يطري علم حماد ويثني عليه ، روي

---

١ ثمرات الاوراق ، لابن حجة الحموي (٨١/١) ، (حاشية على المستطرف) ، ابن الانباري ، نزهة (٣٥ وما بعدها) ، الاغاني (٧٠/٦ وما بعدها) .

٢ الاغاني (٧١/٦) ، ابن خلكان (١٢٠/٥ وما بعدها) ، الخزانة (١٢٩/٤ وما بعدها) ، (بولاق) ، ياقوت ، ارشاد (٢٥٩/١٠) .

عن الشاعر (مروان بن أبي حفصة) . زعم أنه رآه عند (الوليد بن يزيد). وكان قد دخل عليه في جماعة من الشعراء ، « وهو في فرش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلما أنشد شاعر شعراً ، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت من شعره ، وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية . فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده ، قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين، وهو لُحنة لحّانة ؟ فأقبل الشيخ علي وقال : يا ابن أخي ، إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل ، فقلت له : نعم ، شعر ابن مقبل، قال : أنشد ، فأنشدته قوله :

سل الدار من جَنبي حِبرَ فواهبٍ إذا ما رأى هَضْبَ القليب المُفجع

ثم جزتُ ، فقال لي : قف ، فوقفت ، فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدرِ ما يقول ! فقال لي حماد : يا ابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب . يقال تراءى الموضعان إذا تقابلا »[1] .

وقد كان الخليفة (الوليد بن يزيد) يعطف على حماد كثيراً ، ويشمله برعايته، ويجالسه ، ويتباحث معه في الشعر . وقد كانت إحاطة حماد بالشعر هي السبب في تقديمه الى الخليفة ، إذ كان الوليد من العاشقين للشعر ومن الواقفين عليه المعروفين بسعة العلم به ، وكان هو نفسه شاعراً مجيداً[2] . وقد ذكر عنه انه كان يمتلك ديواناً فيه أشعار الفحول ، أو جملة دواوين جمعت أشعار العرب ، كما سبق أن أشرت الى ذلك .

ويروى عن حماد انه كان ذا ذاكرة عجيبة ، وحافظة قوية غريبة في سرعة الحفظ . روي ان (الطرمّاح بن حكيم) قصّ على ابنه هذه القصة ، قال :

---

١ الاغاني (٦/٧٢) ، الزجاجي ، مجالس العلماء (٧٢ وما بعدها) .

٢ جمع شعر الوليد بن يزيد ورتبه المستشرق الايطالي ف . جبريالي ، ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٧ م ، بعنوان : ديوان الوليد بن يزيد ، وقدم له المرحوم خليل مردم بك .

أنشدت حماداً الراوية في مسجد الكوفة ــ وكان أذكى الناس وأحفظهم ــ قولي:

بان الخليط بسحرة فتبددوا

وهي ستون بيتــاً : فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ، ثم أقبل عليّ فقال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كما تقول ، ثم ردهـا عليّ كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته ، فقلت له : ويحك ! إن هــذا الشعر قلته منذ أيام ، ما اطلع عليه أحد ، قال : قــد والله قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعليّ وعليّ ، فقلت : لله عليّ حجة حافياً راجلاً إن جالستك بعد هذا أبداً . فأخذ قبضة من حصى المسجد وقال : لله عـليّ بكل حصاة من هذا الحصى مئة حجة إن كنت أبالي ، فقلت ، أنت رجل ماجن، والكلام معك ضائع . ثم انصرفت »[1] .

وقد أخـذ عن (حماد) أهل المصرين : الكوفة والبصرة ، ومنهم : خلف الأحمر ، وروى عنه الأصمعي شيئاً من شعـره . ونسب الى (الأصمعي) قوله : « كل شيء في أيدينا من شعر امرىء القيس ، فهو عن حماد الراوية إلا شيئــاً سمعناه من أبي عمرو بن العلاء »[2] .

وللهيثم بن عدي خبر يشيد فيه بعلم حماد وبسعة حفظه له . وهناك أخبار أخرى في سعة حفظ حماد للشعر ، مدونة في كتب الأدب ، قد يخرجنا سردها من صلب هذا الموضوع[3] .

وقد عرف حماد كذلك بسعة علمه بالعربية ، فقالوا انه « كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها » . وورد عن الهيثم بن عدي قوله فيه : « ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد »[4] ، والهيثم راويته وصاحبه. وروي ان عمرو بن العلاء كان يقدم حماداً على نفسه ، وكان حماد يقدم عمراً على نفسه[5] ، وعمرو بن العلاء نفسه من شيوخ علماء العربية في ذلك العهد .

---

١ الاغاني (٦/٩٤ وما بعدها) .
٢ المزهر (٢/٤٠٦) ، ابن الانباري ، نزهة (٥٩) .
٣ الاغاني (٢/٢٠٩ وما بعدها) ، (٦/٧٢) ، (٧/٤٥ ، ٥٦ وما بعدها) .
٤ الاغاني (٦/٧٠ وما بعدها) ، ياقوت ، ارشاد (١٠/٢٦٥) .
٥ الاغاني (٦/٧٣) .

غير أن هنالك أخباراً تزعم أنه كان « قليل البضاعة من العربية » ، وأنه كان لحّاناً ، وأنه « حفظ القرآن الكريم من المصحف ، فصحف في نيف وثلاثين حرفاً »[1] ، وأنه قرأ « الغاديات ضبحاً » (بالغين المعجمة) ، فسعى به الى (عقبة بن مسلم بن قتيبة) الباهلي ، فامتحنه بالقراءة في المصحف، فصحف في عدة آيات[2] . ولا استبعد وقوع اللحن منه ، إذ كان من الموالي ، بعد أن وقع اللحن من عرب خلص ومن أنيل الأسر العربية ومن بعض كبار رجال الدولة في ذلك العهد . غير أن في هذا الوارد عن قلة بضاعته في العربية وفي كثرة لحنه وتصحيفه في القرآن الكريم، مبالغات وزيادات ، وضعها عليه حساده ومنافسوه ولا شك ؛ إذ لا يعقل وقوع مثل هذه الأغلاط الشنيعة من رجل وصل الى الخلفاء برواية الشعر وبتفسيره وتفسير غريبه، وعرف بين العلماء بسعة علمه بلغات العرب ، حتى كانوا يلجأون اليه في حل مشكلها وغريبها . ولو كان على مثل ما ذكر من اللحن في الكلام والتصحيف فيه ومن قلة بضاعته في العربية ، لما وصل الى الوليد بن يزيد والى هشام والى خلفاء آخرين ، وقد كانوا لا يختارون في الشعر واللغة إلا الفطاحل القديرين . قال المدائني : « وكانت ملوك بني أمية تقدمه ، وتؤثره ، وتستزيده ، فيفد عليهم ، ويسأله عن أيام العرب وعلومها ، ويجزلون صلته » .

ولم يكن (حماد) عند أهل البصرة ثقة ولا مأموناً ، وكانوا يضعفونه . ذكروا انه كان يصنع الشعر ويقتني المصنوع منه وينسبه الى غير أهله . ورووا ان أعرابياً جاء مجلس (حماد) فأنشده قصيدة لم تعرف ، ولم يدر لمن هي ، فقال حماد : اكتبوها ، فلما كتبوها ، وقام الأعرابي ، قال : لمن ترون أن نجعلها ؟ فقالوا أقوالاً ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة[3] . وروي انه قدم البصرة على (بلال بن أبي بردة) ، فقال ما أطرفتني شيئاً ، فعاد اليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى . فقال : ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به وأنا أروي للحطيئة ولكن دعها تذهب في الناس[4] .

---

١ ابن خلكان (١/٢٠٧) .
٢ ابن خلكان (٥/١٢٩) ، (حاشية رقم ١) ، (طبعة الدكتور أحمد فريد رفاعي) ، الموشح للمرزباني (١٩٥) ، (القاهرة ١٣٤٣) .
٣ المزهر (٢/٤٠٦) .
٤ طبقات ، لابن سلام (١٥) .

وقد اتهم (حماد) بالوضع ، قال (محمد بن سلام الجمحي) : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ، حماد الراوية ، وكان غير موثوق به . وكان ينحل الشعر غيره ، ويزيد في الأشعار »[1] ، وقال : (يونس بن حبيب) : « إني لأعجب كيف أخذ الناس عن حماد ، وكان يكذب ويلحن ويكسر الشعر ، ويصحف ويكذب »[2] . وروي عن الأصمعي قوله : « جالست حماداً الراوية ، فلم آخذ عنه ثلاثمائه حرف ، ولم أرض روايته وكان قارئاً »[3] . وروي عنه أيضاً قوله : « كان حماد أعلم الناس إذا نصح » ، يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار ، فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب . وهؤلاء كلهم من رؤساء البصرة في العلم ، وقد كان علماء هذه المدينة، يطعنون كما سبق أن قلت في علمه وفي أمانته ، ولكنهم يعترفون مع ذلك بقابليته وبمواهبه في الشعر ، حتى زعموا أنه كان إذا صنع الشعر على لسان شاعر جاهلي ، صعب حتى على العلماء ، استخراجه من الصحيح .

وقد أدخله الشريف (المرتضى) في عداد الزنادقة الملحدين المتهمين في دينهم ، ومنهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وحماد الراوية ، وحماد بن الزبرقان ، وحماد عجرد ، وعبدالله بن المقفع ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، وبشار بن برد ، ومطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وصالح بن عبد القدوس الأزدي ، وعلي بن خليل الشيباني ، وقال عن (حماد) : « وأما حماد الراوية ، فكان منسلخاً من الدين ، زارياً على أهله ، مدمناً لشرب الخمور وارتكاب الفجور »[4] . ونقل عن (الجاحظ) انه كان يجتمع مع أمثاله « على الشرب وقول الشعر ، ويهجو بعضهم بعضاً ، وكل منهم متهم في دينه » . وقال عنه : « وكان حماد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر، واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسّه في أشعارهم ، حتى إن كثيراً من الرواة قالوا : قد أفسد حماد الشعر، لأنه كان رجلاً يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم »[5] .

---

١ طبقات الشعراء (١٤) .
٢ طبقات ابن سلام (١٥) ، المزهر (٢/٤٠٦) .
٣ المعارف (٥٤١) ، المزهر (٢/٤٠٧) .
٤ أمالي المرتضى (١/١٢٨ ، ١٣١ وما بعدها) .
٥ أمالي المرتضى (١/١٣١ وما بعدها) .

و « روي أن هارون الرشيد قال للمفضل بن محمد : كيف بدأ زهير بقوله:

دع ذا وعد القول في هرم

ولم يتقدم قبل ذلك شيء ينصرف عنه . فقال المفضل : قد جرت عادة الشعراء بأن يقدموا قبل المديح نسيباً ، ووصف إبل وركوب فلوات ، ونحو ذلك . فكأن زهيراً همّ بذلك ، ثم قال لنفسه : دع هذا الذي هممت به مما جرت به العادة، واصرف قولك الى مدح هرم . فهو أولى من صرف اليه القول ونظم ، وأحق من بدىء بذكره الكلام وختم . فاستحسن الرشيد قوله . وكان حماد الراوية حاضراً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس هذا أول الشعر ، ولكن قبله :

لمن الديار بقنة الحجرِ

وذكر الأبيات الثلاثة . فالتفت الرشيد الى المفضل وقال : ألم تقل إن (دع ذا ...) أول الشعر ، فقال : ما سمعت بهذه الزيادة إلا يومي ، ويوشك أن تكون مصنوعة . فقال الرشيد لحماد : أصدقني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا زدت هذه الأبيات . فقال الرشيد : من أراد الثقة والرواية الصحيحة فعليه بالمفضل ، ومن أراد الاستكثار والتوسع فعليه بحماد »[1] .

والقصة بهذا الشكل مصنوعة ، فالمعروف ان وفاة (حماد) كانت سنة (١٥٦هـ) وان ولاية (الرشيد) للخلافة كانت سنة (١٧٠ هـ) . فلا يعقل التقاء (حماد) بالرشيد أيام خلافته . ومخاطبته له بـ (يا أمير المؤمنين) . ثم إن من الصعب تصور اعتراف (حماد) بإضافة أشعار من عنده على شعر الجاهليين بمثل هذه الصورة والبساطة ، وهو في حضرة خليفة . والأغلب انها وضعت على حماد من خصومه ، للطعن به ، وللرفع من شأن (المفضل بن محمد) الضبي .

وقد وردت هذه القصة بشكل آخر ، وردت انها وقعت في أيام (المهدي) ، روي ان جماعة من العلماء « كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيساباذ ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية ، فدخل ، فمكث ملياً ،

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٧٥٤) .

ثم خرج الينا ، ومعه حماد والمفضل جميعاً ، وقد بان في وجه حمـاد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معهما ، فقال: يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يعلمكم انه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل . فسألنا عن السبب ، فأخبرنا ان المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده: اني رأيت زهير بن أبـي سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دع ذا وعدّ القول في هرم

ولم يتقـدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمـير المؤمنين في هذا شيئاً ، إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله ، أو يروى في أن يقول شعراً ، فعدل عنه الى مدح هرم وقال: (دع ذا)، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال : « دع ذا » ، أي دع مـا أنت فيه من الفكر وعدّ القول في هرم ، فأمسك عنه . ثم دعا بحماد ، فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل ، فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر ؟
قفر بمندفع النحائث من ضفوى أولات الضال والسدر
دع ذا وعدّ القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر

قال : فأطرق المهدي ساعة، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه . ثم استحلفه بإيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثق منه . قال لـه : أصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها الى زهير ، فأقر له حينئذ أنه قائلها . فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه »[1] .

---

١ الاغاني (٦/٨٩ وما بعدها) ، الخزانة (٤/١٢٨ وما بعدها) ، (بولاق) .

فأنت ترى أن هذه القصة تكاد تكون القصة السابقة نفسها ، لولا ما أدخل عليها من ذكر اسم (المهدي) بدل الرشيد ومن تزويقات ، وهي أقرب الى الواقع من حيث الزمن من الأولى ، فقد أدرك (حماد) أيام خلافة المهدي . أما من حيث الصحة أو الكذب ، فربما كانت من وضع أعداء حماد عليه ، أو من وضع المتعصبين للمفضل الضبي المرجحين علمه على علم حماد .

وفي القصة الثانية موطن شك أيضاً ، فالمعروف أن خلافة المهدي كانت سنة (١٥٨ هـ) ، وانه اتخذ داره بعيساباذ بعد توليه الخلافة ، وقد كانت وفاة حماد سنة (١٥٦ هـ) ، أي قبل توليه امارة المؤمنين . فيظهر أنها من الموضوعات التي وضعت على حماد ، ربما وضعها أصحاب (المفضل) لتعظيم أمر صاحبهم،وللحط من شأن حماد . وقد كان (المفضل) يكره (حماداً) الراوية ، ويطعن في علمه ، بسبب تنافس الرجلين على الزعامة في العلم .

وأكثر هذه التهم التي وجهت الى علم حماد والى جهله بالعربية ، وبالعروض، إنما هي تهم وجهها اليه أهل البصرة ، عصبية لمدينتهم ولرجالهم ، وما اتهام (ابن سلام) و (يونس بن حبيب) لحماد ، بالتهم المذكورة ، سوى ترديد لهذه العصبية الضيقة ، وللخصومة على الزعامة التي كانت بين المدينتين . و(يونس ابن حبيب) الذي يحمل على حماد ، ويتهمه باللحن ، قد اتهم نفسه بتهمة اللحن، اتهمه خصومه أهل الكوفة بالطبع ، ونجد مثل هذه الاتهامات من تجهيل العلماء بعضهم بعضاً بقواعد العربية وبالوقوع في اللحن ، في صفحات الكتب الباحثة في المناظرات وفي التراجم،وفي كتب الأخبار والأدب ، حتى يكاد يكون من الصعب علينا العثور على عالم ، نقول إنه سلم من سهم من سهام النقد والتجريح .

ويظهر ان المنافسة على الزعامة في العلم بالشعر الجاهلي ، جعلت (المفضل الضبي) ينال من (حماد) ، ويظهر أثر هذه المنافسة فيما ينسب الى (الضبي) من أقوال ذكر انه قالها في (حماد) مثل قوله : « قد سُلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده ، فلا يصلح أبداً » . فقيل له : « وكيف ذلك ؟ أيخطىء في رواية أم يلحن ؟ قال : « ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم

ناقد ، وأين ذلك ؟ »[1] .

و (ابن الأعرابي) ، الذي يروي انتقاص (المفضل) الضبي لحماد ، هو على ما يذكر ربيب المفضل ، كانت أمه تحته[2] ، فلا أستبعد تأثره بحنق الضبي على حماد ، بسبب المنافسة التي كانت بينه وبين حماد .

وقد اتهم حماد بالزندقة ، كما اتهم بها حماد عجرد ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وعلي بن الخليل ، وصالح بن عبد القدوس ، وبشار ، وأبي نواس. وقد وصف (الجاحظ) الزنادقة بقوله : « ربما سمع أحدهم ممن لا معرفة عنده ولا تحصيل له ، ان الزنادقة ظرفاء ، وانهم عقلاء وأدباء ، وانهم عبّاد وأصحاب اجتهاد ، وان لهم البصائر في دينهم ، والبذل لمهجهم ، وان هناك علماً وتمييزاً ، وإنصافاً وتحصيلاً ، فيسري اليهم مسرى المهر الأرن ، ويحن اليهم حنين الواله العجول ، ويتصبب فيهم صبابة العاشق المتيم ، ويرى انه متى اتهم بهم ، فقد قضى لهم بذلك كله ، فلا يزال كذلك حتى يسهل في طباعه ، ويرجح عنده أن يزعم انه زنديق » . وذكر انه « ما منهم في الظاهر إلا نظيف البزة ، جميل الشكل ، ظاهر المروءة ، فصيح اللهجة ، ظريف التفصيل والجملة ، والله أعلم ببواطنهم وضمائرهم . قال أبو نواس ، وكان أيضاً زنديقاً يعدّ فيهم :

تيه مغن وظرف زنديق »[3]

وكان حماد صديقاً لحمادين آخرين هما حماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وكانوا « يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا يرمون بالزندقة »[4] . وقد هجا (حماد بن الزبرقان) (حماداً) الراوية ، فقال :

نعم الفتى لو كان يعرف ربّه ... ويقيم وقت صلاته حمادُ
هدلت مشافره الدنان فأنفه ... مثل القدوم يسنها الحدّاد

---

١ ياقوت ، ارشاد (٤/١٤٠) ، (تحقيق مركليوث) ، الاغاني (٦/٨٩) .
٢ الفهرست (١٠٨ وما بعدها) .
٣ ثمار القلوب (١٧٦ وما بعدها) ، ديوان ابي نواس (٨٩) .
٤ الاغاني (٦/٧٤ وما بعدها) ، الحيوان (٤/٤٤٧ وما بعدها) .

وأبيض من شرب المُدامة وجهه فبياضه يـــوم الحساب سواد[1]

غير أن علينا باعتبارنا من المؤرخين أن نحترز احترازاً شديداً في تقبل كل ما يروى من الأخبار، ولا سيما في المسائل الشخصية، وفي القضايا التي تكتنفها الخصومات في مثل هذه الحالة . فقد كان لحماد خصوم كثيرون من أهل هذا الشأن ، وقد حسدوه على تقدمه وشهرته ، كما كان هو يحسد غيره ولا شك ان تقدم عليه . والانسان مهما تقدم وترفع ، فإنه لا يستطيع أن يجرد نفسه من العاطفة ، ولا سيما عاطفة الدفاع عن النفس وإثبات الشخصية والتنافس مع الآخرين. وقد كان المفضل الضبي — كما ذكرت — في جملة خصوم حماد ، وهو من رؤوس رواة الشعر في تلك الأيام ، وهو نفسه لم يكن من الناجين من هذه التهمة التي اتهم بها حماد .

غير أن هذا لا يعني أن حماداً كان صادقاً في كل ما قاله وفي كل ما رواه، فوضعه للشعر ، وصنعه له ، وحمله على القدماء من المسائل المتواترة التي لا سبيل الى نكرانها ، إنما أريد هنا أن أنبه على ضرورة التأني والتقصي في أثناء مجابهتنا لمثل هذه الأخبار ، لنخرج ما قد بولغ أو زيد فيه ، حتى يكون حكمنا حكماً محايداً ، أو قريباً من الواقع .

وكما استدعى خلفاء بني أمية حماداً للاستفادة منه في الشعر ، كذلك استدعاه خلفاء بني العباس الأوائل ، كالمنصور والمهدي ، ليروي لهم ما كان يحفظه من الشعر والأخبار ، وليتحدث اليهم فيما أشكل عليهم من غريب الشعر. وقد استدعاه الخليفة المنصور مرة ، فأحضر من البصرة . غير أن صلاته بهم لم تكن عـــلى ما يظهر على نحو صلاته بالأمويين ، حيث حسب عليهم . واستدعى الى المهدي، كما ذكرت ذلك . ونقرأ في رواية ان (حماداً) قال لإياس بن مطيع ، وقد ذكر صلاته بالعباسيين : « دعني فإن دولتي كانت في بني أمية ، وما لي عند هؤلاء خير »[2] ، مما يخبر انه كان مجفواً عند بني العباس ، وذكر انه قال لمروان بن أبي حفصة : « ذهب ويحك ما كنت تعهد »[3] . وقد يكون لتقدم (حماد)

---

١ الحيوان (٤/٤٤٥) .

٢ الاغاني (٦/٨١) ، (٨/٢٥٣) .

٣ « ذهب ويحك ما كنت تعهد ، ذاك زمان ، وهذا زمان » ، الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٨) ، الخزانة (٤/١٣٠) ، (بولاق) .

في العمر دخل في هذا البعد ، فقد كان قد جاوز السبعين من العمر في أيام المهدي، والعمر يؤثر بالطبع في مثل هذه الاتصالات ، التي تحتاج الى همة ونشاط ، وجواب حاضر وبديهة ، وردّ على منافسين وحساد .

وعاش حماد فشهد سقوط دولة (بني أمية) ، إذ توفي سنة (١٥٦ هـ) ، وذكر انه أبطل روايته فيما دسه على غيره من الشعر[1] .

ومن شعر (حماد) قوله :

اذا سرت في عجل فسر في صحابة ... وكندة فاحذرها حذارك للخسف
وفي شيمة الأعمى زيار وغيلة ... وقشب وإعمالٌ لجندلة القذف
وكلّم شرٌ على ان رأسهم ... حميدة والميلاء حاضنة الكيسف
متى كنت في حيّيْ بجيلة فاستمع ... فإن لهم قصفاً يدل على حتف
اذا اعتزموا يوماً على خنق زائرٍ ... تداعوا عليه بالنباح وبالعزف[2]

وقوله مخاطباً الشاعر أبي عطاء السندي :

فما صفراء تكنى أمّ عوفٍ ... كأن رُجَيْلتيها منجلان

وروي أن (أبا العطاء) أحسّ بدس حماد له ، فأجابه :

أردت زرارة وأزن زنا ... بأنك ما أردت سوى لساني

أي أردت جرادة ، وأظن ظناً بأنك ما أردت إلا أن تستخرج رطانتي . وكان في لسانه لكنة شديدة ولثغة[3] .

ويعدّ (ابن كناسة) أبو يحيى محمد بن عبدالله بن عبد الأعلى الأسدي (٢٠٧ هـ) في جملة الرجال الذين اتصلوا بحماد ورووا عنه . ونجد في الأغاني جملة أخبار رويت عن حماد في الشعر والأخبار . وابن كناسة نفسه من علماء

---

١ ارشاد ، لياقوت (٤/١٣٧ وما بعدها) ، شرح المفضليات (٢/٨) ، (لايل) ، (مقدمة) ، الاغاني (٥/١٦٤ وما بعدها) ، الفهرست (١٤٠) ، بروكلمن (١/٢٤٦) .
٢ الحيوان (٢/٢٦٦) .
٣ الحيوان (٥/٥٥٨) .

أيامه بالعربية وأيام الناس والشعر ، وقد سمع هشام بن عروة ، وسلمان الأعشى ، وروى عنه أحمد بن حنبل ومحمـــد بن اسحاق الصاغاني[1]. كذلك كان أبو أيوب المديني في جملة من رأى حماداً وروى عنه[2] .

ومن أصحاب حماد : سالم بن أبـي السمحاء[3] ، والشاعر عمـار بن عمرو بن عبد الأكبر المعروف بـ (ذي كناز) ، وهو من الشعراء المجان المعاقرين للشراب المتهتكين القائلين للشعر الطريف المضحك المستخدمين للسخف فيه لأجل الإضحاك[4]، وابن عياش[5] ، والحسين بن يحيى[6] ، ومعاوية بن بكر الباهلي[7] .

ومن أشهر رواة الكوفة بعـد حماد (خالد بن كلثوم) الكلبي ، وله صنعة في الأشعار المدونة على القبائل[8] . وكان لغوياً راوية لأشعار القبائـل وأخبارها ، عارفاً بالأنساب والألقاب وأيام الناس . له كتاب أشعار القبائـل يحتوي على عدة قبائل[9] .

وأما « خلف الأحمر ، الذي توفي بعد (حماد) ، سنة (١٨٠ هـ) على رواية : فذكر العلماء انه « لم ير قط أعلم بالشعـر والشعراء من خلف الأحمر : كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ، ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة ، وبذل له بعض الملوك مالاً جزيلاً عـــلى أن يتكلم في بيت من الشعر شكّوا فيه فأبـى »[10] . وقيل عنه « كان من أمـــرس الناس لبيت شعر ، وكان شاعراً يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم ...

---

١ الاغاني (١/١٣٥) .
٢ الاغاني (٣/٢٦٦) .
٣ الاغاني (٥/٢٦٢) .
٤ الاغاني (٧/٥٦ وما بعدها) .
٥ الاغاني (٧/٦٧) .
٦ الاغاني (٨/٢٨٥) .
٧ الاغاني (١١/٧) .
٨ الرافعي (١/٣٨٣) .
٩ القفطي ، انباه الرواة (١/٣٥٢) .
١٠ المستطرف (١/٦٠) ، (وكان من أمرس الناس لبيت شعر . وكان شاعرا ، يعمل الشعر على لسان العرب وينحله اياهم) ، الفهرست (٨٠) ، (أخبار خلف الاحمر)، انباه الرواة (١/٣٤٨ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١/٥٥٤) ، المزهر (٢/٤٠٣).

وله من الكتب : كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر »[1] . واسمه (خلف بن حيان) ، وعرف بـ (أبي محرز) ، وكان مولى لأبي موسى الأشعري،وقيل مولى بني أمية ، وأصله من (خراسان)[2] . وقيل مولى (أبي بردة بن أبي موسى الأشعري) أعتقه وأعتق أبويه ، وكانا فرغانيين[3] . وقد ذكر (ابن قتيبة) ان في شعر العلماء تكلف ، وهو رديء الصنعة ، ليس فيه شيء جاء عن إسماح وسهولة ، كشعر الأصمعي ، وشعر ابن المقفع ، وشعر الخليل ، خلا خلف الأحمر ، فإنه كان أجودهم طبعاً وأكثرهم شعراً[4] . وكان عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار ، شاعراً كثير الشعر جيده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه . وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين . ويكثر قول الشعر في وصف الحيّات ، وأراجيزه في ذلك كثيرة[5] .

وقد ذكر عنه أنه كان يتلاعب بالشعر الجاهلي ، فيزيد فيه وينقص . يروى أنه زاد البيت الأول والثالث من قصيدة (زهير بن أبي سلمى) (رقم ٤) في الديوان[6] . ونسب بعضهم اليه صنع المرثية التي رثى (تأبط شراً) بها أقاربه[7]. وقد نسب بعض العلماء اليه صنع لأمية الشنفرى[8]،المشهورة بلامية العرب التي أولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني الى قوم سواكم لأميل

وروي عن (الأصمعي) قوله : سمعت خلفاً يقول : أنا وضعت على النابغة هذه القصيده التي فيها :

خيلٌ صيامٌ وخيل غيرُ صائمة تحت العجاج،وأخرى تعلك اللجما[9]

---

١ الفهرست (٨٠) ، المعارف (٥٤٤) ، تهذيب اللغة ، للازهري (٤٠ وما بعدها) ، طبقات ، لابن سلام (٦) .
٢ الفهرست (٨٠) .
٣ المعارف (٥٤٤) ، المزهر (٢/٤٠٣) ، الشعر والشعراء (٢/٦٧٣) .
٤ الشعر والشعراء (١/١٦) .
٥ الشعر والشعراء (٢/٦٧٣ وما بعدها) ، ياقوت ، ارشاد (١١/٦٦) ، نزهة الالباء (٣٧) ، الامالي ، للقالي (١/١٥٤) ، الزبيدي ، طبقات (١١٣) .
٦ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٦٥) .
٧ المصدر نفسه (١/١٠٤) ، (حاشية رقم ١) .
٨ الامالي ، للقالي (١/١٥٧) ، بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/١٠٦) .
٩ الرافعي (١/٣٨١) .

وله قصائد أخرى نص على بعضها العلماء وبينوا أنها مصنوعة ، وقد وضع على شعراء عبد القيس شعراً كثيراً[1] ، وقال الجاحظ : إنه هو الذي أورد على الناس نسيب الأعراب ، وهذا النسب من أرق الشعر قاطبة وما أحراه أن يكون مصنوعاً[2] . ولما توفي خلف رثاه أبو نواس بشعر فيه :

أودى جميع العلم مذ أودى خلف من لا يعدُّ العلم إلا ما عرف
قليلٌ من العيالم الخسف كنّا متى نشاء منه نغترف
رواية لا تجتني من الصحف[3]

وهو أحد رواة الغريب واللغة والشعر ونقاده والعلماء به وبقائليه وصناعته . وله صنعة فيه . وهو أحد الشعراء المحسنين ، ليس في رواة الشعر أحدٌ أشعر منه .

وكان يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر أن يشبّه شعره بشعر القدماء ، حتى يشبه بذلك على جلّة الرواة ، ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم ، من ذلك قصيدته التي نحلها ابن أخت تأبط شراً ، التي أولها :

إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطلُّ[4]

جازت على جميع الرواة ، فما فُطِن بها إلا بعد دهر طويل بقوله :

خبرٌ ما نابنا مُصمّئل جلّ حتى دقّ فيه الأجل

فقال بعضهم :

جلّ حتى دق فيه الأجل

من كلام المولدين . فحينئذ أقر بها خلف »[5] .

---

١ المزهر (٢/٤٠٣) .
٢ الرافعي (١/٣٨١ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (٢/٦٧٣) ، الحيوان (٣/١٥٤) .
٤ وتنسب أيضا الى تأبط شرا ، ديوان الحماسة (٢/٣١٣) ، العقد الفريد (٦/١٥٧) ، الاغاني (٦/٨٧) ، (ان بالشعب الى جنب سلع) ، الامالي (١/١٥٦) ، أمالي المرتضى (٢/٢٨٠) ، الشعر والشعراء (٢/٦٧٤) .
٥ القفطي ، انباه الرواة (١/٣٤٨ وما بعدها) .

كان (خلف الأحمر) رأس البصرة في رواية الشعر وفي البصر به. كما كان (حماد) زعيم الكوفة في هذا العلم . وكان (خلف) نفسه ممن أخذ هذا العلم عن (حماد) ، فهو من أحد تلامذته ورواته وسامعيه . وكان المقدم عند أهل البصرة ، حتى كانوا لا يصدرون الرأي في شعر دونه ، واذا اختلف علماؤهم في شيء منه ، عرضوا خلافهم عليه للبت فيه[1] . وروي انه كان أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك انه جاء الى حماد الراوية ، فسمع منه[2] .

وقيل عنه إنه كان شاعراً مجيداً جيد الشعر كثيره ، لم يكن في نظرائه أحد يقول مثله الشعر[3] . ووضع على شعراء (عبد القيس) شعراً كثيراً موضوعاً وعلى غيرهم ، وأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة . وكان (خلف) أخذ النحو عن (عيسى بن عمر) ، وأخذ اللغة عن (أبي عمرو) . « ولم يُرَ أحد قط أعلم بالشعر والشعراء منه ، وكان يضرب به المثل في عمل الشعر ، وكان يعمل على ألسنة الناس ، فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه ، ثم نسك فكان يختم القرآن في كل يوم وليلة ، وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً خطيراً على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه ، فأبى ذلك . وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه . وبلغ مبلغاً لم يقاربه حماد. فلما نسك خرج الى أهل الكوفة فعرّفهم الأشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة ، فبقي ذلك في دواوينهم الى اليوم »[4] . وروي عن خلف قوله : « كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب،وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ، ويدخله في أشعارها ، وكان فيه حمق »[5] .

ويصعب في الواقع تصديق هذه الرواية المنسوبة الى خلف الأحمر ، فلم يكن حماد بإجماع المنافسين له على شيء من الفضلة والحمق ، حتى نصدق ما ورد في هذا الخبر الآحاد ، الذي هو خبر من أخبار رواة البصرة ، بل نرى من الأخبار

---

١ الرافعي (١/٣٨١) .
٢ ابن الانباري : نزهة (٥٨ وما بعدها) .
٣ المعارف (٥٤٤) .
٤ المزهر (٢/٤٠٣) .
٥ الاغاني (٦/٩٢) ، (٩/١٢٤) .

الواردة عنهم العكس ، نرى فيه الفطنة والخبث الى آخر أيامه . ثم انه كان أقدم وأشهر وأعرف وأحفظ من خلف الأحمر ، وهو في معرفة الشعر وتمييزه أمرس من صاحبه خلف ، فلا يعقل فوات ما نحله (خلف) القدماء على حماد . وقد كان الرواة أنفسهم يتعجبون من مقدرة حماد على التمييز بين الصحيح والفاسد من الشعر ، وعلى إحاطته بأساليب الجاهليين في نظم القريض ، وعلى إتقانه تلك الأساليب ، حتى صار من الصعب على عشاق الشعر التمييز بين ما كان يصنعه حماد على ألسنة الشعراء الجاهليين وبين ما كان من نظمهم حقاً . ولهذه الأسباب يصعب التصديق بهذا الخبر ، ورأيي انه من وضع أهل البصرة ، وضعوه على حماد ، كرهاً له وللكوفيين . ورواته هم من البصريين .

وما خبر توبة (خلف الأحمر) ، وخروجه الى أهل الكوفة ، ليعرفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس ، والتي أدخلها أهل الكوفة في دواوينهم ، وأبوا إصلاحها ، أو حذفها ، سوى قصة فيها الطعن والسخرية بعلم أهل الكوفة وبفهمهم للشعر ، وفيه مدح وتفخيم لعلم خلف بالشعر ، وإن كان لا يخلو من تجريح لخلف نفسه،وفيه مدح لعلم أهل البصرة. ولصدقهم في رواية الشعر والأخبار استهزاء اذن وتعريض بأهل الكوفة ، ليس فوقه استهزاء ، وضعه رجل فيه دعابة وتعصب وتحامل على الكوفيين .

وقد اختص (خلف) بالفروع التي اختص بها حماد بالكوفة ، وبذلك جعل البصرة تنافس الكوفة فيها . اختص بالشعر القديم ، وباللغة ، وبشيء آخر مهم جداً هو وضع الشعر وحمله على ألسنة القدماء ، فصار في هذا الباب بطل البصرة وممثلها ، كما كان حماد بطل الكوفة وزعيم الوضاعين . وقد امتاز خلف على الأصمعي العالم البصري ومعاصره بقدرته على نظم الشعر ، إذ كان هو نفسه شاعراً متمكناً في الشعر ، متقناً لفنونه ، كان من حذقه واقتداره في الشعر أن يشبه شعره بشعر القدماء فلا يفرق بينه وبين القديم . أما الأصمعي ، فلم يبلغ مبلغه فيه، وإن كان من علماء اللغة والأدب والنحو ومن حفظة الشعر ورواته .

وهناك روايات تنسب الصدق الى خلف ، ثم لا تكتفي بذلك حتى تجعله أعرف الناس وأعلمهم بالشعر.وروايات تذكر أنه كان أول من أحدث السماع بالبصرة ، وأنه تعلم ذلك من حماد[1] .

---

١ ياقوت ، ارشاد (٤/١٧٩) .

وكان (الأصمعي) ، وهو من علماء البصرة ، كما ذكرت ، غير راض عن (خلف) ، إذ كان يغمز فيه ، ويتهمه بالكذب . ويظهر أن ذلك بسبب المنافسة على الزعامة في العلم . روي عنه أنه قال في خلف : « رواة غير منقحين ، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دُواد الإيادي قالها خلف الأحمر . وهم قوم تعجبهم كثرة الرواية ، اليها يرجعون ، وبها يفتخرون »[1] . ويريد بهم أهل الكوفة . وذكر (الأصمعي) أيضاً أن خلفاً الأحمر « وضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيراً ، وعلى غيرهم ، عبثاً بهم ، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة »[2] .

وينسب الى الأصمعي قوله أنه حضر مأدبة « وأبو محرز خلف الأحمر ، وابن مناذر معنا ، فقال له ابن مناذر : يا أبا محرز ان يكن امرؤ القيس، والنابغة ، وزهير ماتوا ، فهذه أشعارهم مخلدة ، فقس شعري الى شعرهم . قال : فأخذ صفحة مملوءة مرقاً ، فرمى به عليه فلأه ، فقام ابن مناذر مغضباً ، وأظنه هجاه بعد ذلك »[3] . وهذه القصة – إن صحت – تشير الى وجود غلظة في طبع خلف. وهناك أخبار أخرى تؤيد هذا الرأي[4] .

وقد أشار (ابن النديم) الى كتاب لخلف الأحمر ، أسماه : (كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر)[5] . وذكر ياقوت الحموي له كتابين : ديوان شعر حمله عنه أبو نواس ، وكتاب جبال العرب[6] .

ومما يؤسف له حقاً، هو أن حماداً الراوية ، أو غير حماد ممن رووا عنه ، أو أخذوا عن غيره ، لم يشيروا الى الموارد التي أخذ حماد منها هذا الفيض من الشعر ، كما أنهم لم يشيروا الى الموارد التي استقى بقية رواة الشعر منها ما رووه

---

١ الموشح (٢٠١ وما بعدها) .
٢ مراتب النحويين (٧٥) .
٣ الموشح (٢٩٦) ، الاغاني (١١/١٧) ، ياقوت ، ارشاد (٤/١٧٩) .
٤ « حدثني عمر بن شبة ، قال : أنشد أبو عبيدة خلفا الاحمر شعرا له ، فقال له خلف : يا أبا عبيدة ، اخبأ هذه كما تخبأ السنور خرءها » الموشح (٣٦٦ وما بعدها) .
٥ الفهرست (٧٤) .
٦ ياقوت ، ارشاد (٤/١٧٩) .

من الشعر الجاهلي . ولو ذكروه لأفادونا ولا شك بذلك كثيراً ، إذ يكون في مقدورنا التوصل الى معرفة الأشخاص الذين كان لهم فضل حمل هذه الثروة العظيمة من ذلك الشعر . ومما يؤسف له أيضاً هو أن معظم دواوين الشعراء الجاهليين لا يرتفع سندها الى رواة يتقدم عهدهم على عهد حماد . ولو ارتفعت لاستفدنا منها بالطبع كثيراً في معرفة أسماء رواة الشعر الجاهلي وحفّاظه وجامعيه وكتبته قبل أيام حماد ، ولعرفنا بذلك شيئاً عن الموارد التي أخذ منها هذا الراوية ذلك الكنز الثمين .

ولا بد من ذكر (السكري) في هذا المكان . وهو (أبو سعيد الحسن بن الحسين) السكري اللغوي ، المتوفى سنة (٢٧٥ هـ) . فله مؤلفات عديدة عن الشعر ، وشروح للدواوين . منها : شرح أشعار هذيل[١] ، وديوان أبي كبير الهذلي بشرح السكري[٢] ، وكتاب أخبار اللصوص ، جمع فيه أشعار لصوص البدو المشهورين[٣] ، وأشعار اليهود[٤] ، وشرح ديوان زهير[٥] ، وديوان امرىء القيس ، بروايته[٦] ، وشرح ديوان حسان ، وقد نقل منه (البغدادي)[٧] ، وديوان الحطيئة ، وهو روايته عن ابن حبيب[٨] ، وديوان أبي ذؤيب الهذلي[٩] ، وشرحه على ديوان عبدالله بن قيس الرقيات[١٠] ، وديوان الأخطل ، وهو روايته عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي[١١] ، وديوان الفرزدق[١٢] .

وقد أخذ السكري من الموارد التي ألفت قبله ؛ كما أخذ من علماء المصرين : البصرة والكوفة ، دون تعصب أو تحزّب ، وكان راوية البصريين[١٣] .

---

١ خزانة (٢/٣١٧) .
٢ بروكلمن (١/٨٤) .
٣ بروكلمن (١/٨٥) .
٤ بروكلمن (١/٨٤) .
٥ بروكلمن (١/٩٦) .
٦ بروكلمن (١/١٠٠) .
٧ خزانة (٣/٣٣٣) ، (٤/٤٤) .
٨ بروكلمن (١/١٦٨) .
٩ بروكلمن (١/١٦٩) .
١٠ بروكلمن (١/١٩٣) .
١١ بروكلمن (١/٢٠٨) .
١٢ بروكلمن (١/٢١٣) .
١٣ نزهة الالباء (١٤٤ وما بعدها) .

الفصل الرابع والخمسون بعد المئة

تنقيح الشعر والدواوين

والذي يطالع كتب الأدب والأخبار، ويقرأ ما ورد فيها عن الشعراء الجاهليين، يخرج منها بانطباع خلاصته ان أكثر شعراء الجاهلية ، لم يكونوا يهذبون شعرهم ، ولم يكونوا يثقفونه ، ولم يكونوا يجرون عليه تحويراً أو تغييراً أو تعديلاً ، بعد انشادهم له ، وان أغلبهم كان يقول شعره ارتجالاً من غير تحضير سابق ولا تهيئة، فهو من عفو الخاطر . جرت على ذلك سنة الشعراء في الجاهلية ، فكان شاعرهم يرتجل شعره حسب الظروف والمناسبات .

وتصدق دعوى أهل الأخبار هذه في شعر المناسبات وفي المفاجآت ، أي في الحالات التي لا يكون الشاعر فيها على علم مسبق بأنه سيقول فيها شيئاً من الشعر فتضطره المناسبة الى قول شيء منه ، أما في الحالات الأخرى ، فإن دعواهم هذه لا يمكن قبولها ، بسبب اننا نجدهم يذكرون ان الشاعر كان يهيء شعره قبل إلقائه ، وانه كان اذا نظم يحفظه رواته ، أو يدونه على صحيفة ، وقد ينقح فيه ويجوّد ، وان من الشعراء من كان يحرص على ألا يذيع شعره إلا بعد أمد، وإلا بعد أن يعرضه على خاصته ليروا رأيهم فيه ، فيغير فيه ويبدل ، فإذا سمع آراءهم وملاحظاتهم ووجدها وجيهة ، أخذ بها ، وصقل شعره بموجبها ، وعندئذ يذيعه ويعطيه راويته لينشره بين الناس .

جاء في (طبقات الشعراء) أن الرسول سأل (عبدالله بن رواحة) : « كيف تقول الشعر إذا قلت ؟ » فأجابه : « أنظر في ذلك ثم أقول » . فأمره أن

يقول شعراً تقتضيه الساعة ، وأخذ ينظر اليه : فانبعث عبدالله يقول شعراً ، ثم قال : « ولم أكن أعددت شيئاً »[1] . وجاء في كتاب « الشعر والشعراء » عن (الحارث بن حلزة) ، وهو القائل :

آذنتنـــا ببينها أسمـــاء ربّ ثاوٍ يملّ منه الثواء

ويقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالاً ».ثم قال : « قال الأصمعي: قد أقوى الحارث بن حلزة في قصيدته التي ارتجلها ، قال :

فملكنا بذلك الناسّ إذ ما ملك المنذر بن ماء السماء

قال أبو محمد:ولن يضر ذلك في هذه القصيدة،لأنه ارتجلها فكانت كالخطبة[2]. فاعتذر عن الإقواء بالارتجال ، ومعنى هذا أنه لو كان قد هيأها وأعدها من قبل، كما هي العادة لما وقع في الاقواء .

وفي جواب (عبدالله بن رواحة) « لم أكن أعددت شيئاً » ، وفي اعتذار المعتذر عن إقواء (الحارث بن حلزة) ، دلالة بينة على أن الشعراء كانو يهيئون شعرهم وينقحونه قبل إنشاده ، وأنهم كانوا لا يقولون شيئاً منه إلا بعد أن يكون قد اختمر في رؤوسهم ورضوا عنه ، حتى يكون سديداً ، اللهم إلا في المناسبات وفي الظروف الحرجة التي تهز الشاعر فتحمله على نظم الشعر .

وورد أن (الحارث بن حلزة) اليشكري ، قال لقومه ، « وهو رئيس بكر ابن وائل : إني قد قلت قصيدة ، فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه ، فروّاها ناساً منهم ، فلما قاموا بين يديه لم يرضهم ، فحين علم أنه لا يقوم بها أحد مقامه ، قال لهم : والله اني لأكره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور ، وينضح أثري بالماء إذا انصرفت عنه ، وكان لبرص كان به ، غير اني لا أرى أحداً يقوم بها مقامي ، وأنا محتمل ذلك لكم »[3] ، مما يدل على أنه كان قد أعدّها ونظمها بعد تروٍ ودراسة ، ثم ألقاها على الملك ، مع أننا

---

١ طبقات (٥٥) ، شرح شواهد ، للسيوطي (١/٢٩٣) ، العمدة (١/٢١٠) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٢٧ وما بعدها) ، العمدة (١/١٩٠) .
٣ الخزانة (١/٥١٩) .

نرى الكتب ، تذكر أنه ارتجلها ارتجالاً ، بمعنى أنهـا كانت من وحي الموقف والساعة ، ولم تكن مهيأة من قبل : لأن الارتجال في الكلام ، التكلم من غـير تدبر ولا تهيئـة سابقة ، وقيل من غير روية ولا فكر[1] . ويظهر أنهم قصدوا بالارتجال إلقاء الكلام من غير نظر الى صحيفة ، وذلك أوقع في النفس عندهم من الإلقاء عن شيء مكتوب ، على الرغم من كون صاحبه قد أعده من قبـل وقد حفظه ، كما يفعل شعراء هذا اليوم من إنشادهم شعرهم المنظوم سابقـاً من غير نظر في صحيفة ، ليظهر الشاعر وكأنه يرتجله ارتجالاً .

ولا يعقل أن يكون الشعر كله من نتاج المصادفة والمفاجأة ، وانه كان يحفظ على نحو ما قيل وأنشد ، فلم يجر عليه قلم ، ولم ينله تهذيب ولا تشذيب،ولا سيما بالنسبة للقصائد . فقد كان الشاعر ينظم شعره مقدماً في الغالب ، ثم ينشده رواته وجماعته ، لئلا ينساه ، ثم يرى رأيهم فيه ، وقد يزيد هو عليـه شيئاً ، وقد ينقص منه شيئاً ، ومن هنا نجد رواية أكثر القصائد لا تثبت على ترتيب واحد، وليست لها وحدة مستقلة ولا ترتيب متكامـل ، إلا في أحوال نادرة ، ومن ثم اختلفت الرواية عن الشاعر ، فقد يكون أحد الرواة ، قـد افترق عن الشاعر وابتعد عنه ، وهو يحفظ شعره على نحو ما سمعه منه ، على حين يكون الشاعـر قد أضاف عـلى شعراً شيئـاً جديداً ، حفظه عنه غـيره من الرواة ، فتسبب ذلك في ظهور الاختلاف في القصيدة الواحدة ، وتكون الرواية القديمة أقصر من الرواية الحديثة في العادة ، لعدم دخول الزيادة التي ترد متأخرة بالطبع على الشعر[2]. روي عن (ابن مقبل) قوله : « اني لأرسل البيوت عوجاً ، فتأتي الرواة بها قد أقامتها »[3] . فللرواة إن صح هذا الخبر ، يد في إصلاح الشعر ،وفي تغييره ، وفي إقامة ما قد يكون فيه من اعوجاج .

ولا بد للشاعر من إعداد الشعر (القصيد) وتهيئته والنظر فيه قبل انشاده ، كما في شعر المدح والهجاء ، لما يجب أن يتفنن فيه الشاعر ، وهو على عـلم أن من سيقصده لمدحه ، قد قصده غيره للغاية نفسها ، وقـد يصادف انشاده لشعره

---

١ تاج العروس (٣٣٧/٧) ، (رجل) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٦١/١) .
٣ مجالس ثعلب (٤٨١) .

ـ وهو ما يقع في الغالب ـ بحضور عدد آخر من الشعـــراء المحترفين للشعر ، المتفننين فيه ، فإذا هو لم يهيء شعره من قبل ولم يعرضه على أحد ولم يتفنن فيه ، ويأتي فيه بغرائب الفنون ، ضاع شعره بين بقية الأشعار . فهو مضطر اذن على إعداد شعره إعداداً حسناً قبل إنشاده أمام الممدوح ، وحكّه وتشذيبه لينال المكانة المرجوة بين بقية الشعر .

ونجد في شعر ينسب الى (امرىء القيس) ، يذكر فيـــه ان المعاني كانت تنثال عليه ، فكان يعمل رأيه فيها ، فيؤخر ويقدم ، ويتخير ما يستجاد من غرر الأبيات :

أذود القوافي عني ذياداً ذياد غلام جـــريء جرادا
فلـــما كـــثرن وعنينـــني تخيرت منهـــن ستا جيـادا
فأعزل مرجانهـــا جانبـــاً وآخذ من درها المستجادا [1]

وقد نسب بعض الرواة هذه الأبيات الى غيره .

ولا بد في شعر الهجاء من إعداد ، ولا سيما في شعر الهجاء الذي يعدّ للردّ على شاعر هجّاء ، أو على شعر هجاء سابق ، إذ يجب في هذه الحالـــة اعداده بعناية لتحطيم الهاجي وإسقاطه وإخماله ، ويستدعي ذلك عمل الروّية فيـــه والتأمل طويلاً ، وإنشاد الشعر مراراً وتكراراً على الرواة والعارفين بالشعر لأخذ رأيهم فيه . وقد يزيدون عليه وقد ينقصون منه ، فإذا رضي الشاعر عنه ، وقنع به ، أنشده أمام الناس ، وقد يكون في المواسم ليسير بين القبائل ، وقد يرسل مكتوباً الى من يهمهم الأمر ليصل اليهم ذلك الهجاء . وقد يكون الشاعر (تميم بن مقبل) (تميم بن أبيّ بن مقبل) ، قد عنى هذا المعنى في البيت المنسوب قوله اليه :

بني عامر ، ما تأمرون بشاعر تخـــير بابات الكتاب هجائيا [2]

وبابات الكتاب ، سطوره ، وهو بيت لا يخلو من غموض ، حتى ان علماء

---

١ ديوان امرىء القيس (٦٣) .
٢ ديوانه (ص ٤١٠) ، (الدكتور عزة حسن) ، « تخير آيات » ، العمدة (١٦٧/٢)، الحيوان (١١٢/٧) .

اللغة اختلفوا في تفسيره ، اختلافاً كبيراً ، وقد يفهم منه أن الشاعر كان قد تخير هجاءه ودونه في وجوه الكتاب ، أي أن الهجاء كان مدوّناً بسطور ومكتوباً، وقد يكون قد أنذر به وتوعد ، بأن من سيهجوهم إذا لم يكفوا عن سفههم ، فإنه سيدوّن هجاءه ويثبته في سطور وينشره بين الناس ، فهو ينذرهم به ويتوعدهم وقد أدخله صاحب (العمدة) في « باب الوعيد والانذار » ، وقال : « كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ، ويحذرون من سوء الاحدوثة ، ولا يمضون القول إلا لضرورة لا يحسن السكوت معها »[1]. وقد اتخذ (كولدتزيهر) هذا البيت دليلاً على وجود التدوين في شعر الهجاء عند العرب ، كما اتخذ من شعر (ليلى الأخيلية) :

أتاني من الأنبـاء أن عشيرة بشوران يزجون المطي المذللا
يروح ويغدو وفدهم بصحيفة ليستجلدوا لي،ساء ذلك معملا[2]

دليلاً آخر على تدوين الهجاء .

وتنقيح الشعر تهذيبه . وأنقح شعره اذا حككه ، أي أزال عيوبه . ولهذا قيل : خير الشعر الحولي المنقح[3] . فكان الشاعر اذا نظم شعراً أجال بصره به ، ليرى ما فيه من نشاز وعيوب ، فيحك منه ما يحتاج الى حك ، ويجيل بصره به الى أن يعجبه ويرضيه ، فيقوله للناس . وقد ينقحه بعد إلقائه ، إذ قد يسمع نقداً يراه من شاعر أو من العارفين بالشعر ، صائباً ، فينقح الموضع المنتقد . وقد ينتبه الشاعر وهو يقرأ شعره على الملأ ، الى أفكار لم تكن تخطر على باله ساعة نظم شعره ، فينظمها ويضيفها الى ما نظمه .

وكان من الشعراء من يكتب ويقرأ ويدون شعره . ومن هؤلاء (عدي بن زيد العبادي) ، الذي كان يتولى مكاتبة العرب عند (كسرى) ، والذي كان قد حذق الكتابة بالعربية والفارسية[4] . وهو من شعراء (الحيرة) ، والشاعر

---

١ العمدة (١٦٧/٢) .
٢ ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (٩٨) .
٣ تاج العروس (٢٤٢/٢) ، (نقح) ، (١٢٢/٧) ، (حك) .
٤ الاغاني (١٠١/٢ وما بعدها) .

(سويد بن صامت الأوسي) ، و (عبدالله بن رواحة) ، و (كعب بن مالك الأنصاري) ، وهم من شعراء يثرب[1] ، ولهذا فلا يستبعد وقوع التدوين والتنقيح من هؤلاء الشعراء ومن أمثالهم الذين كانوا يقرأون ويكتبون ، يكتبون شعرهم ، ثم يجيلون النظر فيه ، فيغيرون منه ما شاءوا ويبدلون ما لا يعجبهم منه حتى يستوي ، فيذاع .

ولو ذهبنا هذا المذهب وقلنا بصحة المذكور في هذه الروايات ، حق علينا أن نقول إن الشعراء الجاهليين ان لم يكن أكثرهم فبعضهم على الأقل كانوا ينقحون شعرهم ويعدلون فيه ويجبرونه ، حتى يستقيم في نظرهم ويستوي . فإذا رضوا عنه ، أذاعوه عندئذ ، وأنشدوه حين تدعو الداعية إلى الإنشاد . وقد يطول هذا التنقيح ، وقد ينقص . قد يقع في أيام ، وقد يقع في شهر أو شهور أو حول أو أكثر . ومثل هذا التنقيح والتحكيك ، يستدعي وجود تدوين في الغالب ، بأن يدون الشاعر أو راويته الشعر ، ثم يجري التنقيح على المكتوب .

ذكر (ابن قتيبة) ، ان من الشعراء المتكلف والمطبوع . « فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والحطيئة . وكان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . وكان الحطيئة يقول : « خير الشعر الحوليّ المنقح المحكك » ، وكان زهير يسمى كُبَرَ قصائده: (الحوليات)[2]

وقد أشار بعض الشعراء الى تنقيحه شعره والى تهذيبه له ، وتحكيكه فيه . منهم الشاعر المخضرم (سويد بن كراع) من (عطل)[3] ، وكان شاعراً محكماً[4]. فقال في أبيات يذكر تنقيحه شعره :

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سرباً من الوحش نزعا
أكالئها حتى أعرس بعدما يكون سُحَيْراً أو بُعيد فأهجعا

---

١ ابن سعد ، الطبقات (٢/٣ ص ٧٩) ، المحبر (٢٧١ وما بعدها) ، الاغاني (٢٥/٣) .
٢ الشعر والشعراء (٢٢/١ وما بعدها) ، (الثقافة) ، البيان والتبيين (١٣/٢ ، ٢٠٤) ، (لجنة) ، البيان والتبيين (٢٠٤/١) ، (هارون) .
٣ الاغاني (١٢١/١١) ، الشعر والشعراء (٥٣٠/٢) ، (الثقافة) .
٤ الاصابة (١١٧/٢) ، (رقم ٣٧٢٢) .

إذا خفت أن تُروى علي رددتها وراء التراقي خشيةً أن تَطلّعا
وجشّمني خوف ابن عفّان ردها فثقفتها حولاً جريداً ومَربَعا
وقد كان في نفسي عليها زيادة فلم أرَ إلاّ أن أطيع وأسمعا [1]

وكان هجا قومه ، فاستعدوا عليه عثمان ، فأوعده ، وأخذ عليه ألا يعود [2] . فأخذ يهذب شعره ويثقفه خشية الوقوع فيما لا يحمد عليه .

وذكر (ابن قتيبة) أن « المتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً ، فليس به خفاءٌ على ذوي العلم ، لتبيّنهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر ، وشدة العناء ، ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات ، وحذف ما بالمعاني حاجة اليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه » [3] .

وقال : « والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة ، وإذا لم يتلعثم ولم يتزحر » [4] .

والتكلف في نظم الشعر شيء ممجوج ما في ذلك شك ، لما فيه من تصنع وتنطع ، وخروج على عفو الخاطر ، وعلى الطبع . أما تهذيب الشعر ومراجعته وتشذيبه ، والتأني فيه ، والنظر فيه ، لتعبيده وتشذيبه ، حتى يكون عذباً نقياً ، نابعاً عن شاعرية وسليقة ، خالياً من الشطحات والنزوات ، يعجب السامع ، فأمر آخر ، على ألا يتجاوز الحد ، بحيث يخضع الشعور لاستبداد الصنعة ، فهو عندئذ معيب . وقد رأى (الأصمعي) ، وهو من نقدة الشعر وعلمائه ، في تثقيف الشعر وحكّه وتشذيبه عبودية للشعر ، انتقد (زهيراً) و (الحطيئة) عليها ، فقال: « زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما ، عبيد الشعر . وكذلك كل من جوّد في جميع شعره ، ووقف عند كل بيت قاله ، وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة . وكان يقال : لولا ان الشعر قد كان استعبدهم واستخرج مجهودهم ، حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة »

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٣) ، (الثقافة) .
٢ الشعر والشعراء (٢/٥٣٠) ، (الثقافة) .
٣ الشعر والشعراء (١/٣٢) ، (الثقافة) .
٤ المصدر نفسه (١/٣٤) .

ومن يلتمس قهر الكلام ، واغتصاب الألفاظ ، لذهبوا مذهب المطبوعين ، الذين تأتيهم المعاني سهواً ورهواً ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالاً ، وانما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدي .. ولذلك قالوا في شعره : مطرفٌ بآلاف ، وخمار بواف. وقد كان يخالف في ذلك جميع الرواة والشعراء »[1] . وقـد فسر (ابن قتيبة) الجملة الأخيرة المتعلقة بالنابغة الجعدي ، بقوله : « وكان العلماء يقولون في شعره خمار بواف ، ومطرفٌ بآلاف . يريدون ان في شعره تفاوتاً ، فبعضه حد مبرز، وبعضه رديء ساقط »[2] .

وجاء في (العمدة) (لابن رشيق) : « وكان الأصمعي يقول : زهير والنابغة من عبيد الشعر ، يريد انهما يتكلفان إصلاحه ، ويشغلان به حواسهما وخواطرهما »[3]، فوضع (النابغة) في موضع (الحطيئة) المذكور في (البيان والتبيين) وفي الموارد الأخرى .

قال (السيوطي) : « قال الجاحظ في البيان : كان الشاعر من العرب يمكث في القصيدة الحـول ، ويسمون تلك القصائد الحوليّات والمنقحات والمحكمات ، يصير قائلها فحلاً خِنذيذاً وشاعراً مفلقاً »[4]. فالقصيدة الحولية المنقحة المُحكمة، هي القصيدة التي يتأنى بها صاحبها ، فيهذب فيهـا ويشذب ، حتى يحكمها ، لتصير متماسكة بينة متينـة ، ومن هنا قال (الحطيئة) : « خير الشعر الحوليّ المنقح » ، أو « خير الشعر الحولي المحكك »[5] . وكانوا يسمون تلك القصائد أيضاً المقلدات[6] ؛ والحوليات ، والمنقحات ، والمحكمات. وقد أوجز (السيوطي) كلام (الجاحظ) ، الذي أدرك ما كان يفعله الشاعر بشعره من تغيير وتبديل ومن تنقيح وتجويد ، حتى يرضى عنه . فقال أكثر مما نقله (السيوطي) عنه ، قـال إن من الشعراء « من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلاً، يردّد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه ، إتهاماً لعقله ، وتتبعاً على

---

١ البيان والتبيين (٢/١٣) « لجنة » ، الشعر والشعراء (١/٢٢ وما بعدهـا) ، (بيروت ، دار الثقافة) ، (١/٨١ وما بعدها) .
٢ الشعر والشعراء (١/٢١٠) .
٣ العمدة (١/١٣٣) .
٤ شرح شواهد (١/٢٦) ، باختلاف اللفظ ، البيان والتبيين (٢/١٣) .
٥ البيان والتبيين (١/٢٠٤) ، (٢/١٣) .
٦ البيان والتبيين (٢/٢٦) ، (٢/٩) ، (لجنة) .

نفسه ، فيجعل عقله زماناً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره »[1] . يفعلون ذلك ليخرج شعرهم بليغاً بيّناً ، خالصاً نقياً ، حتى ينالوا منه ما يريدون من التأثير في السامع ، ومن استهواء الناس اليهم « وكانوا إذا احتاجوا الى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمـــور ميّثوا الكلام في صدورهم وقيّدوه على أنفسهم ، فإذا قوّمه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محكماً منقّحاً ومُصفّى من الأدناس مهذباً »[2] ، وقال : « وكانوا يُسمون تلك القصائد الحوليّات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ، ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً »[3] .

والحوليات ، هي القصائد التي يحول عليها الحول . والمقلدات ، البواقي من الشعر على الدهر وقلائده[4] . والمنقحات ، القصائد المنقحة المهذبة المحككة . يقال : خبر الشعر الحولي المنقح ، وأنقح شعره اذا حككه ، وأحسن النظر فيه ،وأصلحه وأزال عيوبه[5] . وقد كان الشاعر يحيل النظر في شعره ، ويفكر فيه ويصلح منه ، قبل أن يعرضه على الناس ، حتى لا يعاب عليه ، فيغض من قدره ، وتهبـــط منزلته بين الناس ، وتطمع فيه الشعراء . فهؤلاء الشعـراء ، هم أصحاب فن ، لا يهمهم الإخراج الكثير ، بل الشعر المحكك المنسق المنقـــح ، ولذلك يمكثون أمداً يعيدون النظر فيه حتى يعجبهم نظمه ، فيذيعونه عندئذ بين الناس .

وقد عرف (طفيل الغنوي) في الجاهلية بالمحبر ، وذهب علماء الشعر الى انه انما عرف بذلك لحسن شعره[6] ، وكان مثل زهير والنابغة « في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك »[7] . وقد عرف (ربيعة بن سفيان) الشاعر الفارس بالمحبر « لتحبيره شعره وتزيينه كأنه حبر »[8] . و (الحطيئة) ، و (النمر بن ثعلب) من هذه الطبقة التي تأنقت في شعرها وثقّفته[9] . وقد عرف (النمر بن تولب) بالكيس

---

١ البيان والتبيين (٢/٩) .
٢ البيان والتبيين (٢/١٤) ، (٢/٩) ، (هارون) .
٣ البيان والتبيين (٢/١٤) .
٤ تاج العروس (٢/٤٧٥) ، (قلد) .
٥ تاج العروس (٢/٢٤٢) ، (نقح) .
٦ العمدة (١/١٣٣) ، الشعر والشعراء (١/٣٦٤) .
٧ العمدة (١/١٣٣) ، تاج العروس (٣/١١٩) ، (حبر) .
٨ تاج العروس (٣/١١٩) ، (حبر) .
٩ العمدة (١/١٣٣) .

لحسن شعره[1] : وورد في رواية أخرى انه انما قيل له المحبر لقوله :

سماوته أسمال برد محبر وسائره من أتحمى معصب[2]

وكان (طفيل بن عوف بن كعب) (طفيل بن كعب) الغنوي ، أحد نعات الخيل من الجاهليين ، فعرف بطفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، قيل انه كان من أوصف الناس للخيل[3] ، وقد أخذ عنه بعض الشعراء ، مثل النابغة وزهير . وقيل انه كان ثالث الشعراء الوصافين للخيل[4] . وقد نشر (كرنكو) ديواني طفيل والطرماح مع ترجمتها الى الانكليزية ، وذلك ضمن سلسلة منشورات (جب)[5] .

ذكر أن أبا بكر قال يوماً للأنصار : زادكم الله عنّا يا معشر الأنصار خيراً، فما مثلنا ومثلكم إلا كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنّا جعفراً حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلّتِ
أبوا أن يملّونا ولو أن أمّنا تلاقي الذي يلقون منا لملّتِ

وروي أن معاوية قال : دعوا لي طفيلاً وسائر الشعراء لكم ، وأن عبد الملك ابن مروان ، قال : من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل .

ومن جيد الشعر المنسوب له ، قوله :

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٢٧) ، العمدة (١/١٣٣) .

٢ الخزانة (٣/٦٤٣) .

٣ « طفيل بن عوف بن خلف بن ضبيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان ابن غنى بن أعصر » ، الخزانة (٣/٦٤٣) ، الاغاني (١٦/٨٥ وما بعدها) ، (ساسي) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (٢٧٥) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٦٢) ، ديوان طفيل والطرماح ، (كرنكو) ، (لندن ١٩٢٧) ، بروكلمن تاريخ الادب العربي (١/١٢٠) ، الشعر والشعراء (١/٣٦٤ وما بعدها) ، (الثقافة) ، السمط (٢١٠) ، المؤتلف (١٤٧) .

٤ بروكلمن (١/١١٩) .

٥ The Poems of T.B. 'A. al-Gh. and at-Tirimmah, ed and transl. by F. Krenkow, London, 1927 (E. J. W. Gibb Mem. XXV).

إني،وإن قلّ مـالي لا يفارقني مثل النغامة في أوصالهـا طول
أو قارح في الغرابيات ذو نسب وفي الجراء مِسَحٌّ الشدّ إجفيل
إن النساء كأشجار نبتن معـاً منها المرار،وبعض النبت مأكول
إن النساء متى يُنهين عن خلق فإنـه واجب لا بـدّ مفعول
لا ينصرفن لرشدٍ إن دعين له وهن بعـد ملائيم مخاذيـل[1]

ومن شعره :

وللخيل أيامٌ فمن يصطبر لهـا ويعرف لها أيامها الخـير تعقب

وقد شرح ديوانه (يعقوب بن السكيت) ، وقد رجع اليه (البغدادي)[2] .

وقد قسم (ابن رشيق) الشعر الى مطبوع ومصنوع . و « المطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً ، وعليه المدار . والمصنوع وان وقع عليه هذا الاسم ، فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين ، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سمّوه صنعة من غير قصد ولا تمثل ، لكن بطباع القوم عفـواً ؛ فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل ، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف : يصنع القصيدة ، ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب، بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وربما رصّدَ أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك ، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظة ، أو معنى لمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وابرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلم بعضه ببعض حتى عدّوا من فضل صنعة الحطيئـة حسنَ نسقِه الكلام بعضه على بعض »[3] .

ولم يعب علماء الشعر الشعر المنمق المحكك ، إذا لم تؤثر فيه الكلفة، ولم يظهر عليه التعمل ، ولم يخرج عن حدود الطبع . ومن هنا قال بعض الحذّاق بالكلام: « قل من الشعر مـا يخدمك ، ولا تقل منه ما تخدمه . وهـذا هو معنى قول

---

١ الشعر والشعراء (١/٣٦٤ وما بعدها) .
٢ الخزانة (٣/٦٤٢) .
٣ العمدة (١/١٢٩) ، (باب في المطبوع والمصنوع) .

الأصمعي »[1] ، وهو أيضاً معنى (ابن رشيق) وغيره من علماء الشعر ، الذين يريدون شعراً طبيعياً صدر من القلب وعن عفو الخاطر،لا تعمّل فيه ولا تزويق يخرجه من الطبع الى الصنعة ، فيكون ثقيل الظل لا تستسيغه الطباع .

ويرى (بروكلمن) أن « القصائد الطوال كالمعلقات ، لم يتم نظمها دفعة واحدة . ومهما كانت القافية كثيراً ما تهدي الشاعر في نظم شعره ، فإنه يجدر بنا أن نتصور نشأة القصيدة في الزمن القديم على غرار ما وصفه (موزل) عند شعراء البادية المحدثين . وعلى ذلك فلا يستبعد بحال من الأحوال أن تكون القصيدة من نتاج حول كامل.ومن هنا وجدنا رواية أكثر القصائد لا تثبت على ترتيب واحد. فقد ينشد الشاعر شعراً لرواته وأحبائه أول الأمر لئلا ينساه ، ثم يزيد عليه ، لا سيما إذا ذكره أحباؤه بشيء غفل عنه،وربما بدل بعض أبياته بعد ذلك بأخرى لم يسمعها ذووه الأولون ، فتختلف الرواية عن الشاعر . ولا يأبى الشاعر نفسه أن يعترف بأن كل ذلك من بنات أفكاره . وقد يكون ذلك أيضاً هو السبب في أن كثيراً من الشعر القديم لم تبق منه إلا قطع متفرقة »[2] .

ولا يختلف الشاعر الجاهلي عن الشاعر الاسلامي في نظري في تهذيب شعره وتنقيحه . فقد كان للفرزدق الشاعر المشهور الذي حفظ وروى شعر عدد كبير من الشعراء المتقدمين رواة ، كانوا يعدلون ما انحرف من شعره ، ويهذبون ما يحتاج منه الى تهذيب ، وكانوا يروونه . وكان لجرير ، الشاعر الآخر ، وهو خصم الفرزدق ومنافسه في قول الشعر ، رواته ومعدلو شعره . كانوا يقوّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد[3] . واذا كان هذا شأن شعراء أيام الأمويين الذين ورثوا تقاليد الشعراء المخضرمين والجاهليين ، وساروا على هديهم في الشعر، لا نستبعد اذن لجوء الشاعر الجاهلي ورواته الى التحكيك والتعديل واجراء التهذيب على شعره ، لغفلة قد تكون وقعت له ، وقد فاتت عليه ، أو لمعنى فات عليه، أدركه رواته عند إنشاده له ، أو غمز به خصومه فاضطر الى اجراء تنقيح عليه لإخراجه بالشكل الذي رآه يصلح فيه .

---

١ العمدة (١/١٣٣ وما بعدها) .
٢ بروكلمن (١/٦١) .
٣ الاغاني (٤/٢٥٦ وما بعدها) ، (دار الكتب) .

وقد حكك ونقح علماء الشعر ورواته ، ما سمعوه وأخذوه من شعر ، لأنهم وجدوا أنه في حاجة الى تحكيك،أو أنهم رأوا أن فيه خللاً ، وان عليهم واجب إصلاحه وتقويمه . أجروا مثل هذا التنقيح حتى في شعر الشعراء الإسلاميين. روي عن (الأصمعي) قوله : « قرأت على خلف شعر جرير ، فلما بلغت قوله :

فيا لك يوماً خيره قبل شرّه تغيب واشيه وأقصي عاذله

فقال : ويله ! وما ينفعه خير يؤول الى شر ؟ قلت له : هكذا قرأته على أبي عمرو . فقال لي : صدقت وكذا قاله جرير ، وكان قليل التنقيح ، مشرّد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع . فقلت : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له لو قال : فيا لك يوماً خيره دون شرّه .

فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء ، فقلت : لا أرويه بعد هذا إلاّ هكذا »[1] .

وقد اضطر علماء الشعر الى تنقيح ألفاظ في الشعر بسبب تصحيف أو تحريف وقع عليها بفعل النسّاخ ، ومثل هذا التنقيح مستساغ بالطبع ، بل واجب لأن فيه اعادة الشعر الى الصواب ، على أن ينص على الأصل الذي كان مكتوباً به ، والتصحيح الذي أدخل عليه ، وعلى السبب الذي حمل العالم على اجرائه عليه .

دواوين الشعر الجاهلي :

ودواوين الشعراء الجاهليين ، الموجودة عندنا هي كلها وبغير استثناء من جمع علماء الشعر الاسلاميين . فلا يوجد من بينها ديوان واحد ذكر انه كان من جمع أهل الجاهلية . وقد شرع بصنع هذه الدواوين في العصر الأموي . وبلغت العناية بها ذروتها في القرن الثالث للهجرة . وقد أبدى علماء العراق من موالي وعرب تفوقاً كبيراً على غيرهم من علماء الأمصار الاسلامية في هذا الباب .

وقد نسب الى (ابن عباس) قوله : « إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله،

---

١ ديوان جرير (٤٨٠) ، المرزباني ، الموشح (١٢٥) ، بروكلمن (١/٦٥) .

فاطلبوه في الشعر فإنه ديوان العرب »[1] . وإذا صح أن هذا الكلام الـذي رواه (عكرمة) عن (عبدالله بن عباس) هو من كلامه نكون قد حصلنا لأول مرة على لفظة (الديوان) ، بالمعنى المفهوم من اللفظة في عرف علماء الشعر والناس . وذكر أن لفظة (الديوان) قد وردت في حديث : « لا يجمعهم ديوان حافظ »[2]. وإذا صح هـذا الحديث وثبت ، يكون ورود اللفظة فيه قبل ورودها في كلام (ابن عباس) ، ومعنى هذا أنها كانت معروفة عند أهل الجاهليـة . غير أن ورودها في هذا الحديث لا يعني ديوان شعر ، وإنما الجمع والاحصاء ، وبمعنى كتاب وسجل تدون فيه الأشياء .

وروي أيضاً أن الخليفة (عمر) سأل الصحابة عن هذه الآية : « أو يأخذهم على تخوّف ، فإن ربكم لرؤوف رحيم »[3] ، فخاضوا في معناها ، فخرج رجل ممن كان حاضراً فلقي أعرابياً ، فقال التخوف : التنقص ، وكان ذلك الأعرابي من هذيل ، فقال له : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قـال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذليّ :

تخوف الرحل منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعـة السفن

فقال عمر : أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا . قالوا : وما ديواننا ؟ قال: شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[4] .

ويقال لمجموع الشعر المدون في دفتر أو كتـاب (ديوان شعر) . فيقـال (ديوان الشاعر) و (دواوين الشعراء) ، و (ديوان فلان) ، و (ديوان طيء) ، و (ديوان الأنصار) ، و (ديوان الشعـراء الجاهليين) ، الى غير

---

١ « وأخرج أبو بكر الانباري في كتاب الوقف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : اذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديـوان العرب » المزهر (٢/٣٠٢) ، (٢/٤٧٠) الاخبار الطوال (٣٣٢) ، (اذا قرأتـم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب ، فان الشعر ديـوان العرب . وكان اذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعرا) ، العمدة (١/٣٠).

٢ تاج العروس (٩/٢٠٤) ، (دون) .

٣ النحل ، الآية ٤٦ .

٤ تفسير الطبري (١٤/٧٧) ، تفسير النيسابوري ، (١٤/٧٠ وما بعدها) ، وورد فيه أن اسم الشاعر : « زهير » .

ذلك . ويقصدون بذلك مجموعة أشعار جمعت في مجموع . وذكر بعض علماء اللغة ان الديوان « الدفتر ، ثم قيل لكل كتاب ، وقد يخص بشعر شاعر معين مجازاً حتى جاء حقيقة فيه . فمعانيه خمسة : الكتبة ومحلهم والدفتر وكل كتاب ومجموع الشعر » . والديوان في الأصل الكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية. وأول من وضعه عمر . ويرى علماء اللغة ان اللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وان كسرى كان قد رتب الدواوين لكتّابه ولمعاملاتهم ، فلما جاء الاسلام،وظهرت الحاجة الى تنظيم العمل . أمر الخليفة (عمر) باتخاذ الدواوين[1] .

واذا حملنا قول أهل الأخبار انه قد كان عند النعمان بن المنذر « ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته »[2] ، وقولهم ان النعمان ملك العرب كان قد أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج ، وهي الكراريس ، ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد ، قيل له : ان تحت القصر كنزاً ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار[3] ، على محمل الأخبار التي ظهرت في أيام الأمويين ، التي صنعها وروّجها بين الرواة حماد الراوية وأضرابه فإننا نثبت بذلك وجود الدواوين بالمعنى المفهوم من الديوان في أيام (حماد) ، وقبل أيامه . ولدينا أخبار أخرى تفيد ان الدواوين قد عرفت قبل أيام حماد .

ويظهر من قول (ابن سلام) : « وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون واليه يصيرون . وقال ابن عوف عن ابن سيرين ، قال : قال عمر بن الخطّاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته،فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار،راجعوا رواية الشعر ، فلم يئلوا الى ديوان مُدوّن ، ولا كتاب مكتوب ... »[4] أن الدواوين لم تكن موجودة ، وأن الشعر لم يكن مكتوباً في صدر الإسلام ، ولهذا ضاع أكثر الشعر الجاهلي بسبب انهماك حفّاظه في الحروب

---

١ تاج العروس (٩/٢٠٤) ، (دون) ، غرائب اللغة (٢٢٩) .
٢ طبقات الشعراء (١٠) ، المزهر (٢/٤٧٤) .
٣ الخصائص (١/٣٩٣) ، تاج العروس (٢/٧٠) ، (طنج) ، اللسان (٣/١٤٢)، (طنج) .
٤ ابن سلام ، طبقات (١٠) .

وهلاك بعضهم فيها ، ومنها حروب الردّة ، التي هلك فيها جمع من حفاظ الشعر من مسلمين ومن مشركين .

ويظهر مثل ذلك من رواية يرجع سندها الى (ابن سلام) تذكر أنه « كان الرجلان من بني مروان يختلفان في الشعر فيرسلان راكباً فينخ ببابه يعني قتادة بن دعامة ، فيسأله عنـــه ثم يشخص »[1] ، ويظهر من هذه الرواية إن صحت أن (قتادة) ، كان من الحافظين للشعر ، وقد عرف بأنه كان صاحب علم بأيام العرب وأنسابها وأحاديثها[2] ، وله أخبار في تفسير القرآن[3] ، ونعت بأنه كان من الحفاظ ، قال عنه (السيوطي) : « ولم يأتنا عن أحد من العرب أصح من شيء أتانا عن قتادة »[4] . وهو من التابعين ، روي عـــن أنس وابن المسيب ، والحسن البصري ، وروى عنه (سعيد بن أبي عروبة)[5] . وقد ضرب الجاحظ به المثل في الحفظ ، إذ قال : « كان يقال ، زهد الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة ، وكلهم من البصرة »[6] . ويظهر أنه كان يروي الإسرائيليـــات[7] . وجمع (سليمان بن عبد الملك) بين قتادة والزهري ، فغلب (قتادة) (الزهري) ، فقيل لسليمان في ذلك ، فقال : إنه فقيه مليح . فقال القحذمي[8] : لا ، ولكـــنه تعصب للقرشية ، ولانقطاعه كان اليهم ، ولروايتـــه فضائلهم[9] . وقد عرف بالنسب[10] ، وهو أحد رواة (رسالة عمر بن الخطاب) الى (أبي موسى) الأشعري في أصول القضاء[11] .

---

١ ابن سلام ، طبقات (١٧ وما بعدها) ، المزهر (٢/٣٣٤) .
٢ ابن سلام ، طبقات (١٨) .
٣ المزهر (١/٢٩) .
٤ المزهر (٢/٣٣٤) .
٥ المصدر نفسه (حاشية ١) .
٦ البيان والتبيين (١/٢٤٢) ، ثمار القلوب (٩٠) .
٧ البيان والتبيين (١/١٠٤ ، ٢٥٨) ، عيون الاخبار (٢/١٧٩) .
٨ القحذمي : أبو عبد الرحمن بن هشام بن قحذم القحذمي ، من أهل البصرة توفي سنة (٢٢٢) ، لسان الميزان (٦/٢٢٧) .
٩ البيان والتبيين (١/٢٤٣) .
١٠ البيان والتبيين (١/٣٥٦) ، الحيوان (٣/٢١٠) .
١١ البيان والتبيين (٢/٤٨) .

وروى (الجاحظ) « ان رجلاً قتل أخوين في نقاب ، أحدهما بعالية الرمح ، والآخر بسافلته . وقدم في ذلك راكب من قبل بني مروان على قتادة يستثبت الخبر من قبله ، فأثبته »[1] . وهو يروى عن (ابن عباس)[2] ، وعن (أبي موسى)[3] ، ويظهر من الأخبار المنسوبة اليه انه من طراز القصاص ، الذين يروون الأخبار من دون نقد[4] .

وورد ان الخطاط الشهير (خالد بن أبي الهيجا) ، وهو أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ، وكان من أحسن الخطاطين في زمانه ، كتب «المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك »[5] . واذا صح هذا الخبر ، نكون قد وقفنا على جمع قديم للشعر ، هو في مقدمة المجموعات القديمة للشعر .

لكننا نجد في رواية تذكر ان حماداً الراوية سرق جزءاً من أشعار الأنصار ، فقرأه فاستحلاه وحفظه ، فمن ثم صار يطلب الأدب ويحفظ الشعر[6] . وهي رواية أشك في صحتها ، يظهر انها من موضوعات أعداء حماد ، ولو صحت لكانت دليلاً على وجود ديوان شعر ضم شعر الأنصار . كما نجد في خبر استدعاء (الوليد بن يزيد) له وإرساله اليه بمائتي دينار ، وأمره عامله (يوسف بن عمر) أن يحمله اليه على البريد ، وقوله في نفسه : « لا يسألني إلا عن طرفيه: قريش وثقيف : فنظرت في كتابي قريش وثقيف . فلما قدمت اليه سألني عن أشعار بلى »[7] ، دلالة على وجود ديوانين كانا عند (حماد) أحدهما ديوان شعر قريش ، والآخر ديوان شعر ثقيف . غير اننا لا نستطيع التأكد من صحة هذا الخبر ، وإن كنت لا أستبعده أيضاً ، لظهور التدوين قبل هذا العهد ، في أيام معاوية مثلاً .

واذا صح ما ذكره (ابن النديم) من قوله : « قال أبو العباس ثعلب جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ورد

---

١ البيان والتبيين (٣/٢٧) .
٢ الحيوان (١/١٨٠) .
٣ الحيوان (١/٢٩٦) .
٤ الحيوان (٥/٥٣٦ ، ٥٣٧) ، (٤/٢٩٣ وما بعدها) .
٥ الفهرست (١٥) ، (خطوط المصاحف) .
٦ الاغاني (٥/١٦٣) .
٧ الاغاني (٦/٩٤) .

الديوان الى حماد وجناد »[1] ، فيكون معنى ذلك ، انه قد كان عند (حماد) و (جناد) ديوانان أو دواوين للشعر ، استعارهما منهما (الوليد) ، وجمع منهما ديوان العرب وأشعارهم ، ثم أعاد الديوانين الى صاحبيهما،ونكون بذلك قد وقفنا على وجود لفظة (ديوان) بالمعنى الاصطلاحي المعروف في أيام الأمويين، ووثقنا من وجود دواوين الشعر في تلك الأيام .

ولم أجد في الدواوين التي وصلت الينا أو في كتب الأدب إشارات الى اقتباس رواة الشعر وحفظته وجماعه والمعنيين به من هذا الديوان ولا وصفاً لمحتوياته ولما كان بين دفتيه من قصائد وأشعار . ولو وصل الينا شيء من هذا ، لأفادنا ولا شك كثيراً في التعرف على ذلك الديوان الملكي الذي يجب أن نعده أول ديوان شعر عربي وصل خبره الينا بكل تأكيد حتى الآن .

ويذكر أن بعض شعراء العصر الأموي كانوا يملكون دواوين شعر لشعراء جاهليين . ذكر مثلاً أن (الفرزدق) كان يمتلك نسخة من ديوان الشاعر (زهير ابن أبي سلمى)[2] .

وقد أطلق القدماء مصطلح (دفاتر أشعار العرب) على مدوّنات الشعر . والدفتر جماعة الصحف المضمومة[3] ، وقسم (البغدادي) هذه الدفاتر الى قسمين: دواوين ومجاميع . فالدواوين ، هي دواوين الشعراء ، والمجاميع مثل أشعار بني محارب للشيباني ، والمفضليات للمفضل الضبي ، وأشعار الهذليين للسكري، وأشعار لصوص العرب للسكري ، ومختار شعر الشعراء الست : امرىء القيس ، والنابغة، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة وشرحها للأعلم الشنتمري وغيرها[4] .

ويظهر أن أول اختيار مدوّن للشعر عند العرب،كان القصائد المعروفة بالمعلقات اختارها حماد الراوية ، ثم سار من جاء بعده مثل (المفضل) الضبي ، وأبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، ثم من جاء بعدهما على منهجه في اختيار وانتقاء الشعر والقصائد وجمعها في مجموعات . وقد ذكر (الجمحي) أن (حماداً)

---

١ الفهرست (١٤٠) .
٢ بلاشير (١٠٦) .
٣ تاج العروس (٣/٢٠٩) ، (دفتر) ، المصون (٤) .
٤ خزانة الادب (١/٩ وما بعدها) ، (بولاق) .

« كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ... وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار »[1] .

ولم أجد في الكتب المطبوعة التي تحدثت عن حماد ما يفيد اشتغال حماد بتدوين الشعر وإثباته في دواوين . وفي الفهرست عبارة تقطع بعدم ورود كتاب ولا ديوان كان من تأليف حماد أو جمعه ، إذ يقول : « ولم يُرَ لحماد كتاب ، وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده »[2] . ويفهم بالطبع من كلام (ابن النديم) هذا ان حماداً كان راوية حسب ، يروي للناس ما حفظه من شعر دون أن يعتني هو نفسه بإثباته لما يحفظه في حروف وكلمات . غير انه يجب الاحتراز كثيراً في الأخذ برواية ابن النديم هذه ، إذ لا يعقل إهمال حماد ترتيب ما كان يحفظه من شعر كثير ، وتدوينه وإملاءه . وقد أهمل ابن النديم أسماء كتب عديدة لمؤلفين معروفين ، كما ذكر أسماء علماء لم يشر الى مؤلفات لهم ، مع ان غيره أشار الى مؤلفاتهم ، وقد وصلت بعض منها الينا وطبعت ، فـــلا أستبعد أن يكون قول ابن النديم هذا من هذا القبيل .

ومما يقوي هذا الرأي ويؤيده ، ما ورد في مختارات (ابن الشجرى) عن أبي حاتم السجستاني من وجود كتاب لحماد الراوية ، إذ قال : « قال أبو حاتم: هذا آخرها ، وفي كتاب حماد الراوية زيادة » ، وقوله : « قال السجستاني : وفي كتاب حماد الراوية زيادة بعد هذا البيت أربعة أبيات ، كتبتها ليعرف المصنوع »[3]. وقد أورد ابن الشجرى قولَيْ السجستاني عند إيراده شعر الحطيئة. وكان السجستاني قد أشار الى كتاب حماد هذا ، لوجود أبيات فيه لم يجدها في رواية الأصمعي التي اعتمد عليها لشعر الحطيئة . وقد أورد تلك الزيادات ، ذاكراً انها مع ذكره لها من المصنوعات المردودات[4] .

وفي عبارة (ابن النديم) : « ولم يُرَ لحماد كتاب ، وإنما روى عنه الناس

---

١ طبقات ، لابن سلام (١٤) .
٢ الفهرست (ص ١٣٥) ، « أخبار حماد » .
٣ مختارات ابن الشجري ، القسم الثالث (ص ١٢ ، ١٦) ، « تحقيق محمود حسن زناتي » ، القاهرة ١٩٢٦ م .
٤ المورد المذكور .

وصنفت الكتب بعده »[1] ، هفوة . فقد ذكر (ابن النديم) نفسه حين كلامه عن (عوانة) ، أن الخليفة (الوليد بن يزيد) « جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ... ورد الديوان الى حماد وجناد »[2] ، وفي هذه الإشارة دلالة على أنه كان لحماد ديوان ، ثم نجده يذكر أنه كان لعوانة بن الحكم كتاب التأريخ ، وكتاب سيرة معاوية وبني أمية ، وقد توفي (عوانة) سنة (١٤٧هـ) ، أي قبل (حماد) المتوفى سنة (١٥٦م)[3] ، ونجده يذكر لعبيد بن شرية الجرهمي كتاب الأمثال ، ويذكر لصحار العبدي كتاباً في الأمثال كذلك ، وقد عاشا قبل عوانة وحماد[4] .

ودواوين الشعر أنواع : فقد يكون الديوان مجموع شعر شاعر واحد . وقد يكون مجموع شعر شعراء قبيلة ، أو مجموع شعر قبائل ، أو شعر جماعة مثل الأنصار ، وقد يكون مجموع شعر شعراء ، جمعت أشعارهم على شكل طبقات، أو فن امتازوا به ، أو اختيارات أو أسباب أخرى تذكر في مقدمة الدواوين . ومن النوع الأول دواوين بعض الشعراء الجاهليين ، مثل ديوان امرىء القيس ، وديوان النابغة الذبياني ، وديوان عنترة ، وديوان المتلمس وغيرهم . وقد يجمع ديوان شاعر واحد عدة علماء ، فيرد الديوان بروايات مختلفة . وقد تختلف النسخ في ترتيب أبيات القصيدة ، وفي عدد القصائد ، وقد تزيد بعضها أشعاراً ، وقد تنقص بعض منها أشعاراً ، وقد تختلف نسخ الديوان الذي هو من جمع عالم واحد ، بسبب أن العلماء كانوا يملون علمهم املاءً على تلامذتهم ، في مجالس املائهم ، فيقوم تلامذتهم بتدوين ما يملى عليهم . ويحدث أن العالم يسمع كتابة من بعض طلابه أو من كتابه ، فيصحح فيه،وقد يزيد عليه ما فات عن ذاكرته يوم إملائه في المرة الأولى ، فيأمر بتدوينه ، وقد يحذف منه شيئاً ، لم يرض عنه ، فتتعدد بذلك النسخ ، ويحدث ذلك في الكتب الأخرى ومن هنا تتعدد الروايات للديوان أو للكتاب ، مع أن جامعه أو مؤلفه رجل واحد .

وقد يأخذ الطالب هذا الديوان ، ثم يزيد عليه ما يسمعه من شيوخ آخرين ،

---

١ الفهرست (ص ١٣٥) ، (أخبار حماد) ، (١٤٠) ، (الاستقامة) .
٢ الفهرست (١٤٠) ، (أخبار عوانة) .
٣ الفهرست (١٤٠) .
٤ الفهرست (١٢٨) .

وقد يعلق عليه ويزيد على شرحه ، شروحاً سمعها من رجال آخرين . وبذلك تتولد نسخ جديدة ، تختلف عن النسخ الأم[1] .

وقد جمع العلماء دواوين الشعراء ، وقد وصل بعض منها ، وفقد البعض الآخر . وقد ذكر (العيني) انه كان قد حصل على ما ينيف على مائة ديوان شعر ،من بينها ديوان امرىء القيس،وديوان النابغة الذبياني ، وديوان علقمة بن عبدة التميمي ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، وديوان طرفة بن العبد ، وديوان عنترة ابن شداد العبسي ، وديوان الأعشى ميمون ، وديوان الحطيئة ، وديوان أبي دؤاد، وديوان كعب بن زهير ، وديوان لبيد العامري ، وديوان الشنفرى ، وديوان الحارث بن حلزة ، وديوان أبي ذؤيب الهذلي ، وديوان أبي كبير الهذلي ، وديوان ساعدة بن جؤية الهذلي ، وديوان أبي خراش الهذلي ، وديوان أبي المثلم ، وديوان صخر الغي ، وديوان المتنخل ، وديوان أبي العيال ، وديوان السموأل ابن عادياء ، وديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، وديوان عمرو بن قميئة ، وديوان عمرو بن كلثوم ، وديوان أوس بن حجر ، وديوان النمر بن تولب ، وديوان أبي[1] الطمحان القيني[2] ، وغير ذلك من دواوين لم أشر اليها . ومما يؤسف له انه لم يذكر أسماء رواة هذه الدواوين .

ومن النوع الثاني ، دواوين القبائل ، أو أشعار القبائل ، وقد ضمت شعر شعراء قبيلة أو شعر بعض من شعرائها ، ممن اشتهر وعرف ، وتحتوي بالإضافة الى الشعر كلاماً يتصل بالشعر وبالشاعر وبالمناسبة التي قيل الشعر فيها ، وبنسب الشاعر وقبيلته ، على نحو ما نجده في الدواوين الخاصة ، فتكون بذلك وثائق مهمة جامعة لأمور شتى من حياة الجاهليين . وقد سميت هذه المجموعات بأشعار القبائل ، مثل : « أشعار الأزد » ، وأشعار حمير ، وأشعار الرباب ، وأشعار بني عامر بن صعصعة ، وأشعار فهم ، وشعر بني يشكر ، وأشعار بني عوف ابن همام ، وشعر هذيل[3] . وأشعار تغلب للسكري ، وقد رجع اليه (البغدادي)[4].

---

١ راجع في هذا الباب مصادر الشعر الجاهلي ، الباب الخامس وما بعده . (ص ٤٧٩ فما بعدها) .

٢ (٤/٥٩٦) ، (حاشية على الخزانة) .

٣ مصادر الشعر الجاهلي (ص ٥٤٣ وما بعدها) .

٤ خزانة (١/٣٠٤) .

وقد هلك أكثر ما جمع من أشعار القبائل ، ولم يصل الينا مطبوعاً من هذه المجموعات إلا ديوان هذيل ، وأكثر شعراء هذا الديوان إسلاميون . وقد نال شعراء هذيل بذلك حظاً من العناية، كما نشرت لشعراء هذه القبيلة جملة دواوين[1] .

وقد أطلق (ابن النديم) جملة (أشعار العرب) على معنى ديوان أشعار العرب ، فذكر مثلاً ان (الأصمعي) ، عمل « قطعة كبيرة من أشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء لقلة غربتها واختصار روايتها »[2] ، وذكر ان (خالد ابن كلثوم) الكلابي ، كان من رواة الأشعار والقبائل ، وله صنعة في الأشعار والقبائل ، وله من الكتب كتاب الشعراء المذكورين وكتاب أشعار القبائل، ويحتوي على عدة قبائل[3] . وذكر ان (أبا عمرو الشيباني) (٢٠٦ هـ) ، كان عالماً بأشعار القبائل ، وقد أخذ العلماء عنه دواوين أشعار القبائل ، وكان قد جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة[4] . وذكر أيضاً انه قد كان في بيت (أبي عبيدة) (٢١٠ هـ) (٢١١ هـ) (٢٠٨ هـ) ، (ديوان العرب)[5] ، ويظهر انه قصد به ديواناً ضم أشعار القبائل . فهو مجموع أشعار شعراء .

ومن النوع الثالث ، أي الكتب التي جمعت أشعار طبقة معينة من طبقات الشعراء أو المجتمع ، ما ذكره (ابن النديم) من أن (أبا العباس ثعلب) ، صنع قطعة من أشعار الفحول وغيرهم ، منهم الأعشى والنابغتان وطفيل والطرماح[6]. ومن أن (أبا بكر محمد بن القاسم) الأنباري ، وهو ممن أخذ عن (ثعلب) ، كان قد عمل عدة دواوين من أشعار العرب الفحول ، منه شعر زهير ، والنابغة، والجعدي ، والأعشى[7] . وقد عمل (محمد بن حبيب) قطعة من أشعار العرب ، وكتاباً سماه : (كتاب أخبار الشعراء وطبقاتهم)[8] ، وألف (ابن سلام) (٢٣١هـ)

---

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٨٢ وما بعدها) .
٢ الفهرست (٨٩) .
٣ الفهرست (١٠٤) .
٤ الفهرست (١٠٧) .
٥ الفهرست (٨٥) .
٦ الفهرست (١١٧) .
٧ الفهرست (١١٨) .
٨ الفهرست (١٦١) .

كتاباً في طبقات الشعراء ، عرف بـ (طبقات الشعراء) ، وهو مطبوع معروف. ولعمر بن شبة كتاب في الطبقات اسمه : (كتاب طبقات الشعراء)[1] .

هذا ونقرأ في كتاب (الفهرست) لابن النديم ، وفي مؤلفات أخرى أن من العلماء من ألف كتباً في القبائل ، مثل: « كتاب الأوس والخزرج » لأبي عبيدة[2]: وكتاب إياد ، وكتاب كنانة ، وكتاب بني نهشل ، وكتاب بني محارب ، وكتاب بني الحارث ، وكتاب بني مرة ، وأشعار حمير ، وكتاب بني القين ابن جسر ، وكتاب بني حنيفة وغيرها من كتب كان (الآمدي) قد رجع اليها وأخذ منها . وقد درست هذه الكتب ، ولم يتحدث (الآمدي) بشيء عما احتوته ، لذلك لا نستطيع أن نتحدث عن موضوعاتها ، بيد أن (الآمدي) يشير أحياناً ، الى مواضع اقتبس منها بعض الأشياء ، لها صلة بالشعر والشعراء ، مما يحملنا على القول بأن الكتب المذكورة كانت في الشعر : في شعر القبائل ، وفيمن نبغ بينها من شعراء ، كما يشير الى أمور أخذها من هذه الموارد التي لم يشر الى أسماء مؤلفيها ، تدل على أنها خاصة بأخبار القبائل وأنسابها ، ونظراً الى ورود أسماء قسم من هذه المؤلفات التي لم يذكر (الآمدي) أسماء مؤلفيها في (الفهرست) لابن النديم ، وفي موارد أخرى نقلت منها وأشارت الى أسماء مؤلفيها ، فإن في الإمكان التعرف بهذه الطريقة على أسماء مؤلفي تلك الكتب . وقد أشار (الآمدي) الى أسماء المؤلفين وأسماء مؤلفاتهم التي استقى أخباره منها في مواضع أخرى .

وعلى كثرة ما ألّف من دواوين ، فإننا لا نملك منها سوى قسم قليل من ذلك الكثير . ويرى (بلاشير) ان الدواوين القديمة المهمة لا تحتوي وسطياً أكثر من عشرين صفحة ، وان أطولها كدواوين النابغة وزهير وامرىء القيس لا تتجاوز أبداً الثلاثين صفحة في الأصل ، غير ان المتأخرين زادوا فيها قصائد ومقطعات عثروا عليها في موارد أخرى ، فتضخمت تلك الدواوين حتى صارت أضعاف ما كانت عليه في الأصل[3] .

وجمع بعض علماء الشعر أشعار طوائف من المجتمعات مثل شعر اللصوص ،

---

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٤٤) .
٢ الفهرست (٨٦) .
٣ ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (١٦٢) .

فللسكري ديوان دعاه : أشعار لصوص العرب . ومثل شعر الصعاليك ، وشعر الشعراء المغتالين ، وأخبار من نسب الى أمه من الشعراء ، وأخبار المتيمين من الشعراء في الجاهلية وفي الاسلام ، الى غير ذلك من مؤلفات في أخبار الشعراء وفي شعرهم[1] .

ويظهر أن مؤلفي الدواوين لم يحفلوا في أيامهم بموضوع شرح المناسبات التي من أجلها نظم الشعر ، ولهذا جاءت خالية في الغالب من ذكر المناسبة ، وهي إذا ذكرتها فإنما تذكرها بإيجاز واختصار . أما الشروح التي قد ترد في الديوان، فإنها شروح لغوية ونحوية في الغالب ، لم تتمكن من تقديم صورة واضحة عن الشاعر وعن المناسبات التي من أجلها نظم الشعر . وقد انبرى علماء آخرون بشرح هذه الدواوين ، إلا أن شروحهم لم تخرج أيضاً عن مألوف ذلك الزمن من الاهتمام باللغة والنحو وجمع الشواهد والنادر والغريب ، فضاع التأريخ نتيجه لهذه الطريقة .

وقد ذكر (ابن النديم) أن شعر (امرىء القيس) قد عمله جملة علماء ، منهم أبو عمرو الشيباني ، والأصمعي ، وخالد بن كلثوم ، ومحمد بن حبيب ، وأبو سعيد السكري الذي صنعه من جميع الروايات . وقد صنعه أبو العباس الأحول ولم يتمه وعمله ابن السكيت[2] . ويلاحظ أن جامعي هذه الدواوين لم يشيروا الى المورد الذي استقوا منه شعرهم . صحيح ان منهم من ذكر السند، إلا انه لم يذكر كيف حصل المرجع الذي ينتهي السند عنده على هذا الشعر . ولم يحفل الرجال الذين تنتهي الأسانيد بهم بذلك ، مع أن لذكر السند كاملاً أهمية كبيرة بالنسبة للمؤرخ . إذ نتمكن بهذا التشخيص من الوقوف على معين هذا الشعر .

وقد دوّن (ابن النديم) جريدة بأسماء علماء الشعر الذين اشتغلوا بعمل دواوين الجاهليين . وقد استعمل لفظة (صنع) و (عمل) و (صنعة) في معنى (جمع) و (ألف) و (تأليف) . واستعمل جملة « صنعه من جميع الروايات » بعد اسم الجامع وقبل اسم الشاعر للإشارة الى ان جامع الديوان قد اعتمد على المجموعات

---

١ الخزانة (١/١٠) ،(بولاق) راجع الفهرست لابن النديم ، حيث تراه يذكر أسماء مؤلفات عديدة بهذا الموضوع .

٢ الفهرست (٢٢٩) .

الشعرية التي صنعت قبله ، وأوجد من مجموعها ديوانه . فقد تقدم رواية قصيدة على قصيدة ، وقد تؤخر أخرى قصيدة متقدمة ، فتقدم عليها قصيدة متأخرة ، وقد يقدم ديوان بعض أبيات قصيدة ، وقد يرتبها ديوان آخر ترتيباً آخر ، لاعتماده على مورد آخر ، روى القصيدة بصورة أخرى ، وقد يذكر ديوان شعراً وقطعاً وقصائد أو قصيدة لا تكون موجودة في الدواوين الأخرى أو في بعض منها،ولهذا يأتي جامع جديد ، تقع عنده تلك الدواوين،أو تكون عنده كتب شواهد ونوادر وأخبار ، فيها من شعر الشاعر ما لم يرد في ديوانه فيضمه اليـــه ، ويكون من المجموع ديواناً جديداً ، برواية جديدة ، تنسب اليه ، كما فعـــل (السكري) بالنسبة لشعر امرىء القيس .

ومن أعرف من اشتغل بجمع أشعار القبائل : أبو عمرو الشيباني ، وخالد بن كلثوم ، والطوسي ، والأصمعي ، وابن الأعرابـي ، ومحمد بن حبيب[1] . ونظراً لحفظهم أشعار القبائل ، حفظوا بالطبع أشعار الشعراء الجاهليين، وحملهم ذلك على جمع أشعارهم في دواوين خاصة . وقد أضاف (ابـــن النديم) عليهم ، اسم (ابن السكيت) ، وثعلب[2] . وكان (الطوسي) عدواً لابن السكيت ، لأنهما أخـذا عن (نصران) الخراساني ، واختلفا في كتبه بعد موته . وكانت كتب نصران لابن السكيت حفظاً وللطوسي سماعاً »[3] .

ولم يرتب صناع الدواوين الشعر على حسب الترتيب الزمني ، وإنما رتبوه على ترتيب القوافي ، أي وفقاً لترتيب أبجدية القوافي . وقد يسر هذا الترتيب للقارىء الرجوع الى الشعر الذي يريده ، لكنه حرمه من شيء ثمين جداً ، هو معرفـــة زمن نظم الشعر . وللزمن أثر كبير في الوقوف على تطور شعر الشاعر ، وعـلى مدى تقدمه أو تأخره في نظم الشعر ، كما حرمه من الوقوف على العوامل التأريخية التي أثرت على الشاعر وعلى مجتمعه فدفعتـــه على نظم شعره . ومع وجود بعض المراجع المساعـــدة من مثل كتب الأخبار والأدب والشواهد ، فإن هنالك أموراً تأريخية تخص الشعراء الجاهليين والشعر الجاهلي ، بقيت خافية علينا ، بسبب عدم

---

١ الفهرست (٢٢٩) ، (المقالة الرابعة) .

٢ الفهرست (٢٣٠) .

٣ الفهرست (١١٢ وما بعدها) .

اهتمام علماء الشعر آنذاك بموضوع ترتيب الشعر ترتيباً زمنياً ، ولعدم اهتمامهم بذكر أسباب نظم كل بيت أو قطعة أو شعر ، أو قصيدة ، مع بيان الزمن الذي نظم الشاعر فيه شعره .

وقد ظهر قوم دوّنوا الشعر في الصحف ، وقرأوه منها ، ونظراً لمكانة الحفظ عند العلماء ، ولقياسهم علم الإنسان بمقدار حفظه ، لا بما كان يشرحه أو يفسره من الصحف والكتب ، لذلك لم ينظر إلى مدوّني الصحف نظرة تجلة وتقدير ، لأنهم في نظرهم قراء صحف لا غير . قال (ابن قتيبة) : « يرويه المصحفون والآخذون عن الدفاتر »[1] ، ذكر ذلك في معرض الاستخفاف بعلمهم ، لكونهم لا يميزون بين الشعر الصحيح من الفاسد ، والرديء من الجيد ، لأنهم يقرأون عن صحف ، وينطقون بحروف وكلم مكتوبة ، لا عن فهم ودراية مثل رواة الشعر ، الذين خزنوا علمهم في أدمغتهم ، فإذا سُئلوا عن شيء أجابوا عن روية وفكر ، لا عن صحيفة مكتوبة .

وقد ساعدت الكتب المؤلفة في أخبار القبائل مساعدة كبيرة في جمع الشعر الجاهلي ، ونجد في كتاب (الفهرست) لابن النديم أسماء مؤلفات كثيرة ، في القبائل ، وفي أمور أخرى لها صلة بالشعر ، ذكرها أثناء تحدثه عن الأشخاص الذين ذكرهم في كتابه . وقد هلكت أكثر المؤلفات المذكورة ، ولكننا نجد نقولاً منها في بعض الكتب التي كتب لها البقاء والتي قدر لها أن تطبع .

ولا أجد في نفسي حاجة الى ذكر الموارد الأخرى التي أفادتنا كثيراً في جمع الشعر الجاهلي وفي الوقوف عليه ، لأن لقارىء هذا الكتاب إلماماً بها ، قد يزيد على إلمامي بها . وعلى رأس هذه الموارد كتب الأدب ، مثل مؤلفات الجاحظ ، وكتاب الأغاني للأصبهاني ، وكتب الأمالي والمجالس وغيرها ، ففي هذه الموارد مادة قد لا نجدها في كتب الشعر ، وقد ذكرت أسماء مصادر قديمة نقلت منها لا نعرف اليوم من أمرها شيئاً .

ولا بد من الإشارة أيضاً الى كتب النحو والشواهد ، فقد جاءت بأشعار جاهلية استشهد بها على إثبات قاعدة نحوية ، أو شاهد رأي جاء به عالم لإثبات

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٨) .

رأيه في موضوع لغوي أو نحوي . وقد نص على اسم أو أسماء الشعراء في بعض الأحيان ، ولم ينص على الأسماء في أحيان أخرى . وقد يمكن معرفة بعض الأشعار التي لم ينص على اسم قائلهـــا ، بالرجوع الى المـــوارد الأخرى التي نسبتها الى قائليها ، غير ان الحظ لا يساعد في أحيان أخرى على معرفة اسم قائل الشاهد ، لعدم وجوده في موارد أخرى . وقد يكون شاهداً مفتعلاً ، فلا يمكن التوصل الى أصله بالطبع .

الفصل الخامس والخمسون بعد المئة

الشعر المصنوع

ليس البحث في معرفة المصنوع من الشعر ، وفي أسباب وضعه ، من البحوث الجديدة ، التي أوجدها المستشرقون ، أو من أخذ عنهم من الباحثين المحدثين ، بل هو بحث قديم ، أتقنه أهل الجاهلية ، وأخذه عنهم أهل الإسلام . وفي هذا المعنى قال الشاعر الشهير (الحطيئة) : « ويل للشعر من الرواة السوء »[1] . فرواة الشعر ، آفة بالنسبة للشعر وللشعراء ، قد يزيدون فيه ، وقد ينقصون ، وقد يصحفون ، وقد يفتعلون ويصنعون الشعر على ألسنة غيرهم ، ولو لم يكن هذا المرض معروفاً في أيام الحطيئة وقبلها لما ورد هذا القول عنه .

ومعنى انتحله وتنحله ادعاه لنفسه ، وهو لغيره . يقال : انتحل فلان شعر فلان أو قوله ادعاه انه قائله ، وتنحله ادعاه وهو لغيره . قال الأعشى :

فكيف أنا وانتحال القوا ... في بعد المشيب كفى ذاك عارا
وقيدني الشعر في بيته ... كما قيد الأسرات الحمارا

« ويقال نحل الشاعر قصيدة ، اذا نسبت اليه ، وهي من قبل غيره . ومنه حديث قتادة بن النعمان : كان بشير بن أبيرق يقول الشعر ويهجو به أصحاب

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٣٩) ، (دار الثقافة ، بيروت) .

النبي صلى الله عليه وسلم ، وينحله بعض العرب »[1] . ولم يكن (بشير) أول من فعل ذلك بالطبع من العرب، فهناك غيره ممن سبقه وممن عاش في أيامه صنعوا صنيعه في نحل الشعر وإضافته الى الشعراء لمآرب مختلفة . ويظهر من الشعر المتقدم المنسوب الى الأعشى ، انه قد اتهم بانتحال الشعر ، بأخذ شعر غيره وادعائه لنفسه ، فنفى عنه تلك التهمة .

ويروى ان (النعمان بن المنذر) ، كان يرى به هذا الرأي ، فقد ذكروا انه قال له : « لعلك تستعين على شعرك هذا ؟ فقال له الأعشى : احبسني في بيت حتى أقول ، فحبسه في بيت ، فقال قصيدته التي أولها :

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطّت على ذي هوى أن تزارا »

ثم ذكر فيها البيتين المتقدمين[2] . وورد ان الذي قال له ذلك ، هو (قيس ابن معديكرب) الكندي[3] .

وكان السطو على الشعر ، معروفاً في الجاهلية كما كان معروفاً في الإسلام . قال الفرزدق :

إذا ما قلتُ قافيةً شروداً تنحّلها ابن حمراء العِجان

وقال ابن هرمة :

ولم أتنحل الأشعارَ فيهـا ولم تُعْجِزني المِدَحُ الجياد[4]

يقال تنحل الشاعر قصيدة ، إذا نسبها الى نفسه ، وهي من قبل غيره . قال يزيد بن الحكم :

ومسترق القصائد والمضاهي سواء عند علاّم الرجال[5]

---

١ تاج العروس (٨/١٢٩) ، (نحل) ، اللسان (١١/٦٥١) ، (نحل) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٨٠ وما بعدها) ، ديوانه (رقم ٤١) .
٣ الشعر والشعراء (١/١٨٠) ، (حاشية رقم ٦) .
٤ تاج العروس (٨/١٢٩) ، (نحل) ، اللسان (١١/٦٥١) ، (نحل) .
٥ تاج العروس (٨/٤٠٥) ، (علم) .

ويقال ان (الأعشى) ، وضع في شعره ان (هرم بن قطبة) حكم لعامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة ، وتزيد بذلك على (هرم) ، وأشاعه بين الناس[1] . والتزيد تكلف الزيادة في الكلام وغيره . وورد ان من الشعراء الجاهليين من كان ينتحل شعر غيره ، أو يجتلب منه . قال الراجز :

يا أيها الزاعم أني أجتلب وأنني غير عضاهي أنتجب
كذبت إنّ شر ما قيل الكذب![2]

فهو ينكر انه يجتلب الشعر من غيره . واجتلب الشاعر ، اذا استوق الشعر من غيره واستمده . قال جرير :

ألم يعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا

أي لا أعيا بالقوافي ولا اجتلبهن ممن سواي ، بل أنا في غنى بما لدي منها[3] .

وقد نحل على الأعشى ، فنسب له الرواة ما ليس من شعره ، مثل قصيدته التي قالها في مدح (سلامة ذا فائش) ، فقد روى (ابن قتيبة) الأبيات الأربعة الأولى منها ، ثم قال : « وهذا الشعر منحول ، لا أعرف فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

يا خير من يركب المطي ولا يشرب كأساً بكف من بخلا »[4]

وروي عن (الخليل) قوله : « إن النحارير من العرب ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ، إرادة اللّبس والتعنيت »[5] . وحمل الكلام على الغير شيء مألوف ، كما أن أخذ شخص كلام غيره وادعائه لنفسه شيء مألوف كذلك . وقد اشار جهابذة العلماء الى أن في الشعر مصنوعاً وفيه مفتعل موضوع . وهو كثير لا خير فيه ولا حجة في عربيته . وقد انبرى له العلماء فنقدوا الشعر

---

١ مصطفى صادق الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/٣٦٥ وما بعدها) .
٢ المصدر نفسه (١/٣٦٦) .
٣ تاج العروس (١/١٨٤) ، (جلب) .
٤ الشعر والشعراء (١/١٥) ، ديوان الأعشى (٢٣٢ وما بعدها) ، (القصيدة رقم ٢٥) .
٥ المزهر (١/١٧١) .

لاستخراج الصحيح منه من الفاسد ، وتمكنوا قدر إمكانهم من ضبط بعض الفاسد المنحول ومن الإشارة اليه[1] . قال (ابن سلام) : « وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم ، أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال »[2] .

وقد ذكروا أن قوماً تداولوا هذا الشعر المصنوع « من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفي »[3] . فقياس الصحة في نظرهم ، هو الرواية والأخذ عن أهل البادية ، وقول علماء الشعر في الشعر ، أما الشعر المدوّن والمنقول من الصحف ، فلا قيمة له ، مع أن التدوين أصدق وأكثر صحة من النقل والرواية ، وإذا كانوا قد خافوا التزوير في التدوين ، فإن التزوير في الرواية لا يقل خطراً عن التزوير في التدوين . وقد عدّوا الصحفيين ، قوماً لا علم لهم بالشعر ، وإنما هم نقلة ، يقرأون ما هو مكتوب ، وليس في القراءة دليل على علم[4] ، وذلك لأنهم كانوا يصحفون في القراءة ، ويلحنون ، بينما الراوية الذي يعتمد على علمه وعلى حافظته وعلى ذوقه وطبعه ، لا يصحف ولا يقع في اللحن ، ولهذا قيل لهؤلاء الصحفيين المصحفين .

« قال خلاّد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز — وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله — بأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى ؟ قال له : هل تعلم أنت منها ما انه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا تنكر أن يعرفوا من ذلك ما لا تعرفه أنت . وقال قائل لخلف : اذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك. فقال له: اذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته ،

---

١ المزهر (١/١٧١) .
٢ طبقات (١٤) .
٣ المزهر (١/١٧١) .
٤ المزهر (١/١٧٤) .

فقال لك الصراف : انه رديء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ »[1] .

وقد افتخر رواة الشعر بأنفسهم ، وزعموا انهم أكثر فهماً في النقد من رواة الحديث ، قال (يحيى بن سعيد القطان) : « رواة الشعر أعقل من رواة الحديث، لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً ، ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : هذا مصنوع »[2] . يعيبون رواة الحديث على روايتهم الحديث المصنوع ، مع ان وضعهم للشعر لا يقل عن وضع رواة الحديث للحديث على لسان الرسول ، ونقدهم له لا يرتفع كثيراً عن نقد رجال الحديث للحديث .

وقد تعرض (ابن سلام) لموضوع إفساد الشعر ونحله ، فقال : « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل كل غثاء : محمد بن اسحاق مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . وكان من علماء الناس بالسير ، فنقل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها . ويقول : لا علم لي بالشعر ، إنما أوتى به ، فأحمله ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود . أفلا يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاه منذ ألوف من السنين ؟ والله يقول : وأنه أهلك عاداً الأولى وثمودَ فما أبقى . وقال في عادٍ : فهل ترى لهم من باقية . وقال : وعاداً وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله »[3] .

فهو يتهم (ابن اسحاق) بالجهل بالشعر ، وهو جهل استغله صنّاع الشعر فجاءوا اليه بشعر غثاء فاسد ، وبشعر مصنوع ، فأدخله ، وبشعر مفتعل وضع على ألسنة الماضين فقبله . فكان جهله من عوامل إفساد الشعر .

وهذا الشعر بيّن الفساد ، يمكن لكل ذوي عقل رفضه ، ولكن الذي أفسد الشعر وهجنه ، هم علماء الشعر وصناعه من أصحاب الحرفة ، الذين وضعوا على ألسنة الشعراء ، شعراً صعب حتى على نقدة الشعر رده الى أصله ، لأنهم وضعوه وصاغوه على ألسنة الشعراء صياغة محبوكة من نمط الشعر الصحيح المحفوظ عن أهل الجاهلية ، ومن هنا هان عمل (ابن اسحاق) بالنسبة الى عمل (حماد) الراوية و (خلف الأحمر) وغيرهما من صاغة الشعر .

---

١ ابن سلام ، طبقات (٣ وما بعدها) ، المزهر (١/١٧٢ وما بعدها) .
٢ المزهر (١/١٧٥) ، ذيل الأمالي (١٠٥) .
٣ طبقات (٣ وما بعدها) ، المزهر (١/١٧٣ وما بعدها) .

وقال (ابن سلام) : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار ، وليس يُشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولدون ، وانما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال »[1] .

وروى (ابن سلام) خبراً طريفاً من أخبار النحل في الشعر ، فقال : « أخبرني أبو عبيدة ان داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة ، فنزل النحيت ، فأتيته أنا وابن نوح ، فسألناه عن شعر أبيه متمم ، وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته ، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيدفي الأشعار، ويضعها لنا ، واذا كلام دون كلام متمم ، واذا هو يحتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم ، والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علينا علمنا انه يفتعله »[2] .

وتحاشياً من الوضع ، امتحنوا من كان يقدم عليهم ، للأخذ منه ، أو من كان يتصل بهم من الأعراب ، حتى يتأكدوا من أمانتهم ومن علمهم بما سيسألونهم عنه . إذ ثبت عند العلماء بالشعر ان بعض الأعراب كانوا يفتعلون الشعر ويضعون الأخبار ويجيبون عن غير علم . وقد أفرد (أبو العباس) المبرد لبعض منهم باباً خصصه بأكاذيب الأعراب . وبما كانوا يروونه من أساطير وخرافات[3] ، ومع ذلك فقد فات عليهم الكثير من هذه الأكاذيب ، ودخلت كتبهم، ويمكنك التعرض على البعض منه ، من دون حاجة الى بذل مشقة أو جهد .

وقد أورد علماء الشعر امثلة على المصنوع من الشعر من ذلك ما ذكره (أبو عبيدة) من أنه أنشد (بشار بن برد) ، البيت :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

---

١ طبقات (١٤) .
٢ طبقات (١٤) ، المزهر (١/١٧٥) .
٣ المزهر (٢/٥٠٤) ، (أكاذيب الأعراب) .

وهو بيت وضعه (أبو عمرو) الشيباني على لسان الأعشى ، فقال بعلمه بالشعر وبألفاظ العرب : « كأن هذا ليس من لفظ الأعشى »[1] ، وقد كان (بشار) الشاعر المعروف حاذقاً بأشعار العرب ملماً بأساليبهم ، فأدرك بسليقته وبعلمه بشعر الأعشى أن هذا البيت ليس من شعره ، وقد روى الرواة أن (أبا عمرو) هو الذي وضعه على لسان الأعشى ، وأنه اعترف بصنعه له .

وقد جاء (المعري) في (رسالة الغفران) بأمثلة كثيرة من أمثلة الشعر المنحول الذي صنع على ألسنة الشعراء الجاهليين . كما أشار الى التحوير والتغيير الذي أدخله «المعلمون في الإسلام» على الشعر « فغيّروه على حسب ما يريدون »[2].

وروي ان قريشاً كانوا أول من وضع الشعر من القبائل في الاسلام . نظروا الى أنفسهم ، فإذا حظهم في الشعر قليل في الجاهلية ، فاستكثروا منه في الاسلام. قال (ابن سلام) : « وقريش تزيد في أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان »[3] . ولم يكتف القرشيون بإضافة الشعر اليهم ، وباستكثاره ، بل عملوا الشعر على لسان شعراء المدينة للغض منهم ، وذلك لما كان بينهم وبين أهل يثرب من تحاسد يعود الى ما قبل الاسلام . وقد ذكر ان (قتادة بن موسى) الجمحي هجا (حسان بن ثابت) ونحلها (أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)[4] ، صنعوا الشعر الغث الضعيف وأضافوه الى شعراء الأنصار للغض من منزلتهم في الشعر .

وقد أشار (السيوطي) الى أشعار ، ذكر ان علماء الشعر يروون انها من صنع (خلف الأحمر) ، صنعها على ألسنة الشعراء الجاهليين . من ذلك اللامية المنسوبة الى (الشنفرى)[5] ، والقصيدة التي فيها :

خيلٌ صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

---

١ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٣٥ وما بعدها) .
٢ رسالة الغفران (٣١٧ وما بعدها) .
٣ طبقات (٦٢) .
٤ الاصابة (٣/٢١٧) ، (٧٠٧٧) .
٥ طبقات النحويين ، للزبيدي (١٧٨ وما بعدها) ، المزهر (١/١٧٦) .

وقد نسبها للنابغة [1] . والقصيدة التي فيها :

قل لعمرو : يا بن هند لو رأيت القوم شنّا
لرأت عينـــاك منهم كل ما كنت تمنى [2]

كما روى أبياتاً ذكر أنها من صنع (حماد) . من ذلك قصيدة نسبها لهنـــد ابنة النعمان ، من أبياتها :

ألا من مبلغ بكراً رسولاً فقـــد جدّ النفير بعنقفـير

وقد قال الأصمعي ، إنها مصنوعة ، لم يعرفها أبو بردة ، ولا أبو الزّعراء، ولا أبو فراس ، ولا أبو سُريرة ، ولا الأغطش ، وهي مع نقيضة لها أخذت عن حمّاد الراوية [3] .

وروي عن (الأصمعي) قوله : « كل شيء في أيدينا من شعر امرىء القيس فهو عن حمّاد الراوية إلاّ نتفاً سمعتها من الأعراب وأبـي عمرو بن العلاء » [4] .

ومرد نحل الشعر عند (ابن سلام) : إما الى عصبية قبلية ، وإما الى رواة شعر . أما عصبية القبائل ، فقد دوّنت رأيه في سببها . وأما عن رواة الشعر ، فأول المزيفين للشعر في نظره (حماد) الراوية ، الذي قال عنه : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثهـــا حماد الراوية ، وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الأشعار . أخبرني أبو عبيدة عن يونس. قال : قدم حمادٌ البصرة على بلال بن أبـي بردة ، فقـــال ما أطرفتني شيئاً ! فعاد اليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبو موسى . فقال : ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى ، لا أعلم به ، وأنا أروي للحطيئة . ولكن دعها تذهب بين الناس . وأخبرنا ابن سلام ، قال : سمعتُ يونس يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد،وكان يكذب ويلحن ويكسر » [5] . وحماد وأضرابه في نظر (ابن سلام)

---

١ المزهر (١/١٧٧) .
٢ المزهر (١/١٧٩) .
٣ المزهر (١/١٨٠) .
٤ مراتب النحويين (٧٢) ، شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٧٤) .
٥ طبقات (١٤ وما بعدها) .

مزيفون ماهرون يزيفون الشعر ويصنعونه ، فهم أصحاب صنعة محترفون للتزييف ؛ أما (محمد بن اسحاق) ، فإنه في نظره نمط آخر ، نمط رجل جاهل بالشعر ، دفع اليه الناس المصنوع من الشعر وكل غثاء منه ، فحمله ، وأدخله في السيرة ، وحمل الناس عنه الأشعار ، وكان عذره أنه لا علم له بالشعر ، إنما يؤتى به اليه فيحمله ويدوّنه ، ولكنه لامه على هـذا الاعتذار بقوله : « ولم يكن له ذلك عذراً ، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط . وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف السنين ، والله تبارك وتعالى يقول : فقطع دابر القوم الذين ظلموا ... الخ »[1] ، وقد اتهمه غيره بأنه « كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها في كتابه السيرة ، فيفعل فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر ، وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه ، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتابه أهل العلم الأول ، وأصحاب الحديث يضعفونه »[2] . وألحق بهـذا الصنف من رواة الشعر ومدوّنيه جماعة الصحفيين ، الذين لم يكونوا يميزون بين الشعر ، ويحملون كل ما يعطى لهم ، من شعر غث أو زائف ، وقد يصحفون في تدوينه ، لعـدم وجود علم لهم به ، فهم أيضاً في جملة من أفسد الشعر .

و (ابن سلام) الجمحي ، من علماء البصرة ، وأكثر حملة الشعر البصريين يتحاملون عليه ، عصبية منهم لمدينتهم ، لأنه من أهل الكوفة ، وكان أهل الكوفة يغضون أيضاً من شأن رجال العلم البصريين ويتحاملون عليهم . وكل ينسب الى خصمه التزييف ونحل الشعر على ألسنة الشعراء المتقدمين ، وكل منهم يتهم الآخر بالتهمة التي يوجهها لخصمه من التزييف والجهل .

ولم يكن (ابن سلام) أول من نبه الى وجود النحل في الشعر ، ولم يكن هو أيضاً آخر من وضع رأياً في النقد ، فتوقف الناس بعده . فقد سبقه الأعشى وغيره الى هذا الرأي . ثم جاء بعده علماء كانت لهم آراء قيمة في هذا الشعر وفي

---

١ طبقات (١٤) ، الفهرست ، (١٤٢) .

٢ الفهرست (١٤٢) .

شعرائه ، نجدها مدونة في كتبهم ، وفي الكتب التي اعتمدت عليها ، وقد نبهت ملاحظات أولئك العلماء المستشرقين الذين ظهروا في القرن التاسع عشر فما بعد ، فعمدوا الى دراستها وتحليلها ، واستنبطوا منها آراءهم التي أبدوها عن الشعر الجاهلي.

وقد نبه (أبو العلاء) المعري الى وجود الشعر المصنوع في (رسالة الغفران) وأشار اليه وشخّص قسماً منه ، وذكر اسم صانعيه في بعض الأحيان ، فذكر الشعر المنسوب الى (آدم) مثلاً :

نحن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا ، واليها نعود
والسعد لا يبقى لأصحابه والنحس تمحوه ليالي السعود

وقال على لسانه : « إن هذا القول حق ، وما نطقه إلا بعض الحكماء ، ولكني لم أسمع به حتى الساعة »[1] .

ويقول (أبو العلاء) مخاطباً (آدم) : « وكذلك يروون لك — صلى الله عليك — لما قتل (هابيلُ) (قابيلَ) :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
وأودى ربع أهليها فبانوا وغودر في الثرى الوجه المليح

وبعضهم ينشد :

وزال بشاشة الوجه المليح[2]

ثم يضع الجواب على لسان آدم ، فيقول له : « أعزز عليّ بكم معشر أبنيّ ! انكم في الضلالة مُتهوّكون ! آليت ما نطقت هذا النظم ، ولا نُطق في عصري وانما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ! كذبتم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم أبيكم ، ثم على حواء أمكم ، وكذب بعضكم على بعض ، ومالكم في ذلك الى الأرض »[3] .

---

١ رسالة الغفران (٣٦٠) .
٢ رسالة الغفران (٣٦٢ وما بعدها) .
٣ رسالة الغفران (ص ٣٦٤) .

وسأل (المعري) (آدم) عن لسانه ، ثم أجاب عنه بقوله : « انما كنت أتكلم بالعربية وأنا في الجنة ، فلما هبطت الى الأرض ، ثُقل لساني الى السريانية، فلم أنطق بغيرها الى ان هلكت ، فلما ردني الله – سبحانه وتعالى – الى الجنة ، عادت على العربية ، فأي حين نظمت هذا الشعر : في العاجلة أم الآجلة ؟ »[1] :

ثم تراه يتحدث عن الشعر المنسوب الى الجن ، والى أشعار أخرى ، فتراه يردّها وينتقدها ، ويشير الى وجود شعر مصنوع وضع على الإنس والجن. تراه يقول : « وكنت بمدينة السلام ، فشاهدتُ بعض الورّاقين يسأل عن قافية (عدي ابن زيد) التي أولها :

بكر العاذلات في غلس الصبـ ـح يعاتبنه أمـا تستفيق
ودعا بالصبوح فجراً ، فجاءت قينةٌ في يمينهـا إبريق

وزعم الورّاق أن (ابن حاجب النعمان) سأل عن هذه القصيدة وطلبت في نسخ من ديوان عدي ، فلم توجد . ثم سمعت بعد ذلك رجلاً من أهل استراباذ يقرأ هذه القافية في ديوان العبادي ، ولم تكن في النسخة التي في دار العلم »[2] .
وقد تحدث (أبو العلاء) المعري في (رسالة الغفران) عن القصيدة التي أولها:

أليمّا عـلى المطورة المُتأبدة أقامت بها في المربع المتجردة
مضمّخة بالمسك مخضوبة الشوى بدُرّ وياقوت لهـا متقلدة
كأن ثناياها – وما ذقت طعمها – مُجاجة نحل في كُميت مبردة
ليقرر بها النعمان عيناً فإنهـا له نعمة ، في كل يوم مجددة

فقال إنها من الشعر المنحول ، نحلت على النابغة ونسبت اليه . وقال على لسانه: « فيقول أبا أمامة : ما أذكر أني سلكت هذا القريّ قط . فيقول مولاي الشيخ زين الله أيامه ببقائه : إن ذلك لعجبٌ ، فمن الذي تطوّع فنسبها إليك ؟ فيقول إنها لم تنسب إليّ على سبيل التطوع ، ولكن على معنى الغلط والتوهم ، ولعلّها

---

١ رسالة الغفران (٣٦١ وما بعدها) .
٢ رسالة الغفران (١٤٦ وما بعدها) .

لرجل من بني ثعلبة بن سعد[1] فيقول نابغة بني جعدة : صحبني شابٌ في الجاهلية ونحن نريد الحيرة ، فأنشدني هذه القصيدة لنفسه ، وذكر أنه من ثعلبة بن عكابة، وصادف قدومه شكاة من النعمان فلم يصل اليه . فيقول : نابغة بني ذُبيان : ما أجدر ذلك أن يكون ! »[2] . فردّ هذا الشعر ، وأنكر كونه من شعر النابغة ، وبين بأسلوب جميل رأيه فيمن نحله عليه .

وتحدث عن الكلمة الشينية المنسوبة للنابغة الجعدي ، التي يقول فيها :

ولقـد أغدُو بشرب أنف قبل أن يظهر في الأرض ربش
معنـا زقٌّ الى سُمّهـة تسق الآكال من رطب وهش

وبعد أن دوّنها قال : « فيقول نابغة بني جعـدة : ما جعلت الشينَ قطّ روياً ، وفي هذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قط : ربش ، وسُمّهة ، وخشش »[3].

وتراه يتحدث عن قصيدة نسبت للأعشى ، فيقول عـلى لسان سائل يسأل (أعشى قيس) في الجنة عن قوله :

أمِنْ قتلة بالأنقـاء دارٌ غـير محلوله
كأن لم تصحب الحي بها بيضاء عطبوله
أناة ينـزل القوسي منها منظـر هوله

الى أن يكمل القصيدة ، ثم يقول : « فيقول أعشى قيس : ما هذه مما رصد عني ، وانك منذ اليوم لمولع بالمنحولات »[4] .

وفي (رسالة الغفران) مواضع أخرى كثيرة تعرض فيها (المعري) لنقـد الشعر ، ولبيان الصحيح منه من الفاسد ، تجعل الكتاب من الكتب الجيدة القديمة التي نبهت الى وجود الصنعة والنحل في الشعر الجاهلي ، والتي مهدت الجادة لمن جاء بعده من المستشرقين والمحدثين فتكلموا عن هذا الموضوع بلغة العصر الجديد.

---

١ رسالة الغفران (٢٠٧) .
٢ رسالة الغفران (٢٠٧ وما بعدها) .
٣ رسالة الغفران (٢٠٨ وما بعدها) .
٤ رسالة الغفران (٢١١ وما بعدها) .

وما ذكره (المعري) في رسالته يمثل رأيه ورأي من تقدم عليه من علماء الشعر في مواضع الانتحال في الشعر الجاهلي وفي نقد الشعر .

ونبه (الجاحظ) في كتبه الى وجود شعر منحول ، وقد نص عليه ، وأشار الى اسم من نسب له ، من ذلك قوله :

« وفي منحول شعر النابغة :

فألفيت الأمانة لم تخنّها كذلك كان نوح لا يخون

وليس لهذا الكلام وجه ، وانما ذلك كقولهم كان داودُ لا يخون ، وكذلك كان موسى لا يخون »[1] .

والنحل في الشعر ليس بأمر غريب ، إذ وقع في غير الشعر كذلك ، وقع ذلك طلباً للغريب وللنادر ، « ذكر بعض مشايخنا رحمهم الله انه رأى مصحفاً منسوباً الى أُبي خالف بعض حروفه حروف هذا المصحف ، لكنا لا نأمن أن يكون ذلك من جهة بعض من يحب الافتخار بالغريب ، فإن هذه بلية قد أضرت بالدين وأخلت بمصالح المسلمين ، وطرقت الملحدين الى الطعن في أركان الاسلام ، وسهلت عليهم الشغب في أمره ، وقد نرى من المفتتنين نواب الملوك ، وعبيد أرباب الأموال ، وأبناء الدنيا اذا لم يجدوا للقرآن وعلوم الدين عندهم موقعاً فيتقربون اليهم بغرائب الكتب ، واذا أعوزهم الغريب الذي يستنزع به أخذوا بعض الكتب المعروفة يزيدون فيها وينقصون ، ويقدمون ويؤخرون ويعنونه بعنوان بعيد ليتسببوا بذلك الى استخراج شيء منهم .

فعلى هذا النحو لا يؤمن أحدهم ان يعمد الى مصحف فيقدم منه سوراً ويؤخر أخرى ، ويحرّف ألفاظاً ، ثم يزعم انه مصحف عليّ أو عبدالله أو مصحف أبي ، وليس غرض البائس من ذلك إلا أن يحمله الى بعض الملوك فيقول : إنّ خزانة مثلك يجب ألا تخلو من نسخة من كل مصحف ليستخرج من حطامه شيئاً ، ولا يبالي بما كان من جناية على الدين وأهله »[2] .

---

١ الحيوان (٢٤٦/٢) .

٢ مقدمتان في علوم القرآن (٤٧ وما بعدها) ، (أرثر جفري) ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية (١٥) .

ولم يقع نحل الشعر عند العرب وحدهم ، وإنما وقع عند غيرهم كذلك . فقد وقع عند اليونان وعند الرومان وعند الفرس والعبرانيين ، وهو آفة لا تزال حيّة منهم من يضع على ألسنة المتقدمين ، ومنهم من يسرق قول غيره فينسبه نفسه ، وقد ضيقت وسائل النشر والإذاعة من سرقة آراء وأقوال الغير ، وتسجيلها باسم سارق نسبها لنفسه ، غير أن مشكلة تعيين أصول الشعر الجاهلي والنحل القديم ، لا تزال من المشاكل المستعصية ، لأن الوسائل الحديثة لا تتمكن من إحيـاء من في القبور واستنطاقهم عن المنحول والمسروق !

وقد وضع (ابن سلام) قاعدة في كيفية قبول الشعر والأخذ به ، فقال : « قد اختلف العلماء في بعض الشعر ، كما اختلفت في بعض الأشياء ، أما مـا اتفقوا عليه ، فليس لأحد أن يخرج منه » ، وبقوله : « وليس لأحـد ، إذا اجتمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شي منه ، أن يقبل من صحيفـة ولا يروى عن صحفي »[1] . وقد أبدى ملاحظات قيمة في نقـد الشعر ، فأشار الى المزيف منه ، وأظهر تحفظاً في قبـول بعض الأشعار ، لأنها منتحلة ، فلما تطرق الى شعر (طرفة) قال فيه : وشعره مضطرب ذاهب ، لا أعرف لـه إلا قوله :

اقفر من أهله ملحوبُ فالقطبيّـات فالذنوب

ولا أدري ما بعد ذلك »[2] . وذكر أن رواة الشعر وضعوا شعراً كثيراً عـلى (طرفة) و (عبيد بن الأبرص) ، وكانا من أقـدم الفحول ، وقد ضاع معظم شعرهما لذلك ، فوضعوا عليها الأشعار[3] .

وأنكر أن يكون (النابغة) قد قال :

فألفيتُ الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

وذكر ان أهل العلم أجمعوا على انه لم يقل هذا الشعر[4] ، وله ملاحظات أخرى

---

١ طبقات (٦) .
٢ طبقات (١١٦) .
٣ طبقات (٢٣) .
٤ ابن سلام (٤٩ وما بعدها) .

من هذا القبيل ، تجدها في طبقاته ، فقد شك في أكثر شعر (عبيد بن الأبرص) ، ولم يثبت لديه من شعره إلا ثلاث قصائد[1] .

وطريقة (ابن سلام) في قبول الشعر وفي صحته ، هو إجماع علماء الشعر واجتهادهم ، فإذا قرر علماء الشعر قبول شعر ووثقوا به وثبتوه ، صار مقبولاً في نظره ، لأنهم هم الذين يميزون بين الصحيح وبين الفاسد ، « وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ، ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون » . فالعلماء هم صيارفة الشعر يستطيعون نقده ، واستخراج الزائف منه ورميه ، وهو لا يبالي بعد ذلك بما روى (ابن اسحاق) وأمثاله من شعر « لا خير فيه ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب : ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسب مستطرف »[2] .

أما ما روي من شعر على ألسنة ملوك حمير وأقيال اليمن وأذوائها ، فإن العارفين بالشعر الجاهلي وبأساليبه وبروايته ، يرون انه شعر لا يطمأن الى صحته ، وضع على ألسنة من نسب اليهم . وقد رواه أناس من أهل اليمن ، عرف معظمهم برواية القصص والأساطير ، وعرف بعضهم بروايتهم القصص الاسرائيلي . أما المعروفون بأنهم حملة الشعر الجاهلي وروايته من القدامى ، فلم يرووا شيئاً يذكر من ذلك الشعر . وأما رجال العلم بالنحو وبقواعد العربية ، فلم يستشهدوا به في شواهدهم ، مما يدل على ان لهم رأياً فيه . وقد ذكر أهل الأخبار ان ابن مفرغ يزيد بن ربيعة ، وكان يزعم انه من حمير ، وضع سيرة تُبَّع وأشعاره[3] .

وكان أول من لفت الأنظار ومهد الجادة لمن جاء بعده من المستشرقين الراغبين في دراسة الشعر الجاهلي العالم الألماني (نولدكه) (Theodor Nöldeke) في كتابه ، (Beiträge zur Kenntniss der Poesie der Alten Araber) الذي طبعه سنة (١٨٦٤م). وقد تطرق في مقدمته الى تأريخ ونقد الشعر الجاهلي ، وإلى ما ورد عن مبدأ هذا الشعر ، وعن ابتدائه بالرجز . وقد ذهب الى أن هذا الشعر الجاهلي الواصل الينا ، والمحفوظ في الكتب ، لا يمكن أن يرتقي الى أكثر من السنة (٥٠٠) للميلاد . ثم تطرق الى التطور الذي أحاق بالأفكار والآراء والمعاني الواردة في

---

١ ابن سلام (٧٦ وما بعدها ، ١١٦) .
٢ ابن سلام (٥ وما بعدها ، ٤٠) .
٣ الأغاني (١٧/٥٢) .

الشعر المقال في أيام الأمويين ، فأبعده من هذه الناحية عن الشعر الجاهلي ، فعراه الى الحياة الجديدة التي دخل فيها العرب في هذا العهد ، والى التغير الروحي الذي ظهر بين العرب نتيجة خروجهم من البوادي ودخولهم أرضين خصبة ، ذات عمران وحضارة ، وهو تغير يفوق في نظره أثر الدين الجديد ، أي الإسلام في العرب . فبينما كان الشعر الجاهلي[1] ، شعر بدوي ، ظهر وترعرع بين الأعراب وفي البوادي ، وكان أبطاله ورجاله ، يراجعون الإمارتين الصغيرتين : امارة المناذرة وامارة الغساسنة ، نرى هذا الشعر ينمو ويظهر في قصور الخلفاء والولاة والحكام ، وهي كثيرة ، فيها البذخ والمال والترف والنعيم ، وحياة هذه طرازها لا بد وأن تؤثر على مشاعر الشاعر ، فتجعل شعره يختلف في معانيه وفي شعوره عن معاني وشعور الشعر الجاهلي ، وان حاول الشعراء جهدهم المحافظة على القوالب الجاهلية للشعر ، والتمسك بجزالة ذلك الشعر[1] .

ثم تحدث في مقدمته هذه عن الصعوبات التي يواجهها المرء حين يريد فهم هذا الشعر ، ثم أشار الى عمل المستشرقين الذين سبقوه في نشر وترجمة ذلك الشعر الى لغاتهم ، ثم تحدث عن تضارب الروايات واختلافها في نصوصها وعن رواة الشعر الجاهلي ، وعن تداخل الشعر بعضه في بعض في بعض الأحيان ، بحيث يدخل شعر شاعر في شعر غيره ، أو ينسب شعر شاعر لغيره[2] ، ثم عن تغيير وتحوير الأشعار المقالة بلهجات القبائل لجعلها موافقة للعربية الفصحى ، وإن كانت هذه الفروق التي كانت بين اللهجات الشمالية لم تكن كبيرة عند ظهور الإسلام . وتحدث بعد ذلك عن الشعر الوثني وعن ورود أسماء الأصنام فيه ، وعن تجنب الرواة ايرادها ، أو تحويرها بعض التحوير . ثم تحدث عن تعمد الرواة نحل الشعر ، وحمله على ألسنة الشعراء الجاهليين ، وعلى ألسنة الماضين ، وعلى ألسنة الجن والملائكة .

وتطرق أيضاً الى رأي علماء العربية في الشعر الجاهلي ، وفي المعلقات ، ورأي (النحاس) فيها ، ثم تحدث عن تصنيف علماء الشعر للشعراء الى طبقات، وعن

---

١ Beitrage, S. I. f.

٢ المصدر نفسه (ص VIII) .

الأسس التي وضعوها في هذا التصنيف[1] .

وبعد هذه المقدمة التي أخذت (٢٤) صفحة من الكتاب ، ترجم الصفحات الأولى من كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، الى باب (العيب في الإعراب)، وانتهى منه بقول القائل :

قل لسُليمى اذا لاقيتها هل تبلغنّ بلدة إلا بزاد
قل للصعاليك لا تستحسروا من التماسٍ وسير في البلاد
فالغزو أحجى ما خيّلت من اضطجاع على غير وساد
لو وصل الغيث أبناء امرىءٍ كانت له قبة سحق بجاد
وبلدة مقفرٍ غيطانهـا أصداؤها مغرب الشمس تناد
قطعتها صاحبي حوشيـة في مرفقيها عن الزور تعاد[2]

ثم تطرق في كتابه الى شعر يهود جزيرة العرب ، ثم الى شعر مالك ومتمم ابنا نويرة ، فشعر الخنساء ، ودوّن بعض النماذج من الشعر .

وقد تهيأت للمستشرقين الذين جاءوا بعد (نولدكه) موارد جديدة لم تكن معروفة في أيامه ، بفضل جهود العلماء الذين بعثوها ، بإخراجها مطبوعة ، بعد ان كانت مخطوطة ، قابعة في زوايا النسيان ، بعيدة عن متناول اليد ، فزاد علمهم بالشعر الجاهلي ، وأحاطوا بما فات وخفي عن علم ذلك المستشرق الكبير العالم ، وكوّنوا لهم آراءهم عنه ، نشروها في مقدمات الدواوين ومجموعات الشعر التي أخرجوها ، أو في كتبهم التي وضعوها في الأدب الجاهلي ، وفي مقالاتهم التي نشروها في المجلات . وقد ترجمت بعض منها الى العربية ، ولخصت بعض

---

١ Beiträge, S. IX. وما بعدها

٢ الشعر والشعراء (٤٦/٦) ، Beiträge, 1-42.

منها ، في الكتب العربية التي تناولت الأدب الجاهلي[1] .

وللمستشرق (آلورد) « W. Ahlwardt » ملاحظات قيّمة عن الشعر الجاهلي من حيث الصحة والصنعة والإصالة[2] .

وقد تعرض (بروكلمن) لموضوع الشعر المنحول ، فأشار الى أثر الرواية الشفوية في الوضع ، والى موضوع التدوين وعدم وجوده في الجاهلية ، وأثره في فقدانه على انتحال الشعر ، ثم قال : « ومن ثم يعد خطأ من مرجليوث وطه حسين أن أنكرا استعمال الكتابة في شمالي الجزيرة العربية قبل الاسلام بالكلية ، ورتبا على ذلك ما ذهبا اليه من أن جميع الأشعار المروية لشعراء جاهليين مصنوعة عليهم ، ومنحولة لأسمائهم .

ولكن بديهياً أن الكتابة لم تقض قضاء كلياً على الرواية الشفوية . فقد كان لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب راوية يصحبه ، يروي عنه أشعاره ، وينشرها بين الناس ، وربما احتذى آثاره الفنية من بعده ، وزاد عليها من عنده.

---

١ للوقوف على آراء بعض المستشرقين راجع الفصل الثالث من كتاب : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، تأليف الدكتور ناصرالدين الاسد (ص ٣٥٢ وما بعدها) ، وكتاب تاريخ الادب العربي : العصر الجاهلي ، تأليف الدكتور ريجيس بلاشير ، تعريب الدكتور ابراهيم كيلاني (بيروت : دار الفكر) ،
Th. Nöldeke, Die Semitischen sprachen, S. 47.
Th. Nöldeke, Funf Mo'allaqat, Wien, 1899, 1900, D. S. Margoliouth, The Origine of Arabic Poetry, In Journal Royal Asiatic Society, 1925, pp. 417-449, Encyclopaedae of Religion and Ethics, Vol., 8, p. 874, G. Richter, Zur Entstehungs Geschichte der Altarabischen Quaside, In ZDMG., XCII, (1938), W. Muir, Ancient Arabic Poetry, In JRAS, (1875), Krenkow, The Use of the Writing for the Preservation of Ancient Arabic Poetry, Cambridge, 1022, E. Bräunlich, Versuch einer Literargeschichtlichen betrachtungsweise Altarabischer Poesien, In Der Islam, XXIV, 1937, S. 201-269, G. Von Grunebaum, Die Wirklichkeite der Früharabischen Dichtung, Wien, 1937, G. Von Grunebaum, Zur Chronologie der Früharabischen Dichtung, In Orientalia, VIII, 1939, pp. 328-345, Ahlwardt, The Diwans of the Six Ancient's Arabic Poets, London, 1870, R. Geyer, Beiträge zur Kenntnis Altarabischer Dichter, in Wiener Zeitschrift fur die Kunde des Morgenlandes, XVIII, 1904, S. 5, Delitzsch, Jüdisch-Arabische Poesien aus Vormuhammedanischer Zeit, Leipzig, 1874.

٢ W Ahlwardt, Bemerkungen über die Echtheit der Alten Arabische Gedichte, Greifswald, 1872.

وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادراً .

وعن الرواة كانت تنتشر الدرايـة بالشعر في أوساط أوسع وأشمل ، بعد أن يذيع في قبيلة الشاعر نفسه . ولهذا لم يمكن التحرز عن السقط والتحريف ، وإن لاحظنا أن ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت أقدر قدرة لا تحدّ عـلى الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث .

ولم يبدأ جمع الشعر العربي إلا في عصر الأمويين ، وإن لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدي العلماء في عصر العباسيين ، بيد أن معنى التحري في وثـوق الرواية ، والتدقيق في النقل اللغوي على النحو الذي نعرفه في عصرنا هذا ، كان أمراً غريباً بعد على جماع ذلك العصر . ولما كان كثير من هؤلاء الجمّاع أنفسهم شعراء ، فقد ظنوا أنه ليس من حقهم فقط ، بل ربما كان واجباً عليهم أيضاً في بعض الأحيان أن يصلحوا ما رووه للشعراء القدماء أو يزيدوا عليه . فلا عجب إذا لم يبالوا أيضاً بالوضع والإختراع لتوثيق رواياتهم . وقد أراد حماد الراوية أن يفسر تفوقه ، والتفوق المزعوم لأصحابه الكوفيين في الدراية بالشعر القديم ، فزعم أنه وجد الشعر الذي كتب بأمر النعمان ودفن في قصره الأبيض بالحيرة ، ثم كشف في أيام المختار بن أبـي عبيد .

لقد غير الرواة بعض أشعار الجاهلية عمداً ، ونسبوا بعض الأشعار القديمة الى شعراء من الجاهلية الأولى ، كما يمكن أن يكون وضع أشعار قديمة ، منحولـة على مشاهير الأبطال في الزمن الأول لتمجيد بعض القبائل،أكثر مما نستطيع اثباته .

على أنه بالرغم من كل العيوب التي لم يكن منهـا بد في المصادر القديمة ، يبدو أن القصد الى التشويه والتحريف لم يلعب إلا دوراً ثانوياً . وقد روى علماء المسلمين أشعاراً للجاهليين تشتمل على أسماء الأصنام وعبادتها ، وإن أسقطوا أيضاً أبياتاً أخرى لشبهات دينية ، وذلك في حالات يبدو أنها قليلة ، لأن الشعور الديني لم يكن غالباً على نفوس العرب في الجاهلية »[1] .

وقد جاء المستشرق (كارلو نالينو) في محاضراته التي ألقاها بالجامعة المصرية في سنة ١٩١٠ — ١٩١١ م ، بشيء جديد في طريقة التحدث عن الأدب العربي

---

١ بروكلمن (١/٦٤ وما بعدها) .

من الجاهلية حتى عصر بني أمية ، فقد عرضه عرضاً جميلاً واضحاً ، مستعملاً ملاحظات أئمة العربية عنه ، مع بيان ملاحظاته وآرائه فيه ، وقد أحدثت محاضراته هذه أثراً في كيفية دراسة الأدب العربي ، لا بمصر وحدها ، بـــل في الأقطار العربية التي كانت تتابع ما يحدث في مصر من تطور ثقافي[1] .

وهو وإن لم يأت في كتابه برأي جديد مثير ، إذ كانت أفكـــاره وسطاً في الواقع بين القديم وبين الجديد ، إلا ان طريقة عرضه لآرائه وأسلوبه في بحثه وفي تحدثه عن الشعراء ، كانت طريقة جديدة غريبة بالنسبة لدارسي الأدب العربي في ذلك الوقت ، ولدت شوقاً في نفوس الدارسين للأدب العربي في ذلك الوقت الى السير على الطريقة الغربية في نقد الأدب وفي تقبله وتحليله ، وأولدت الشك في الوقت نفسه في الروايات القديمة المروية عن الأدب العربي ، التي كان يتمسك بها القدماء تمسكهم بنصوص كتاب سمـــاوي مقدس ، باعتبار انها روايات تتعلق بالماضي وبالتراث . ومن التجني على العربية والاسلام التعرض لها بأي سوء ، وفي جملة ذلك الشك في صحتها والنيل منها وإلحاق الأذى بها .

وتطرق المستشرق الانكليزي (مركليوث) في بحثه : (أصول الشعر العربي) « The Origins of Arabic Poetry » الى الشعر الجاهلي ، وقد ذهب الى ان أكثر هذا الشعر منحول ، صنع في الاسلام ووضع على ألسنة الجاهليين . وقد أورد فيه الأدلة والبراهين التي استدل بها على إثبات رأيه . وقد لخصت آراؤه هذه ونقلت الى العربية ، فلا أجد حاجة الى البحث عنها ، ما دام غيري قد سبقني الى هذا العمل[2] .

وقد رأى بعض المستشرقين ان علماء اللغة أدخلوا تغييراً على نصوص الشعـــر الجاهلي ، لما وجدوا ان قواعدها لا تتفق مع القواعد التي استنبطوها من القـرآن والحديث ، أي من لغة قريش ، ولذلك عدّلوها ليكون إعرابها ملائماً لما وضعوه من قواعد النحو . وهو رأي يتناقض مع رأي المستشرقين القائلين بأن القرآن انما نزل بلغة عربية مبينة كانت فوق اللهجات وفوق اللغات،ولم ينزل بلهجة قريش،

---

١ كارلو نالينو ، تأريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية ، (دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٠ م) .

٢ مصادر الشعر الجاهلي (٣٥٢ وما بعدها) ، ريجيس بلاشير ، تأريخ الادب العربي (١٧٧ وما بعدها) .

ورأيهم ان ما ورد من نزول القرآن بلسان قريش ، انما هو رأي ظهر في الاسلام، ظهر ببروز النزاع الذي كان بين الأنصار والمهاجرين ، أدى الى التعصب لقريش والى تقديمهم على كل العرب بحجة ان الرسول منهم ، وانه ولد بينهم ، فيجب أن تكون لغته لغتهم ، وان يكون نزول الوحـــي بلسانهم ، فهو رأي برز عن نوازع دينية وسياسية ، مجدت قريشاً ، لأن في تمجيدهم تمجيد على رأيهم لرسالة الاسلام[1] .

ونظرية وقوع التعديل والتغيير والاصلاح في أصول الشعر الجاهلي ، رأي قال به علماء العربية قبل المستشرقين ، إذ نجد في كتبهم إشارات الى تعديل أو تهذيب أو تغيير أحدثه (أبو عمرو) ، أو (الأصمعي) أو غيرهما على لفظة أو بيت ، لاعتقادهم بعدم انسجام أصل ما غيروه مع المعنى أو مع قواعد اللغة ، أو لمخالفته للعروض ، أو لوقوع تصحيف ، فصححوا ما صححوه ، بدافـــع عدم إمكان صدوره من شاعر جاهلي قديم . وفي رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري ، أمثلة كثيرة على ذلك ، وقد خطأ الاقدام على التعديل ، ودافـــع عن وقوع الزحاف والإقواء في الشعر الجاهلي ، معتبراً ذلك شيئاً لم يكن عيباً في الشعر عند الجاهليين، لأنه كان أمراً مألوفاً عندهم ، وقد ذكرت رأيه في مواضع من هذا الكتاب .

وتتبع المرحوم (مصطفى صادق الرافعي) ، ما جاء في التراث العربي عن الأدب العربي ، فدوّنه في كتابه (تأريخ آداب العرب) تدويناً يدل على إحاطة جيدة بما جـــاء في كتب الأسلاف من أخبار عن الشعر وأصحابه وعن انتحاله والعوامل التي دعت الى الغش فيه ، وإدخال ما ليس منه فيه ، وقد خالف رأي من قال بتعليق (المعلقات) ، ومخالفته هذه تعدّ فتنة بالنسبة لرواد الشعر والمعجبين به بالنسبة لذلك اليوم[2] . وبعـــدّ كتابه من الكتب القيمة المدوّنة بالعربية بالنسبة لتلك الأيام ؛ فهو رصين حوى خلاصة ما ذكره السلف عن أدب العرب ، وإذا نظرنا الى عمره يوم ألفه والى أسلوب دراسته ، نجد أنه كان من نوادر المؤلفين في ذلك العهد .

وأحدث كتاب الدكتور (طه حسين) : « في الشعر الجاهلي » رجّة عنيفة

---

١ Nicholson, A Literary History of The Arabs, p. 134.

٢ تأريخ آداب العرب (١/٣٦٥ ــ ٣٩١) ، (٣/١٨٦ وما بعدها) .

في مصر وفي البلاد العربية الأخرى ، لما جـاء فيـه من آراء خالفت المألوف والمتعارف عليه عند علماء العربية آنذاك الذين كانوا يسيرون على الجادة القديمة في دراسة أدب العرب،ولما تضمنه من عبارات اعتبرت نابية فيها تهجم على المقدسات. فشكي الى الحكومة ، ورفع أمره الى القضاء ، فكان أن غير عنوانه بعض التغيير فصار : « في الأدب الجاهلي » ، وحذف منه فصل ، وأثبت مكانـه فصل ، وأضيفت اليه فصول[1] . وقد لقي الكتاب نقداً شديداً في مصر وفي خارجهـا ، من جانب المحـافظين الحروفيين ، إذ رأوا فيه هدماً للتراث العربي وللمألوف المتوارث ، بينما لقي قبولاً حسناً من جانب الشباب والجيل الجديد ، الذين تأثروا بالمؤثرات الثقافية الحديثة وأخذوا يجاهرون بنقد الأوضاع القائمة الجامدة، وسرعان ما دخل هذا النقد ميدان العراك الذي كان قد وقع آنذاك بين المحافظين وبـين المصلحين الذين كانوا يدعون الى اصلاح المجتمع بصورة عامة وإيقاظ العقل من سباته ، والذين كانوا ينادون بإصلاح كل ما يخص هذه الحياة من مادة وروح .

ووجود شعر جاهلي منحول ، أو وجود شعر منحول ، صنع وصيغ على ألسنة الجاهليين بتعبير أصح ، قول لا يختلف فيه أحد ، لا يختلف فيه علماء العربية عن المستشرقين ، ولا القدماء عن المحدثـين ، ولا المحافظون المتزمتون عن المدعين بالتقدمية والتجديد ، فكلهم مجمعون على وجوده، وكل منهم أثبت وجوده بطرقه وبأساليبه التي كانت متبعة في زمانه في طرق النقد ، فهم في هذه القضية متفقون تماماً ولا خلاف بينهم فيه ، اللهم إلا في شيء واحد ، هو : سعة حجم المصنوع بالنسبة الى حجم الصحيح من الشعر ، فمنهم من يزيد في نسبـة حجم المصنوع حتى يغلبه على الصحيح ، بل يجعل الصحيح منه شيئاً ضئيـلاً ، بالنسبة اليه ، ومنهم من يقلل هذه النسب الى درجات قد يصيرها بعضهم دون الشعر الصحيح بكثير .

وأول أسباب نحل الشعر : العصبيات التي عبر عنها (ابن سلام) بقوله : « قال ابن سلام : فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم،وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار،فقالوا على ألسن شعرائهم،

---

١ (مقدمة الطبعة الثانية) ، (القاهرة ١٩٢٧ م) .

ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار »[1] . من ذلك ما فعلته (قريش) ، الذين كانوا — كما يذكر أهل الأخبار — أقل العرب شعراً وشعراء ، فلما نظروا فإذا حظهم من الشعر قليل في الجاهلية ، استكثروا منه في الاسلام[2] .

ومن هذا القبيل ما نسب الى قدماء أهل اليمن من شعر ، ومـــا أضافوه من شعراء وشعر ، فجعلوا للتبابعة شعراً فيه تبجح بأعمالهم وبما قاموا بـــه من فتوح هزت الدنيا في يومها امتدت من أقصى طرف من الأرض الى أقصى طرفها الآخر من (الصين) الى (روما) ، والى آخر المعمور الممتد على البحر المظلم ، وفيه إيمان بالله وبملائكته ، وتبشير بظهور الرسول ، وأسف شديد لأنهم ولدوا قبل زمانه ، فلم يسعدهم الحظ بإدراكه ، وهم لو أدركوه لكانوا أول المؤمنين به ، وأول المدافعين عنه ، وحيث حرموا من هذه النعمة ، نعمة ملاقاته لإعلان إيمانهم به أمامه ، فهم يدعون من يأتي بعدهم ممن سيدرك أيامه الى الذبّ عنه والدخول في دينه . فيقول (الرائش) منهم ، وهو (الحارث) ، في شعر له ، ذكر فيه من يملك منهم ومن غيرهم :

ويملك بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام
يُسمّى أحمداً يا ليت أني أعمر بعـــد مَخرجه بعام[3]

وإذا عرفت أن هذا (الرائش) ، كان قد حكم قبل (بلقيس) ، وبلقيس معاصرة (سليمان) على زعم أهل الأخبار ، وقد كان حكم (سليمان) في حوالى السنة (٩٦٩) قبل الميلاد[4] ، أدركت كم سيكون إذن عمر هذا الشعر المنسوب الى (الحارث) الرائش ، الذي لقب بهذا اللقب ، لأنه كان أول من راش الناس، أي أول من غزا من أهل اليمن ، وأول من أصاب الغنائم والسبي ، وأدخلهـــا اليمن ، فراش الناس[5] .

---

١ طبقات (١٤) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٦٢) ، الرافعي (١/٣٦٧) ، في الادب الجاهلي (١٢٢) .
٣ المعارف (٦٢٧) .
٤ Hastings, p. 868.
٥ المعارف (٦٢٦) .

وبالمعنى المتقدم نطق (التبع) : (تبع بن كليكرب) ، حيث قال :

شهدتُ على أحمد انه رسولٌ من الله باري النسم
فلو مُدّ عمري الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

ولم يكتف أهل الأخبار بكل هذا ، بل زعموا انه كان كسا البيت وانه قال في ذلك :

وكسوت بيت الله غير كسائه حذر العقاب ليرحم الرحمن
ومقالة الحبرين واليوم الذي يتلى الكتاب وينصب الميزان[1]

وزعموا ان التبع (تبع بن حسان) ، أو (تبع الأوسط) كسا البيت الحرام وأطعم الناس بمكة ، وقوّلوه هذا البيت :

فكسونا البيتَ الذي حرم الله ـه ملاءً معضداً وبرودا[2]

فالتبابعة هم أول من كسا البيت ، وأول من آمن بالله وبرسوله ، كانوا مسلمين قبل ظهور الاسلام ، وقبل ميلاد الرسول بعشرات المئات من السنين .

ونسبوا لذي جدن الحميري الملك شعراً ، ذكر فيه الموت ، حيث يقول :

لكل جنبٍ اجتبى مضطجع والموت لا ينفع منه الجزع
اليوم تجزون بأعمالكم كلُّ امرىء يحصد مما زرع
لو كان شيء مفلتاً حتفه أفلت منه في الجبال الصدّع

ونسبوا له أشعاراً أخرى[3] . وذو جدن من أذواء اليمن ، والأذواء بعضهم ملوك وبعضهم أقيال ، والقيل دون الملك ، والمقوّل : القيل أيضاً بلغة أهل اليمن . وقد ذكر صاحب (خزانة الأدب) أسماء عدد من الأقيال[4] . فذو جدن هذا شاعر ، متفلسف يذكر الناس بالموت وبما بعد الموت ، حيث تجزى كل نفس

---

١ المعارف (٦٣١) .
٢ المعارف (٦٣٥) .
٣ الخزانة (٢/٢٨٧ وما بعدها) .
٤ الخزانة (٢٨٩ وما بعدها) .

بما كسبت ، ويحصد كل امرىء ما زرعه بيديه في دنيـــاه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ ، ولن يفلت أحد من الموت ، وهيهات له ذلك .

ونجد في شعر التبابعة أشعاراً في الحكم وفي الحث على مكارم الأخلاق ، وفي حروبهم وفتوحاتهم التي تشبه فتوحات الإسكندر والفتوحات الإسلامية فيما بعد ، فتوحات سبقت الفتوحات الإسلامية بمئات من السنين ، حاول صانعوها المبالغـــة فيها ، حتى صيروا الفتح الاسلامي وكأنه ذيل لتلك النتوج القحطانية التي زرعت (حمير) في الصين وفي تركستان ، صنعوا ذلك في الإسلام ، لما تبجح عليهم العدنانيون بالإسلام وببلوغه الصين والمحيط الأطلسي .

وذكر أن الشاعر (يزيد بن ربيعة بن مفرغ) الحميري[1] ، كان ممن أذاع أسطورة (تبع) ، وكان يتعصب الى اليمن[2] ، ولعله هو الذي وضع أكثر الشعر المنسوب الى (التبابعة) ، وكان (عبيد بن شرية) الجرهمي ، ممن صنع الشعر على ألسنة التبابعة وغيرهم ، وأضافه اليهم[3] . ونجد في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني وفي الإكليل ، وهو من كتبه أيضاً ، شعراً كثيراً يرويه على أنـــه من شعر التبابعة ، ومن شعر عاد وثمود ، وسادات حمير ، وهـو مصنوع من دون شك ، صنعه المتعصبون لليمن من اليمانية ، وقد كانت العصبية قد أخذت مأخذها في الإسلام . والهمداني نفسه من المتعصبين لليمن قبله . وأدخله في كتبه دون أن يُسائل نفسه عن كيفية وصول ذلك الشعر من أفواه قائليه اليه ، مع بعـد الزمن وتقادم العهد ، وتكلم أهل اليمن في القديم بكلام لا يشابه كلام الشعراء .

ويدخل في هذه العصبية الشعر المنسوب الى الشعراء في هجاء قحطان أو عدنان أي في هجاء القحطانية أو العدنانية بتعبير أدق ، من ذلك القصيدة التي صنعوها على لسان (الأفوه الأودي) الشاعر الجاهلي ، الذي هو من (مذحج) ، ومذحج من اليمن ، التي أولها :

إن ترى رأسي فيه نزع وشواي خلة فيها دوار[4]

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٧٦) ، الاغاني (١٧/٥١) ، الخزانة (٢/٢١٠ ، ٥١٤) .

٢ الاغاني (١٧/٥٢) .

٣ Von Kremer, Die Südarabische Sage, S. VII, 78, Nicholson, A Literary History of the Arabs, p. 19.

٤ الشعر والشعراء (١/١٤٩) ، العيني (١/٤٢١) ، الاغاني (١١/٤١) ، معاهد التنصيص (٢/١٥٩) .

وهي قصيدة فيها هجاء لبني نزار ولبني هاجر ، صنعت ولا شك في الاسلام. وقد زعم ان النبي نهى عن روايتها . واذا كانت القصيدة مصنوعة ، أو ان أبيات الهجاء منها مصنوعة على الأقل ، كان حديث النهي عن روايتها مصنوعاً أيضاً ، لأن هذا الصنع انما وقع في الاسلام .

ومن فرسان العصبية اليمانية الشاعر (حسان بن ثابت) ، فقد كان من المتحاملين على قريش ، ومن المتعصبين ليثرب ولليمن على قريش ومعدّ . مع ان الرسول نهى عن أمر الجاهلية ، فكان يجالس قريشاً وهو في اسلامه،وينشد الناس ما قالته الأوس والخزرج في قريش ليشفي بذلك غليله . وكان الخليفة (عمر) قد نهى أن ينشد الناس شيئاً من شعر الهجاء الذي كان بين الأنصار ومشركي قريش حذر تجديد الضغائن ، ومع ذلك فإن عصبية حسان لمدينته ولليمن كانت تدفعه على مخالفة ما أمر به[1] .

ومن هذا القبيل ما فعلته قريش بشعر حسان . فقد « حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، لما تعاضهت قريش ، واستبت ، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تليق به »[2] ، وقد وضعت قريش وأشياعها المتعصبون للعدنانية أشعاراً أخرى على ألسنة بقية شعراء يثرب ، أرادت من وضعها الحط من شأنهم ، وإلحاق السخف والركة بشعرهم وبهم ، وفعل غيرهم فعلهم في إضافة الشعر الى من كانوا يكرهونه ، للنيل منه ، فنسبوا اليهم شعراً سخيفاً مشيناً ، أو فيه تحامل وقدح على بعض الناس ، للإساءة اليهم بظهور هذا الشعر وانتشاره .

وقد ذكر (ابن سلام) أن (قدامة بن عمر بن قدامة) الجمحي ، نحل شعراً على (أبي سفيان بن الحارث) للنيل منه ، وآن قريشاً تزيد في أشعارها تريد بذلك الأنصار والردّ على حسان[3] . وورد أن (قتادة بن موسى) الجمحي هجا (حسان بن ثابت) بأبيات ونحلها (أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)[4].

وكان الأنصار يقظون،واقفون لقريش بالمرصاد ، وكانت قريش يقظة كذلك، إذا سمعت شاعراً مدح الأنصار ولم يمدحها استاءت منه . فلما قدم (كعب بن

---

١ الاستيعاب (١/٣٣٧ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٥٢) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٦٢) .
٤ الاصابة (٣/٢١٧) ، (رقم ٧٠٧٧) .

زهير) يثرب معتذراً عن كفره ، معلناً إسلامه أمام الرسول ، مـدح قريشاً وعرّض بعض التعريض بالأنصار لغلظتهم كانت عليه ، تجهمته الأنصار وغلظت عليه ، ولانت له قريش ، غير أنها لم ترض عن مدحه ، إذ وجدته قليلاً ، وأنكرت عليه ما قـال ، إذ قالت له : « لم تمدحنا إذ هجوتهم ، ولم يقبلوا ذلك » منه[1] . ولما قـدم (الحطيئة) المدينة أرصدت له قريش العطايا ، فعلت ذلك ليخلص لها في المدح ، وليصرف مدحه عن الأنصار[2] .

وندخل في هذه العصبية ، العصبية الى البيوتات ، فقد كان قوم (سعيد بن العاص بن أمية) يذكرون أن (سعيداً) كان اذا اعتم لم يعتم قرشي إعظاماً له، وينشدون :

أبو أحيحة من يعتـم عمّته يُضرَبْ وإن كان ذا مال وذا عددِ

ويذكر (الزبيريون) ان هذا البيت باطل مصنوع[3] .

ولم تتورع العصبية والخصومات من الكذب عمداً على النـاس ومن الطعن في الأنساب . فلما اعترض (مزرد) أخو الشمّاخ ، وكان عريضاً ، (كعب بن زهير) عزاه الى (مزينة) ، وكان (أبو سُلمى) وأهل بيته في (غطفان) ، فقال كعب بن زهير شعراً يثبت انه من مزينة ، « وقد كانت العرب تفعـل ذلك ، لا يعزى الرجل الى قبيلة غير التي هو منها ، إلا قال : أنا من الذين عنيت . كان أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبـي حارثة لاحى النابغة فنماه الى قضاعة » ، فقال شعراً يثبت انه منها[4] . وهناك أمثلة عديدة من هذا القبيل ، أدت الى وقوع النسابين في أخطاء بسبب هذه الأكاذيب .

وقد ساهم الخلفاء الأمويون في هذه العصبية ، ساهموا حتى في التزام العلـماء والشعراء . « جمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهري ، فغلب قتادة الزهري، فقيل لسليمان في ذلك ، فقال : انه فقيه مليح . فقال (القحذمي) : لا ، ولكنه

---

١ ابن سلام ، طبقات (٢٠ وما بعدها) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٢٤) .
٣ المزهر (١/١٨١) .
٤ ابن سلام ، طبقات (٢١ وما بعدها) .

تعصب للقرشية ، ولانقطاعه كان اليهم ، ولروايته فضائلهم »[1] .

وكان (معاوية) يتعصب لليمن على قيس، وذلك بسبب زواجه من (كلبية)، مع أنه من عدنان . حتى صار من فرط تعصبه لليمن لا يفرض إلا لهم، ولم يزل كذلك حتى كثرت اليمن وعزت قحطان ، وضعفت عدنان ، فبلغ معاوية أن رجلاً من اليمن قال : هممت أن لا أحل حبوتي حتى أخرج كل نزاري بالشام ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس . وكان معاوية يغزي اليمن في البحر وتميماً في البر ، وفي ذلك يقول (النجاشي) شاعر اليمن :

ألا أيها الناس الذين تجمعوا بعكا أناس أنتم أم أباعر
أيترك قيساً آمنين بدارهم وتركب ظهر البحر والبحر زاخر
فوالله ما أدري وإني لسائل أهمدان تحمي ضيمها أم يحابر
أم الشرف الأعلى من أولاد حمير بنو مالك أن تستمر المآثر
أأوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

فرجع القوم جميعاً عن وجههم ، فبلغ ذلك معاوية ، فسكن منهم . وقال : أنا أغزيكم في البحر لأنه أرفق من الخيل وأقل مؤونة ، وأنا أعاقبكم في البر والبحر ففعل ذلك[2] .

وأوجدت هذه العصبية كثيراً من الشعر المصنوع ، روي على انه من شعر التبابعة ، صنع ولا شك في الاسلام ، حين بلغت العصبية العدنانية والقحطانية ذروتها في أيام الأمويين فما بعد . فلما نظر اليمانيون الى أنفسهم ، واذا بالحكم لغيرهم . وقد كانت لهم دولة قبل الاسلام ، ثم إذ بهم يحكمهم من كان دونهم في الجاهلية ، أخذتهم العزة ، ودفعتهم العصبية على الاحتماء بالماضي ، وإعادة ذكرياته ، وما كان لهم من مآثر ، ولأجل توكيد ذلك وتثبيته ، لجأوا الى الشعر ، ولم يكن لهم شعر في الجاهلية بهذه العربية التي نعرفها ، لأنها لم تكن عربيتهم ، فصنعوا شعراً كثيراً بهذه العربية ، نسبوه الى التبابعة ، وارتفعوا به الى عهود جاوزت الحد المألوف الذي حدده علماء الشعر ، لتأريخ ظهور (القصيد) عند

---

١ البيان والتبيين (١/٢٤٣) .
٢ الخزانة (١/٤٦٦ وما بعدها) .

الجاهليين ، تجد الكثير منه مدوناً في الكتب التي تتعاطف مع اليمانية ، مثل كتب الهمداني ، ونشوان بن سعيد الحميري .

ولما كان هذا الشعر هو في ذكريات أيام اليمن الماضية وأحوالها القديمة ، وفي أخبار ملوك حمير وأعمالهم ، اتخذ أسلوب القص والفخر ، فكثرت أبيات القصائد أحياناً ، وارتبطت الأبيات في المعاني بعضها ببعض ، نظراً لاقتضاء طبيعة القص والأساطير ذلك ، وهو يفيدنا من ناحية الوقوف على الأساطير اليمانية القديمة التي أوجدتها مخيلتهم عن تأريخهم القديم ، وفي تطور أسلوب القص في الشعر .

ويظهر من عبارة (الآمدي) : « وهي أبيات تروى لامرىء القيس بن حجر الكندي ، وذلك باطل ، إنما هنّ لامرىء القيس الحميري ، وهي ثابتة في أشعار حمير »[1] ، أنه قد كان لحمير ديوان فيه أشعارهم ، أو أن قوماً منهم أو من غيرهم جمعوا شعر حمير ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا بد أن يكون هذا الجمع قد وقع في الإسلام ، وأن ما فيه من شعر جاهلي ، هو من الشعر المصنوع .

ومن العصبيات عصبية قريش على ثقيف . فقد كانت بين قريش وبين ثقيف خصومة ، بسبب طمع أهل مكة في الطائف ، وشراء سادات قريش الملك في الطائف لاستغلاله ، مما جعل ثقيفاً يكرهون أهل مكة . ثم عامل آخر ، ظهر في الاسلام ، هو كره أهل العراق للحجاج ، مما جعلهم يذمونه ويذمون ثقيفاً معه . فزعموا أن قومه من بقايا ثمود ، وذلك في أيام الحجاج . « رووا أن الحجاج قال على المنبر يوماً : تزعمون أنا من بقايا ثمود ، وقد قال الله عزّ وجل : وثموداً فما أبقى »[2] . وذكر (الجاحظ) ، زعم الناس هذا في أصل ثقيف ، وذكر أن مثل ثمود كمثل (بني الناصور) ، فقد هلكوا في الجاهلية ، كما هلك غيرهم من الأمم البائدة ، وذكر أن هناك من قال إن أصل (بني الناصور) من الروم[3] .

وقد وجدت العصبية مرتعاً خصباً بين الموالي والعبيد ، فساهموا فيها أيضاً . فلما رأى (جرير) (الحَيْقطان) يوم عيد في قميص أبيض وهو أسود ، قال:

---

١ المؤتلف والمختلف (٩) ، (عبدالستار أحمد فراج) .
٢ البيان والتبيين (١/١٨٧ وما بعدها) .
٣ البيان والتبيين (١/١٨٧) .

كأنه لما بدا للناس أير حمار لُفّ في قرطاس

فلما سمع بذلك (الحَيقطان) وكان باليمامة ، دخل الى منزله فقال شعراً افتخر فيه بالنجاشي وبالسودان ، وبلقمان وبأبرهة وذم قريشاً ومضرَ ، وتحامل عليها ، ففرحت اليمانية به ، وأخذت تحتج به على العدنانية ، واحتج بها العجم والحبش على العرب[1] .

ويلاحظ ان الحبش قد تعصبوا أيضاً على العرب في الاسلام،وتفاخروا بملوكهم وبأبرهة ، وقد كان لازدراء الأغنياء لهم ، وتسخير أصحاب المال لهم في أداء الأعمال الحقيرة ، ونظرتهم اليهم نظرة ازدراء وتحقير ، فلم يصاهروهم، ولم يروا انهم أكفاء لهم ، مثل العجم على الأقل ، أثر في إثارة هذه الضغينة في نفوسهم وفي وقوفهم موقف الضد من العرب . وقد تعرض (الجاحظ) لذلك ، فقال : « وقد قالت الزنج : من جهلكم انكم رأيتمونا لكم أكفاء في الجاهلية في نسائكم، فلما جاء عدل الاسلام رأيتم ذلك فاسداً » . ثم روى على لسانهم ما قاله بعض الشعراء مثل النمر بن تولب ، ولبيد من مدح أبرهة ، ثم أعقب ذلك بذكر من برز وظهر من الزنوج[2] .

ومن أسباب النحل دوافع نشأت عن عاطفة دينية ، رأت أن في نحل الشعر على ألسنة الجاهليين ، عملاً ليس فيه ضرر ولا اساءة ، بل فيه منفعة من ناحية التوعية الدينية والحث على التدين والتزهد ، وعمل الخير والإيمان بدين الله،فروت الأشعار على ألسنة المتقدمين في التبشير بظهور الرسول ، قبل ميلاده بأمد ، وفي الحث على نبذ الوثنية والإيمان بإلَه واحد . نظم على لسان القحطانيين وعلى لسان العدنانيين ، الذين عاشوا قبل الإسلام،كما نظم على ألسنة الجن والهواتف والكهنة .

ومن هذا القبيل ما قيل من شعر في التوحيد وفي الذب عن الاسلام على لسان (أبي طالب) وغيره ، وفي مدح قريش ، وجعلها القبيلة المختارة التي اصطفاها الله من بين سائر العرب ففضلها على العالمين ، بأن جعلها الصفوة ، وجعل لسانها اللسان الذي نزل به القرآن ، فعل أصحاب الصنعة ذلك لنوازع مذهبية، ولعصبية

---

١ رسائل الجاحظ (١/١٨٢ وما بعدها) ، (فخر السودان على البيضان) .
٢ رسائل الجاحظ (١/١٩٧ وما بعدها) ، (فخر السودان على البيضان) .

قبلية سياسية ، ذات صلة بالعواطف الدينية ، فلم يكن يهن على أهل يثرب مثلاً التسليم بسيادة قريش عليهم ، فكان ما كان من وضع قريش الحجج التي تؤيد قريشاً في الجاهلية ، وتجعلهم أفضل العرب على الاطلاق،وما كان الأنصار ليقبلوا ذلك بالطبع،فأوجد صناعهم فخراً وسبقاً لهم على قريش ، بأن قالوا إنهم الأنصار وأنهم نصروا رسول الله منذ سمعوا بالإسلام ، فلما سمع (أبو قيس بن الاسلت) وهو من الأوس ، مقالة (أبي طالب) :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

حين أرادوا منه تسليمهم النبي، أرسل اليهم قصيدة ينهى فيها قريشاً عن الحرب، ويأمرهم بالكفّ عن رسول الله ، إذ يقول :

يا راكباً اما عرضت فبلغن مغلغلة عني لؤي بن غالب

وهي قصيدة طويلة دوّنها (ابن هشام) في سيرته[1] ، اذا قرأتها خرجت منها ان صاحبها انما أراد من صنعها على لسان (ابن الأسلت) إظهار ان أهل يثرب كانوا أول من دافع عن الرسول والاسلام ، وانهم كانوا أول المؤمنين به ، إذ كفرت قريش بدين الله . مع انه مات مشركاً ، ولم يثبت انه دخل في الاسلام[2] .

والقصيدة بعد من صنع أناس من الأنصار ، لعلهم كانوا من صلبه ، وجدوا ان من السهل وضع الشعر على لسانه ، فقد كان شاعراً معروفاً ، وكان من سادة يثرب ومن الوافدين على مكة ، وله فيها أصحاب ودالة ، وفي صنع هذا الشعر فخر للأنصار عظيم ، فنسبوا له تلك القصيدة ، وجعلوها جواباً لاستغاثة (أبي طالب) في قصيدته التي قال ما قال فيها في حق قريش وفي تعنتها تجاه الرسول والاسلام .

ومن هذا القبيل ، تطويلهم القصيدة المنسوبة الى أبي طالب التي قيل انه قالها في النبي ، وهي :

---

١ سيرة (١/١٨٠) ، (حاشية على الروض) .

٢ الاصابة (٤/١٦٠) ، (رقم ٩٤٤) ، الاستيعاب (٤/١٥٩ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقد زيد فيها وطولت ، بحيث صار لا يعرف أيـن منتهاها[1] . وقد أورد ابن هشام أشعاراً نسبها الى (أبي طالب) منها قصيدته التي رد فيها على قريش حين عرضت عليه تسليم النبي لهم ، على أن يعطوه في مقابله (عمارة بن الوليد) ، وقد دوّنها (ابن هشام) ، وذكر انه ترك منها بيتين أقذع فيهما[2] . ومنها قصيدته :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وهي قصيدة طويلة ، قال عنها (ابن هشام) : « وبعض أهل العلم ينكر أكثرها »[3] .

ومن هذا القبيل مـا وضع من شعر في الأحداث التي وقعت بين المسلمـين والمشركين في أيام الرسول ، مثل معركة بدر ، وبقية المعارك . فقد وضع الناس شعراً كثيراً على لسان المسلمين والمشركين ، ونجد (ابن هشام) يقول في تعليقه على شعر لأبي أسامة معاوية بن زهـير ، وكان مشركاً ، وقد مرّ بهبيرة بن أبي رهم ، وهو منهزم : « وهذه أصح أشعار بدر »[4] ، ونجد (ابن هشام) ، يعلق ويصحح ويشكك في صحة بعض هذا الشعر الذي أخذه من (ابن اسحاق) ، وقد طُعن على (ابن اسحاق) ، لأنه أخذ مثل هذا الشعر فأدخله في السيرة ، مع أنه شعر مصنوع[5] .

ومن هذا القبيل ما روي من أن امرأة من حضرموت ثم من (تنعة) صنعت لرسول الله كسوة ، أرسلتها مع ابنها (كليب بن أسد بن كليب) الى رسول الى ، فأتاه بها وأسلم ، فدعا له ، فقال حين أتى النبي :

من وشَزٍ برهوت تهوى بي عذافرة اليك يا خـير من يحفى وينتعل
تجوب بي صفصفاً غبراً مناهلـه تزداد عفواً إذا ماكلت الإبـل

---

١ ابن سلام ، طبقات (٦٠) ، المزهر (١/١٧٩) .
٢ ابن هشام (١/١٧١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) .
٣ ابن هشام (١/١٧٩) ، (حاشية على الروض) .
٤ ابن هشام (٢/١١٥) ، (حاشية على الروض الأنف) .
٥ الروض الأنف (٢/١٠٧ وما بعدها) .

شهرين أعملها نصاً على وجـــل أرجو بذاك ثواب الله يا رجـل
أنت النبي الذي كنّا نُخـبره وبشرتنـــا بك التوراة والرسل[1]

والذي نعرفه أن لسان أهل حضرموت لم يكن في هذا العهد على هـــذا البيان والعربية ، وإنما كان عـــلى عربية حضرموت ، ولا أدري إذا كان هذا الرجل يعرف شيئاً عن التوراة والرسل ، أو سمع باسم التوراة وبالرسل حتى يذكرهـــا ويذكر رسل الله في هذا الشعر .

ومن هذا النوع ما روي من شعر الجن والهواتف : من مثـــل الشعر المبشر بقرب ظهور نبي ، كما في قصة : (راشد بن عبـد ربه) السلمي التي رواها عن سبب إسلامه ، وما سمعه من هاتف يصرخ من جوف الصنم ، بظهور نبي[2] ، أو من شعر آخر ، قيل على ألسنة الجن ، في أغراض مختلفـة وهو كثير ، من ذلك قولهم :

وقبر حربٍ بمكانٍ قفر وليس قرب قبر حربٍ قبر

وقائله مجهول . فلما رأوا ان من الصعب إنشاده ثلاث مرات في نسق واحـد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، قيل لهم انه من شعر الجن . فصدقوا بذلك[3] .

وذكر أهـــل الأخبار اسم شاعر من الجن ، قالوا له : (مالك بن مالك) الجني . فقد زعموا ان (خريم بن فاتك) الأسدي ، خرج في بغـاء إبل له ، فأصابها بالأبرق ، فقال : أعوذ بعظيم هذا الوادي ، فإذا هاتف يهتف :

ويحك عذ بالله ذي الجلال منزل الحلال والحـــرام

فقال خريم :

يا أيها الداعي فما تحيل أرشد عندك أم تضليل

---

١ ابن سعد ، طبقات (١/٣٥٠) ، (وفد حضرموت) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣١٧) .
٣ البيان والتبيين (١/٦٥) .

فقال الهاتف :

هذا رسول الله ذو الخيرات جـــاء بياسين وحاميمات
محرمـــات ومحلـــلات يأمرنا بالصوم والصـلاة

فقال خريم : من أنت يرحمك الله ؟ فقـــال : أنا مالك بن مالك ، بعثني رسول الله على جن أهل نجد[1] .

وروى أهل الأخبار شعراً لشاعر آخر من الجن اسمه ، (مالك بن مهلهل بن إياد) ويقال (دثار) ، زعموا انه أحد من أسلم من الجن ، رووا له قصة مع (رافع بن عمير) التميمي المعروف بـ (دعموص الرمل) ، لأنه كـان أعرف الناس لطريق وأسراهم بليل ، وأهجمهم على هول ، وقعت له برمـل عالج ، لما قال : أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن أن أوذي أو أهاج . فهتف به هذا الجني الشاعر ، وأمره أن يذهب الى يثرب ، ليسلم أمام الرسول[2] .

ومن ذلك ما روي من حديث عن (قس بن ساعدة) ، وما رواه صاحب الحديث من صوت هاتف يقول :

يا أيها الراقد في الليل الأحم قد بعث الله نبياً في الحرم
من هاشم أهل الوقار والكرم يجلو دجنات الليالي البهم

ثم قول صاحب الحديث للهاتف :

يا أيها الهاتف في دجى الظلم أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم
بين هداك الله في لحن الكلم من الذي تدعو اليه تغتنم

ثم جواب الهاتف عن سؤاله بقوله :

الحمـد لله الـــذي لم يخاق الخلق عبث
ولم يخلنـــا ســـدى من بعد عيسى واكتبرث
أرسل فينا أحمـــدا خير نبي قد بعث
صلى عليه الله مـــا حج له ركب وحث[3] .

---

١ الاصابة (٣/٣٣٣) ، (رقم ٧٦٨٤) ، (١/٤٢٣) ، (رقم ٢٢٤٦) .
٢ الاصابة (٣/٣٣٥) ، (رقم ٧٦٩٢) .
٣ الخزانة (١/٢٦٤) ، (بولاق) .

وللجن أشعار ، ولها مع الإنس حوار . وللأعراب خاصة في الجـن قصص وحكايات ، وقد ذكر (الجاحظ) أن الأعراب يتزيدون في هذا الباب[1] . والحديث عـن الجن من الأحاديث التي يميل لسماعها الناس لمـا فيها من غريب وطريف واختراع ، مالوا الى سماعها في الجاهليـة وفي الإسلام ، ونجد لأبي المطراد (المطراب) (عبيد بن أيوب) العنبري ، وهو شاعر إسلامي ، وكان لصاً قد جنى جناية فنذر السلطان دمه وخلعه قومه ، قصص وأشعار كثيرة عن الجن والوحوش . أخبر « في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعي ، ويأكل مع الظباء »[2] . ونجد في كتاب (الحيوان) وفي كتب الأخبـار والأدب والسير ، طرف من أشعار الجن والغيلان والسعالى ، وطرف من أخبارهم وأحاديثهم مع الإنس .

ومن هذا القبيل ما نسب الى (جذع بن سنان) من شعر زعم انه جرى له من الجن ، وهو :

أتوا ناري فقلت منون أنتم فقالوا : الجن قلت عموا صباحا
نزلت بشعب وادي الجن لما رأيت الليل قـد نشر الجناحا
أتيتهـم وللأقـدار حتم تلاقي المرء صبحاً أو رواحا

وجذع شاعر جاهلي قديم ، من غسان ، وهو الذي ضرب به المثل بقولهم : خذ من جذع ما أعطاك . والشعر المذكور من أكاذيب العرب[3] .

وللأعشى إشارة الى الجن ، بقوله :

وسخر من جن الملائك سبعة قياماً لديه يعملون بلا أجر[4]

وفي شعره مواضع أخرى تعرض فيها الى ذكر الجن .

وقد تحدث (المعري) عن (شعر الجن) ، تحدث عنهم في رسالة الغفران

---

١ الحيوان (٦/١٦٤) .
٢ الشعر والشعراء (٢/٦٦٨) ، الخزانة (٣/٢١٣) ، الحيوان (٦/١٦٥) .
٣ وهي من قصيدة تجدها في الخزانة (٣/٦) ، (بولاق) .
٤ الخزانة (٢/٦) ، (بولاق) .

فكلم أحدهم واسمه (الخيتعور) ، أحد (بني الشيصبان) ، فقال له : « أخبرني عن شعر الجن ، فقد جمع منها المعروف بالمرزباني قطعة صالحة ، فيقول ذلك الشيخ : انما ذلك هذيان لا معتمد عليه ، وهل يعرف البشر من النظيم إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض ؟ وانما لهم خمسة عشر جنساً من الموزون قل ما يعدوها القائلون ، وان لنا آلاف أوزان ما سمع بها الإنس »[1] . ثم يقول الجني له إن في الجن شعراء ، من لا يعدل (امرىء القيس) أضعفهم شعراً ، ثم يروي قصيدة للمتكلم معه ، وهو (أبو هدرش)[2] .

وروى حديثاً في رسالة الغفران عن قصص (تأبط شراً) مع الغيلان ، ثم أجاب على لسانه ، قال له : « أحق ما روي عنك من نكاح الغيلان ؟ » ، ثم أجاب على لسانه بقوله : « لقد كنّا في الجاهلية نتقول ونتخرص ، فما جاءك عنّا مما ينكره المعقول، فإنه من الأكاذيب » . ثم روى الشعر المنسوب اليه، وهو:

أنا الذي نكح الغيلان في بلدٍ ما طلّ فيه سماكيٌّ ولا جادا[3]

وقد كان الجاهليون مثل غيرهم من الشعوب يعتقدون بالجن ، وقد تصوروهم — كما سبق أن تحدثت عن ذلك — مثلهم ، قبائل وعشائر ، لهم ملوك وسادات فما كانوا يروونه عنهم وعن اتصالهم بهم ، يمثل حقيقة في نظرهم ، وما كان يضعه الوضاعون من شعر على ألسنتهم ، يقبل ويصدق عندهم ، ويسمع اليه بتلهف ، ولا سيما القسم الغريب منه ، إذ كانوا يتلذذون بسماعه ، ويذكر معه في العادة قصص لشرح المناسبة التي قيل فيها الشعر ، على طريقتهم في رواية أخبار (الأيام) . فالقصص المتعلق بالجن ، باب من أبواب التسلية التي كان يتسلى بها أهل الجاهلية ، بل بقي من القصص المستملح المطلوب سماعه حتى اليوم .

ومن هذا القبيل ، ما ورد في أيام العرب من شعر ، ففي هذا الشعر ما شاء الله من المنحول . نحل تمجيداً لقبيلة أو لبطل من أبطالها ، أو للغض من شأن قبيلة معادية ، اشتركت معها في قتال ، وفي أخبار هذه الأيام تعصب وتحزب ، ولذلك يجب النظر اليها بحذر شديد .

---

١ رسالة الغفران (٢٩١) .
٢ رسالة الغفران (٢٩٥ وما بعدها) .
٣ رسالة الغفران (٣٥٩) .

وشعر الشواهد من الأبواب التي فتحت المجال لنحل الشعر . قال عنه (الرافعي) : « وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع ، لحاجة العلماء الى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو »[1] . وقد كانوا يستشهدون بأشعار الجاهليين والمخضرمين : ونظراً لوجود عنصر التفوق والتغلب على الخصوم واظهار العلم ، ولوجود العصبية اندفع البعض إلى افتعال الشواهد والإتيان بالغريب وبما هو غير معروف. وقد اتهم الكوفيون بأنهم كانوا أكثر الناس وضعاً للأشعار التي يستشهد بها، لضعف مذاهبهم وتعلقهم على الشواذ واعتبارهم منها أصولاً يقاس عليها . ولهذا واشباهه اضطروا الى الوضع فيما لا يصيبون له شاهداً إذا كانت العرب على خلافهم ، وتجد في شواهدهم من الشعر ما لا يعرف قائله ، بل ربما استشهدوا بشطر بيت لا يعرف شطره الآخر . ومن أجل هذا كان البصريون يغتمزون على الكوفيين . فيقولون: نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشوارز والكواميخ[2] . على أن البصريين ، لم يكونوا ملائكة بالنسبة الى افتعال الشواهد ، فقد أدلوا فيه بدلوهم كذلك ، وإن قيل إنهم كانوا أقلّ فعلاً في ذلك من الكوفيين . ذكر أن (سيبويه) سأل (اللاحقي) هل تحفظ العرب شاهداً على إعمال (فَعِلٌ) (الصفة) ؟ قال (اللاحقي) ، فوضعت له هذا البيت :

حَذِرٌ أموراً لا تضيرُ ، وآمنٌ ما ليس منجيه من الأعداء[3]

ومن ذلك ما رواه (الزجاجي) في (مجالس العلماء) ، من نزاع وقع بين (الطبري) وبين (أبي عثمان) في السكين : مذكر أم مؤنث ، ومن استشهاد (أبو عثمان) بشعر رواه الفراء ، هو :

فعيّث في السنام غداةَ قُرٍّ بسكين موثقة النصاب

وجوابه : « لمن هذا ومن صاحبه ؟ وما أراه إلا أخرج من الكم ، وأين صاحب هذا عن أبي ذؤيب حيث يقول :

---

١ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/٣٧٠) .
٢ الرافعي (١/٣٧١) .
٣ المزهر (١/١٨٠) ، الرافعي (١/٣٧١ وما بعدها) .

فذلك سكين على الحلق حاذق »[1] .

ومن ذلك ما ذكره (خلف الأحمر) على ألسنة القدماء في ورود لفظة (عشار) في كلام العرب ، إذ روى هذه الأبيات :

قل لعمرو يا ابن هند لو رأيت اليوم شنا
لرأت عيناك منهم كل ما كنت تمنى
إذ أتتنا فيلق شهبا من هنا وهنا
وأتت دوسر والملحاء سراً مطمئنا
ومشى القوم الى القوم أحادى ومثنى
وثلاثاً ورباعاً وخماساً فأطعنا
وسداساً وسباعا وثمانا فاجتلدنا
وتساعاً وعشاراً فأصبنا وأصبنا
لا ترى إلا كمياً قاتلاً منهم ومنّا

« ودلائل الوضع في هذه الأبيات ظاهره. وكان خلف الأحمر متهماً بالوضع »[2].

ويدخل في باب نحل الشعر عامل آخر ، هو الاستشهاد بالشعر لتأييد الخلافات القائمة بين المذاهب في اثبات رأي ، أو في تفسير آية ، تفسيراً يؤيد رأي ذلك المذهب . فقد زعم أن المعتزلة ، قالت في تفسير الآية: « وسع كرسيه السموات والأرض » ، أي علمه ، وأنهم جاءوا على ذلك بشاهد لا يُعرف وهو قول الشاعر :

ولا يُكَرسِيُّ علم الله بمخلوق[3]

وهو قول وإن روي عنهم وقيل ، لا أدري ، إذا كان قد صدر منهم ، أو أنه صنع عليهم ، وقد ورد في خبر أن (عبدالله بن عباس) ، كان يقول، الكرسي : العلم . وأنه فسر الآية بهذا المعنى . على كل فقد فسر المفسرون لفظة

---

١ مجالس العلماء (ص ١٢٩) ، (الكويت ١٩٦٢) ، (عبدالسلام محمد هارون) .
٢ الخزانة (١/٨٢) ، (بولاق) .
٣ الرافعي (١/٣٧٣) .

(الكرسي) تفاسير مختلفة ، وذلك تحاشياً من الوقوع في التشبيه ، من كونه تعالى يجلس على كرسي شبه كراسينا ، ولذلك مالوا الى التأويل . وذكر في رواية أخرى ، أن (ابن عباس) كان يرى أن الكرسي موضع القدمين ، « ومن روي عنه في الكرسي أنه العلم ، فقد أبطل »[1] .

ونظراً الى ما كان للمذهبية من أثر في الناس في ذلك العهد،فلا أستبعد احتمال الوضع على ألسنة المذاهب،لذا يجب الحذر من الإسراع في التصديق بصحة الشواهد المقالة على لسان مذهب ، ونقدها نقداً علمياً دقيقاً ، بالتفتيش عنها في كتب أهل ذلك المذهب ، فقد يجوز أن تكون قد وضعت عليهم وضعاً ، ومثل هذا الوضع شيء معروف .

ومن أبواب نحل الشعر ما قيل على لسان آدم فمن دونه من الأنبياء من شعر. فقد زعموا مثلاً ان (قابيل) حين قتل أخاه (هابيل) رثاه أبوه (آدم) ، فقال :

تغيرت البلاد ومَنْ عليها فوجه الأرض مغبرٌ قبيح
تغيّرَ كلُّ ذي طعمٍ ولونٍ وقَلَّ بشاشة الوجه المليح

فأجيب آدم :

أبا هابيل قد قُتِلا جميعاً وصار الحيُّ كالميت الذبيح
وجاء بشرة قد كان منها على خوف فجاء بها يصيح[2]

ثم ما قيل على لسان الأمم البائدة ، والشعوب الهالكة مثل عاد وثمود وقوم تبع ، وطسم وجديس ، وزرقاء اليمامة ، من أشعار زعم انهم قالوها ، وهي من نظم القصاصين وأصحاب السمر والحكايات ، وعشاق الأساطير والخرافات ، لما وجدوا ميلاً عند الناس الى الاستماع لمثل هذه الأشعار . فكانوا « يأتون بمثل تلك الأشعار على وهنها وتداعيها ويعزونها الى القدماء ، ثم يزعمون انهم أخذوها من

---

١ تاج العروس (٤/٢٣٢) ، (كرس) .
٢ تاريخ الطبري (١/١٤٥) ، تفسير الطبري (١/١٢٢) ، (طبعة بولاق) .

الصحف ، ويروونها للأمم البائدة وغيرهم »[1] . من ذلك ما نسبوه من شعر الى (معاوية بن بكر) ، وكان في أيام (عاد) ، مقيماً بظاهر مكة خارجاً من الحرم ، زعموا انه قاله لما استثقل طول مكث وفد (عاد) وفيه (لقمان بن عاد) عليه ، وألهمه الى قينتيه لتغنيا به أمام الوفد ، وهو :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عادٍ ، إنّ عاداً ... قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو ... به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير ... فقد أمست نساؤهم عياما
وإن الوحش تأتيهم جهاراً ... ولا تخشى لعادي سهاما
وأنتم ها هنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قومٍ ... ولا لُقُّوا التحية والسلاما

فأجابه (جلهمة بن الخيبري) :

أبا سعدٍ فإنك من قبيلٍ ... ذوي كرمٍ وأماك من ثمود
فإنا لن نطيعك ما بقينا ... ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك آل رفد ... وزمّل وآل صد والعبود
ونترك دين آباء كرامٍ ... ذوي رأيٍ ونتبع دين هود[2]

ومن ذلك ما نسبوه من شعر الى (مرثد بن سعد بن عفير) زعموا أنه قال حين سمع خبر هلاك عاد ، إذ قال :

عصت عاد رسولهُمُ فأمسوا ... عِطاشاً ما تبلهم السماء
وسيّر وفدهم شهراً ليُسقوا ... فأردفهم من العطش العماء
بكفرهم بربهم جهاراً ... على آثار عادِهِمُ العفاء
ألا نزع الإلهَ حُلومَ عادٍ ... فإن قلوبهم قفر هواء

---

١ الرافعي (١/٣٧٥ وما بعدها) ، الخزانة (٤/٢٠٢) ، (بولاق) .
٢ الطبري (١/٢٢٠ وما بعدها) ، (ذكر الاحداث التي كانت بين نوح وابراهيم) ، تفسير الطبري (٨/١٥٤) ، جمهرة أشعار العرب (٤١) .

من الخبرِ المُبَيَّن أن يَعُوهُ ... ومـا تغني النصيحة والشفاء
فنفسي وابتتايَ وأم ولـدي ... لنفسٍ نبينـا هودٍ فداء
أتانا والقلـوب مصمـدات ... على ظلم ، وقد ذهبَ الضياء
لنـا صنمٌ يقـال له صمود ... يقابله صـداء والهبـاء
فأبصره الذين لـه أنابوا ... وأدرك من يكذّبه الشقـاء
فإني سوف ألحق آل هودٍ ... واخوته إذا جـنّ المساء[1]

فلما هلكت عاد ، فلم يبق منهم إلاّ (الخلجان) ، قال :

لم يبقَ إلا الخلجـان نفسُهُ ... يا لك من يومٍ دهاني أمسه
بثابت الوطء شديـد وطسه ... لو لم يجئني جئتـه أجسه[2]

ورووا شعراً لأحد شعراء ثمود اسمه (مهوس بن عنمة بن الدميل) هو قوله:

وكانت عصبة من آل عمرو ... الى دين النبي دعوا شهـابا
عزيز ثمـود كلهم جميعاً ... فهمّ بأن نجيب ولـو أجابا
لأصبح صـالح فينـا عزيزاً ... وما عدلوا بصـاحبهم ذؤابا
ولكن الغـواة من آل حجر ... تولوا بعـد رشدهم ذنابا[3]

ويروي أهل الأخبار انه قد كان لأهل الجاهلية شعر كثير قيل في عاد وثمود وأمورهم ، يأتون به دليلاً على شهرة أمرهم عند العرب في الجاهلية والاسلام[4] . من ذلك ما أوردوه على لسان (أفنون) التغلبي ، من قوله :

لو انني كنت من عادٍ ومن إرمٍ ... غذيّ سخْلٍ ولقمانا وذا جدان[5]

ومن هذا القبيـل ما نسب الى (عمرو بن الحارث بن مضاض) الجرهمي ، والى (الحارث بن مضاض) ، من شعر . وهو عند أهل الأخبار أحد المعمرين

---

١ الطبري (١/٢٢٣ وما بعدها) .
٢ الطبري (١/٢٢٤) .
٣ تفسير الطبري (٨/١٥٩) ، (بولاق) .
٤ الطبري (١/٢٣٢) .
٥ الزجاجي ، مجالس العلماء (٤٢) .

القدماء ، زعموا انه قال شعراً لما أجلت (خزاعة) جرهماً عن الحرم ، هو :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر

وزعموا انه مدّ في عمره الى أن أدرك الاسلام[1] .

ونجد في شعر (النمر بن تولب) ذكر (لقمان)[2] . ونجد في أشعار شعراء آخرين إشارات الى هؤلاء وغيرهم ممن كان تذكرهم الأساطير وتروي أخبارهم الناس ، على نحو ما نسمعه من العجائز عن قصص الماضين ، وقد أشرت الى أسماء بعض منهم في ثنايا هذا الكتاب .

وقد سبق أن ذكرت ان هذا النوع من الأساطير ، لم يفت عسلى بال بعض العلماء النقدة ،وانهم أشاروا الى انه من صنع جماعة من صناع الأساطير والقصص ، فقد قال (ابن سلام) : « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل منه كل غثاء محمد بن اسحاق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير والمغازي ، قبل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، انما أوتي به فأحمله ، ولم يكن له ذلك عـذراً ، فكتب في السيرة من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء ، فضلاً عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عادٍ وثمود ، فكتب لهـم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر انما هو كلام مؤلف معقود بقوافي ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ ألوف من السنين ؟ والله تعالى يقول: فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، أي لا بقية لهم . وقال أيضاً : وانه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى . وقال في عاد : فهل ترى لهم من باقية . وقال : وقرونا بين ذلك كثيراً »[3] .

ولكن أوسع وأظهر أبواب نحل الشعر ، هو ما وضعه رواة الشعر على ألسنة الشعراء الجاهليين ، وهو ما دعاه (الرافعي) : بـ « الإتساع في الروايـة » .

---

١ المرزباني ، معجم (١٠) ، ابن هشام ، سيرة (١/٨٢ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الأنف) ، الروض الأنف (١/٨٠ وما بعدها) .
٢ الخزانة (٤/٤٤٨) ، (بولاق) .
٣ المزهر (١/١٧٣) ، (النوع الثامن : معرفة المصنوع) .

ونقصد به ما صنعه الرواة من وضعهم قطعاً وقصائد على ألسنة الشعراء الجاهليين لم يقولوها ، ومن اضافتهم أشعاراً على قصائد الجاهليين ، أو ادخال شعر شاعر في شعر غيره : هوى وتعنتاً[1] . فهذا الباب هو أخطر أبواب نحل الشعر وأوسعها وأهمها ، ويغطي معظم الشعر المنحول . صنعوه ، لرواج سوق الشعر الجاهلي في تلك الأيام ، وللطلب الكثير الذي كان إذ ذاك عليه . وللربح الذي كان يجنيه حامله من روايته ، مما حمل الرواة على وضع الشعر بصوغه على قوالب الشعر الجاهلي وعلى مضامينه وطرقه في التنقل في القصيدة ، وقد أجاد فيه أساتذة الصنعة من أمثال (حماد) الراوية و (خلف) الأحمر ، وليس في الرواة جميعاً من يدانيهما في الصنعة وإحكامها ، فهما طبقة في التأريخ كله[2] .

ومن أمثلة المصنوع أبياتاً مطلعها :

قل لعمرو : يا بن هند لو رأيت القوم شنا

أنشدها خلف الأحمر ، وهي مصنوعة[3] .

ومن أمثلة التطويل في الشعر ، ما فعلوه بأبيات الطيرة للحارث بن حلزة ، وهي أربعة أبيات ، ولكنهم جعلوها قصيدة طويلة . والأبيات هي :

يا أيها المُزمع ثم انثني لا يشك الحادي ولا الشاحُج
ولا قعيد أعضب قَرنُهُ هاج له من مَربع هائج
بينا الفتى يَسْعى ويُسعى له تاح له من أمره خالجُ
يترك ما رقح من عيشه يعيش منه همج هائج[4]

وروي ان قول الأعشى :

كتميل النشوان يسر فل في البقيرة وفي الإزارة

---

١ الرافعي (١/٣٧٩) .
٢ الرافعي (١/٣٨٣) .
٣ المزهر (١/١٧٨ وما بعدها) .
٤ الرافعي (١/٣٨٤) .

هو من قصيـــدة مصنوعة[1] . وروى (أبو عبيدة) عن (أبـي عمرو) ، انه قال : « والله ما كذبت فيما رويته حرفاً قط ، ولا زدت فيه شيئاً إلا بيتاً في شعر الأعشى ، فإني زدته ، فقلت :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيبَ والصلعا »[2]

وروي ان « حماداً كان يقول : ما من شاعر إلا وقد حققت في شعره أبياتاً فجازت عنه ، إلا الأعشى ، أعشى بكر ، فإني لم أزد في شعره قط غير بيت. قيل له : وما البيت ؟ فقال :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت »[3] .

فأنت أمام روايتين متناقضتين ، رواية تنسب وضع البيت الى (أبـي عمرو بن العلاء) ، ورواية تنسب وضع ذلك البيت الى (حماد) . وسبب التناقض العصبية ولا شك .

ويجب أن نضيف على الشعر المصنوع على ألسنة الجاهليين ، الشعر الذي وضع على ألسنة الصعاليك واللصوص ، فقد كان الناس يتسقطون أخبار هؤلاء ويتلذذون بسماع مغامراتهم وسطوهم ، شأن الناس في كل وقت ومكان من الميل الى التلذذ بسماع مثل هذه الأخبار ، وهذا ما حمل صناع الأخبار والأساطير على وضع الشعر على ألسنة الصعاليك واللصوص لتزيين أخبارهم وترصيعها بـه ، على طريقتهم في رواية أيام العرب وأخبارهم ، وفي شعر هذه الطبقة شعر كثير مصنوع .

وهناك شعر وضع للتسلية وللهو من ذلك شعر الفسق والمجون ، من ذلك مـا نسب الى (ابنة الخس) من قول ، هو :

سلوا نساء أشجع أي الأيور أنفـع
أألطويل النعنـــع أم القصير المِردَع
أم الذي لا يرفع أم الأسك الأصمع

---

١ الزجاجي ، مجالس العلماء (١٣٠) .
٢ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٣٥) .
٣ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/٣٨٣ وما بعدها) .

في كل شيء يطمع حتى القريص يصنع[1]

وابنة الخس ، في زعم أهل الأخبـار ، جاهلية قديمة من إياد ، أدركت القلمس ، أحد حكام العرب ، « ولها أسجاع كثـيرة وشعر قليل . وكانت تحاجي الرجال » الى أن حاجها رجل ، فقال لها قولاً بذيئاً أخجلها ، فتركت المحاجاة[2] . وأورد الشريف (المرتضى) لها أجوبة عن أسئلة معضلـة محيرة ، لتحزر جوابها ، وذكر أجوبتها ، رواية عن (ابن الأعرابي)[3] .

والشعر الذي نسبه (أبو محمد ثابت بن أبي ثابت) اليها ، هـو من الشعر المصنوع بالطبع ، وضع على لسان (ابنة الخس) ، وقد نص (تاج العروس) على أن قائله (جارية كانت جلعة)[4] ، وهو من وضع المجّان ، الـذين كانوا يتلذذون بسماع هذا النوع من المجون .

وكان (ابن أبي كريمة) ، يصنع الشعر وينحله بعض شعراء البادية ، كما صنع في قصيدة له في وصف الفأر ، نحلها (يزيد بن ناجية) السعدي ، « وكان لقي من الفأر جهداً ، فدعا عليهن بالسنانير » ، وكان يصطنع شعر الفكاهة ، ويحاكي فيه (الحكم بن عبدل) الأسدي[5] . وهناك كثير من اضرابه ، ممن وضع الشعر للتسلية وللتفكهة على ألسنة الأعراب والشعراء الجاهليين .

وقد وضع (خلف) الأحمر قصائد عدة على فحول الشعراء ، ذكروا منهـا قصيدة الشنفرى المشهورة بلامية العرب . وروي عن الأصمعي قوله : سمعت خلفاً يقول : أنا وضعت على النابغة هذه القصيدة التي فيها :

خيل صيامٌ وخيل غير صائمـةٍ تحت العجاج ، وأخرى تعلك اللجما[6]

---

١ كتاب خلق الانسان (٢٧٩) ، (لابن أبي ثابت) ، المخصص (٢/٣١) ، اللسان (٨/٢٧١) ، (قرصع) ، (لم يذكر اسم قائله) ، (٨/٣٥٨) ، (ولم يذكر اسم قائله كذلك) ،تاج العروس (٥/٤٦٠) ، (قرصع) ، (قاله أبو عمرو . وأنشد لجارية كانت جلعة) ، (٥/٥٢٧) ، (نعنع) .

٢ بلوغ الارب (١/٢٣٩) .

٣ أمالي المرتضى (١/٢٢٠) .

٤ تاج العروس (٥/٥٢٧) ، (نعنع) .

٥ البخلاء (٢٨٢ وما بعدها)، « الحكم بن عبدل » من شعراء أيام الامويين .

٦ الرافعي (١/٣٨١) .

ومما يدخل في هذا الباب اننا نجد بيتاً أو أبياتاً تنسب في أحد الموارد لشاعر، بينما نرى ديوانه خالياً منه أو منها ، من ذلك ما رواه (المعري) ، من انه لما كان ببغداد ، شاهد بعض الورّاقين يسأل عن قافية (عدي بن زيد) التي أولها:

بكر العاذلات في غلس الصبـ ـح يعاتبنه أما تستفيق

وزعم الورّاق ان بعض طلاب شعر هذا الشاعر سأل عن هـذه القصيدة ، وطلبت في نسخ من ديوان (عدي) فلم توجد . ثم سمع بعد ذلك رجلاً من أهل (استراباذ) يقرأ هذه القافية في ديوان (العبادي) ، ولم تكن في النسخة التي في دار العلم[1] . وذكر أشياء أخرى من هذا القبيل ، تراها في كتاب أو في نسخة من نسخ ديوان الشاعر ، بينما لا تراها في نسخ الديوان الأخرى ، مما يدل على ان الدواوين لم تكن متفقة في النص ، وانها رويت بروايات مختلفـة ، وان في بعضها ما يزيد على البعض الآخر[2] .

ونحل الشعر ، وإن وقع وحدث ، غير ان أمره لم يفت على بال العلماء المهرة الحاذقين ، ودليل ذلك ، ما نجده في كتبهم من الإشارات الى المنحول والمصنوع من الشعر ، ومن نصهم عليه ، وإن فات عليهم بعضه،ومن نصهم على المنحول ومن ملاحظاتهم تلك أخذ المستشرقون والمحدثون من العرب آراءهم في الشعر الجاهلي، فما أورده (ماركليوث) مثلاً من نقد على الشعر الجاهلي ، أو ما أورده (الدكتور طه حسين) من رأي فيه ، ليس فيه شيء جديد ، وجديده الوحيد ، هو في التهويل بمقدار المغشوش من هذا الشعر ، أما من حيث المبـدأ ، أي من حيث وجود شعر منحول فاسد ، في الشعر الجاهلي ، فالقدماء والمحدثون والمستشرقون متفقون في ذلك ، وخلافهم الوحيد ، هو في مقدار نسبة الفاسد من الشعر بالنسبة الى الصحيح .

فما قيل عن نحل الشعر إذن هو قول قديم . روي عن الأصمعي أنـه قال : « كل شيء في أيدينا من شعر امرىء القيس ، فهو من حماد الراوية إلا نتفـاً سمعتها من الأعراب وأبـي عمرو بن العلاء »[3] . وروي عن (حماد) الراوية قوله:

---

١ رسالة الغفران (١٤٦ وما بعدها) .
٢ رسالة الغفران (٥١٣) .
٣ مراتب النحويين ، لابي الطيب اللغوي (ص ٧٢) .

« دخل علينا ذو الرمة الكوفة ، فلم نر أحسن ولا أفصح ولا أعلم بغريب منه . فغم ذلك كثيراً من أهل المدينه » ، فأرادوا الكيد له بامتحانه ، فصنعوا شعراً على ألسنة بعض الجاهليين ، وأنشدوه إياها ، فعلم ذلك (ذو الرمة) بعلمه وبمعرفته للشعر الجاهلي ، أنه شعر مصنوع ، فقال لهم : « ما أحسب أن هذا من كلام العرب »[1] .

وقد زيد في شعر (امرىء القيس) كثيراً ، وقد عدّه علماء الشعر من المقلّين،وجعل بعضهم الصحيح من شعره نيفاً وعشرين شعراً بين طويل وقطعة[2] . وفي جملة ما نسب اليه القصيدة المسمطة ، وهي :

توهمت من هند معالم أطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مرابعُ من هند خلت ومصايف يصيح بمغناها صدى وعوازف
وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسف ثم آخر رادف
بأسحم من نوء السماكين هطال[3]

ونرى (ابن سلام) يقول : « ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد . والذي صح لهما قصائد بقدر عشر ، وإن لم يكن لهما غيرهن ، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة ، وإن كان ما يروى من الغثاء لهما فليسا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة . ونرى ان غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير ان الذي نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدم الفحول ، فلعل ذلك لذلك . فلما قل كلامهما حُمل عليهما حمل كثير ، ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة »[4] . ولما تحدث عن (عبيد بن الأبرص) قال : « وعبيد بن الأبرص ، قديم عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب ، لا أعرف له إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

---

١ الاغاني (١١٧/١٦) .
٢ العمدة (١٠٥/١) .
٣ العمدة (١٧٦/١) .
٤ طبقات (١٠ وما بعدها) .

ولا أدري ما بعد ذلك »[1] . فهو مع علمه الواسع بالشعر ، واستشهاد العلماء بكلامه وبآرائه في الشعر ، لا يعرف لعبيد غير هذا الشعر ، مع العلم بأنه قد توفي سنة (٢٣١ هـ) ، وفي أيامه كان الناس يموتون في طلب الشعر الجاهلي . ونجد (ابن قتيبة) المتوفى بعده (٢٧٠ هـ) ، يذكر له شعراً مطلعه :

يا عين فابكي بني أسدٍ هم أهل الندامة[2]

ثم قوله مخاطباً امرأ القيس :

يا ذا المخوّفنا بقتل أبيه إذلالاً وحَيْنا
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا[3]

ثم قوله :

هلا سألت جموع كندة يوم ولّوا هاربينا[4]

وقد ذكر (ابن سلام) أن الرواة قد وضعوا على (عدي بن زيد) شعراً كثيراً ، وعلل ذلك بقوله : « وعدي بن زيد ، كان يسكن الحيرة ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد. واضطرب فيه خلف ، وخلط فيه المفضل فأكثر . وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات،وله بعدهن شعر حسن »[5] . ولابن قتيبة هذا الرأي فيه ، حيث يقول : « وكان يسكن بالحيرة ، ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جداً ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة . وله أربع قصائد غرر »[6] . وذكر نقلاً عن (أبي عبيدة) عن (أبي عمرو بن العلاء) أن « العرب لا تروي شعره ، لأن ألفاظه ليست بنجدية ، وكان نصرانياً من عباد الحيرة ، قد قرأ الكتب »[7] .

---

١ طبقات (١١ ، ٣١) .
٢ الشعر والشعراء (١/٥٠) ، ديوان عبيد (١٢٥) .
٣ الشعر والشعراء (١/٥٢) ، ديوان عبيد (١٣٦) .
٤ الشعر والشعراء (١/٥٨) .
٥ طبقات (٣١) ، العمدة (١/١٠٤) .
٦ الشعر والشعراء (١/١٥٠) .
٧ الشعر والشعراء (١/١٥٤) .

وقد تعرض القدماء لموضوع الشعر المقال على ألسنة الأمم القديمة وملوكها ، فرفض (ابن سلام) ذلك الشعر ، بقوله : « وإنما قصدت القصائد وطُول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط عاد وثمود وحمير وتبع »[1] . إذن فما أضيف الى هؤلاء والى أهل اليمن هو شعر منتحل.

ومن أصحاب البصر والنظر في الشعر : (خلف الأحمر) . « وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة ، أعني النقد ، ولا يشقون له غباراً ، لنفاذه فيها ، وحذقه بها ، وإجادته لها »[2]. وعلمه بالشعر ، جعله من كبار الوضاعين له على ألسنة الجاهليين .

وبعد ، فإننا لا نستطيع بالطبع التصديق بصحة الشعر المنسوب الى آدم والجن والتبابعة وأهل العربية الجنوبية وغيرهم ممن لا يعقل قولهم الشعر العربي ، وإن نص على صحة ذلك الشعر ، ورواه العلماء . أما سبب رفضنا قبول الشعر المنسوب الى أهل العربية الجنوبية من ملوك وأقيال ورؤساء، فلأنهم كانوا يتكلمون ويكتبون كما هو ثابت لدينا من نصوصهم بلغة تختلف عن لغة الشعر المألوفة ، ولو تصورنا انهم كانوا ينظمون الشعر بلغة الشعر المعروفة ، ويكتبون ويتكلمون بلغة أخرى : فإننا نكون قد قلنا برأي مخالف للمعقول وللمنطق ، ونكون قد أوجدنا لهم لغة للشعر ولغة للنثر ، وهو افتراض لا يمكن لأحد إثباته ، ثم إن لغة التدوين تكون في العادة لغة الأدب عامة من شعر ومن نثر ، لذا فإذا قلنا بوجود شعر جاهلي للعرب الجنوبيين ، قلنا يجب أن يكون هذا الشعر بلغتهم ، لا بلغة هذا الشعر الجاهلي الذي نتحدث عنه .

وبعد ، فلعل قائلاً يقول : وما فائدة الشعر الجاهلي اذن ، اذا كان هذا شأنه فيه المنحول والفاسد ، وما يشك في أصله ؟ والجواب : ان العلماء ، وان اختلفوا فيه ، مجمعون ومتفقون على ان رواة هذا الشعر وحملته كانوا من أعلم الناس بالجاهلية : بأخبارها وبأيامها وبأنسابها ، وبأنهم كانوا من أمرس الناس بالشعر الجاهلي وبطرقه ودروبه ، فهم إن وضعوا ولفقوا ، أو كيفوا ، فإنهم لا يضعون عن جهل وعمى ، بل عن علم وفهم بالجاهليين ومذاهبهم في نظم

---

١ طبقات (١١) .
٢ العمدة (١/١١٧) .

الشعر والتفسير ، ولا سيما ان العهد بينهم وبين الجاهلية لم يكن طويلاً ،وان الأخذ عمن شهد الجاهلية أو أخذ منهم وسمع كان ممكناً يسيراً ، ومن هنا كان ما رووه من شعر جاهلي مادة مهمة للمؤرخ مهما قيل في أمره .

ثم إننا حين نروي الشعر الجاهلي ، فلا نرويه أو ننشده ، أو نحفظه لأنه شعر مقدس ، لا يجوز أن يمسه أحد بسوء ، وانه تراث خالد ، إذا تعرض له إنسان أو تحرش به ، فإنما هو يتعرض لأثر تأريخي قديم من آثار هذه الأمة ، وإنما نرويه على أنه من مرويات العلماء ، وأنه مهما قيل فيه وفي أصله ، فإنه يحاول أن يصوّر لنا أحوال زمن سبق الإسلام ، وهو زمن مهم جداً بالنسبة لنا ، لاتصاله بالاسلام ، ولقيام الاسلام عليه ، ولكونه فصولاً متقدمة مجهولة من كتاب ناقص ، ضاعت فصوله الأولى ، هو كتاب في تأريخ العرب منذ القدم الى هذا اليوم ، فإذا فقدنا الأصول ، فلا بأس بالتسلي بما نسبه المتأخرون على الأقل الى المتقدمين ، مهما كان بعد هذا المنسوب عن الصحة والحق ، ومهما كانت نسبة الباطل فيه كبيرة ، وحتى إذا كانت النسبة مائة بالمائة ، وهي نسبة نبالغ فيها بالطبع ، لا أعتقد أن أحداً سيراها ، مهما بلغ به الشك والحذر بالنسبة الى أصالة الشعر الجاهلي ، ومن هنا فإن النزاع الدائر حول صحة الشعر الجاهلي ، والذي سيبقى مثاراً قائماً ، حتى يظهر أثر جاهلي مكتوب ، وعندئذ فقد يحسم شيئاً من مواضع الخلاف المؤلفة لهذا النزاع ، يجب ألا يحملنا على الابتعاد عن هذا الشعر ، باعتبار أنه لا يمثل الجاهلية تمثيلاً صحيحاً ، وانه شعر مكذوب منحول ، وإنما يجب أن يدفعنا — على العكس — الى الاهتمام به ، باعتبار أنه من أقدم الآثار التي وصلت الينا ، المدوّنة في الاسلام . وأنها إن كانت منحولة ، فان نحلها على ألسنة الجاهليين ، نحل قديم ، يعتبر تأريخياً من أقدم المنحولات الواصلة الينا في المدوّنات الاسلامية ، وأنها تمثل صنعة وصناعة صنّاع ، حاولوا تقليد الماضي ، على ما وصل خبره اليهم ، فصاغوه على تلك الصياغة ، فهو أثر أصيل لأقدم مصنوعات ومحاكاة وتقليد لآثار قديمة لها صلة بتأريخ العرب القديم .

وأرى في الوقت نفسه ان من الضروري وجوب تقصي الأخبار عن الشعر المصنوع ، وتتبع المراجع للوصول الى أقدم مرجع ورد فيه كل شعر مصنوع ، وتسجيل الأبيات والقطع والقصائد التي ترد لأول مرة في أقدم مورد من الموارد، والنص على اسم المورد ، وعلى سنده إن كان مذكوراً ، لنتمكن بهذه الدراسة

من الوصول الى اسم صانع الشعر ، أو الزمن الذي ظهر فيه ذلك الشعر ان كان الاسم مجهولاً ، كما نقوم بتسجيل الموارد التي يرد فيها شعر الشعراء ، وما اختلفت فيه بعضها عن بعض من حيث الألفاظ ، أو ترتيب الأبيات ، أو عددها ، ثم أسماء من نسبت اليهم تلك الأشعار ، فقد ينسب الشعر الواحد الى جملة شعراء ، وتسجيل أسماء من روى ذلك ، واسم المصدر ،وبذلك نكون قد قمنا بدراسة علمية قيّمة عن الشعر المصنوع وعن الشعر الأصيل الذي لم يشك في أصالته عالم من علماء الشعر ، ثم نعرض النتائج للبحث بأساليب النقد الحديثة لاستخراج الزائف منه ، ولاستبعاد صدور بعضه من الشعراء الجاهليين،نفعل ذلك حتى في حالة عدم ورود رواية لعالم قديم تشك في صحة شعر ، لأن سكوت العلماء عن الشك في شعر ، لا يكون حجة على صحة ذلك الشعر .